مجروطين

تأليف

الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي

الجزء الرابع

حَجَـرٌ وَطِـيْن

حَجَرٌ وَطِيْن

الجزء الرابع

تأليف

المَرجِع الدِيني آيَةُ الله العُظمى
الشَيْخ محمَّد تَقي الفَقِيه العَامِلي

الطبعة الاولى

١٩٩٥م-١٤١٥هج

يحتوي هذا الجزء على تراجم كل من :

١ - الشيخ يوسف الفقيه العاملي الحاريصي .

٢ - السيد محسن الحكيم الطباطبائي .

٣ - الشيخ بشير مصطفى حمود .

٤ - الشيخ قاسم محي الدين النجفي .

٥ - السيد هاشم معروف علي احمد الحسني العاملي الجناتي.

٦ - الشاعر الزجلي محمود قاسم المعروف بمحمود حداثا

وغيرهم .

مُقدمَــة

بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد والمنة والشكر

وبعد فإن هذا الكتاب **المضحك والمُبكي** كان حلقةً من حلقات كتابنا **حَجر وَطِين** ، ولم يزل ، وقد كنت أفرَدته بهذا العنوان في مجلد وحده ، وكنت معنياً بتدوين تاريخ من يموت من المعاصرين خاصة ، طمعاً بأن يكون كتابي هذا تتمة لنظيره من كتب السلف ، وكنت أحاول تخليدَ شطرٍ من الناس الذين اعتادَ التاريخ على إهمالهم .

وقد كنت أدوِّن محتوياته بإيجاز ، وأؤجل التحدث عنهم وعن غيرهم بما ينبغي الى وقت الفراغ .

وعبثاً حاولت ، فكلُّ يوم يأتي يجيئني وهو يحمل معه من الأعمال والواجبات ما يضيق عنه ، ويستدعي ايضاً تأجيل ما لم يستوعبه الى وقت الفراغ .

ومن أجل ذلك ضاع الكثيرُ منه ، فقد كنت أدوِّنه في ورقةٍ وكنت أدَّخرها في جَيبي أو على منضدتي الصغيرة طمعاً بتدوينه في ذلك المجلد اذا اتسع الوقت ، ثم تضيع هذه الورقة ويضيع معها ما كنت أحاول تدوينه .

ومن أجل ذلك كان معظم هذه الحلقة مقتصراً على اسم المتوفّى وتاريخ وفَاته .

ومنذ أوائل القرن الخامس عشر الهجري بدأت أسابقُ الأجل ، فعزمت على تقديم الميسور من كتابي **حجَر وَطين** من دون تدقيقٍ ولا تحقيقٍ ، حتى بالنسبة لأهمّ الأمور ... وأعني بها الألقاب المعبِّرة عن شخصية صاحبها ، فلفظ " العلاّمة " مثلا أعطيته لكثير من غير أهله ، والسبب في ذلك هو أنه أصبح في هذا الزمان نظير " الأخ الأكرم " الذي يفتتح الناس به رسائلهم ، مع أن المخاطب ليس أخاً ولا كريماً بأي معنىً من المعاني .

ولذا طُبِعَ الجزء الأوَّل والثَاني والثَالث من **حجروطين** ، مع أن فيها كثيراً مما لا أرتضيه لأن وقتي لا يتسع للاختيار ولا للتهذيب ، بل ولا يتسع حتى لتصحيح ما يخرج من المطبعة ، والآن في سنة ١٤٠٩ الف واربعماية وتسعة هجري عزمت على تقديم ما يتيسر لديّ من " **المبكي** " لأنه اذا ضاع لا بديل له ولا غنى للناس والتاريخ عن مثله .

وإنني أرجو من الله سبحانه أن يجد فيه المؤرخ رغبته ، وصاحب العلاقة طلبته ، وأن يكون ذلك سبباً لطلب الرحمة لي من ربي ، فان ذلك هو مُنتهى ما يصبو اليه العاقل لأنه أقرب منتجعٍ يستفيد منه بعد الموت.

والله المستعان وهو نعم المولى ونعم الربّ ، وهو أرحم الراحمين ؟

حُرر هذا صبح الثلاثاء ١٢/١٣ / ١٩٨٨م الموافق ٤ جمادى الاولى ١٤٠٩هج

الشَيخ محمَّد تقي الفَقيه العامِلي

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذِهِ سيرَةُ

الشَيْخ يُوسُف الفَقِيه العَامِلِي الحَارِيصِي

تغمَّدَهُ الله برحمته

بقلم المؤلف

اذا قرأت هذه الترجمة وجدت فيها صورة عن حياة بلادنا في نصف قرن حتى كأنك تعيش معهم ويعيشون معك ، فهو يحمل صورة عن تعايش الجماهير والزعماء والحكام وعن الأوضاع الإقتصادية .

فهو في واقعه حديث عن شعب لا عن رجل .

وِلاَدَتُهُ وَوَفَاتُهُ (١٢٩٧ هجرية -١٣٧٧هجرية) :

وُلد في سنة ألف ومائتين وسبعةٍ وتسعينَ هجريةٍ في حاريص-قضاء بنت جبيل.

وانتقل الى رحمة الله تعالى في نهار الاثنين في ستة وعشرين جمادى الاولى سنة ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين هجرية الموافق كانون الأول سنة ألف وتسعماية وسبعة وخمسين ميلادية .

كانت وفاته في منزله في برج أبى حيدر في بيروت ، وحمل بموكب رسمي وشعبي الى بلدته ومسقط رأسه حاريص ، ودفن فيها في ديوانه الذي كان يستقبل به الضيوف والوافدين عليه .

وكانت المصيبة به عامة ، والخطب جلَلٌ ، وقد اشترك لبنان بأسره في المصيبة ، حكومة وشعبا" ، علماء وزعماء وأعيانا ، فضلا عن جماهير السواد من أهالي القرى ، كما نصّت على ذلك الصحف والكتب والرسائل التي أرسلت إلينا بهذه المناسبة (والتي قد نرفق في هذا الكتاب بعضا منها) .

قال العلامة الجليل ثقة الاسلام ابن خالنا الشيخ سليمان حسين آل سليمان البياضي في رسالته التي أرسلها لنا معزيا :

(وإني أعلمكم أن البلاد بأسرها شعباً وحكومة اشتركت معنا في المصاب وواست أحسن المواساة ، وأعلَمَنَا ذلك أن الفقيد كان من أعظم ركنٍ للدين والوطن في لبنان ، وأن تضعضع صحته في السنين الأخيرة لم يُنس الناس أن الشيخ كان كهفاً وموئلاً لأمته بجميع طبقاتها ، فقدته وهي بأمس الحاجة إليه ، وفي الله عوضٌ عن كل نازلة).

إلى أن قال:

(ولو أردت أن أصف لكم عظمة الموكب وكيف جاء من بيروت وكيف

كـانت حـاريص يـوم الاثنـين ٢٦ جمـادى الاولى ، فذلـك مـا لا يحصيـه الوصـف ، وأختصر لكم أن في ذلك اليـوم كـان لبنـان في حـاريص بعلمائـه وأعيانـه وزعمائـه ، وبذلك كان لأنجال الشيخ ولنا ولآله أعظم السلوى٠)انتهى ٠

في هذا الوقت كنت في العراق في قلعة سكر ، وبينما كنت أستعد للذهاب إلى المسجد لصلاة العشائين ، جعَلت الناس تتوافدُ عليّ حتى امتلأ الديوان ، وربما كان في خارجه أكثر مما في داخله ، فجلسوا وسـكتوا ، فعجبـت مـن ذلـك ، فمـا راعـني إلا ارتفاع صوت الحاج جعفر عبد العباس بالبكاء ، ثم أجهش الديـوان بالبكـاء بأجعمـه ثم أخرجوا البرقية التي كان فيها نبأ الوفاة ، فأقمت الفاتحة ثلاثـة أيـام ، ثـم شـدَدْتُ الرحال للنجف ، وكانت برقيات التعزية من النجف وغيرها تردني ، وقد أقام آية ا لله الحكيم فاتحة ، وأقام الاخ الحجة آية ا لله الشيخ علـي كاشـف الغطـاء فاتحـة ، واقـام العامليون فاتحة ، وعندما وردت النجف لا أتذكر هل أقمـت فاتحـة او لا ؟ ولكـن مجلس التعزية كان مستمرَ الإنعقاد ، وكانت البرقيات ورسائل التعزية تتوارد من لبنـان والمهجر وبعض بلدان العراق ٠

وكانت رسائل التعازي تشبهُ رسالة الشيخ سليمان حفظه ا لله ٠

وقد وردني ايضا مقدارٌ من المراثـي الشـعرية والنثريـة ومـا زلـت أحتفـظ بـه ، وسأختار منه ما أتمكن عليه ، براً بأبي وتقديراً لإحسانِهِ إليّ وشكراً للمساهمين والمحسنين من الشعراء والكتاب ٠

آباؤُهُ

هو : يُوسُف بنُ علي بن (أبي إبراهيم) محمد عبدا لله بن عبد ا لله بن علي الفقيه العاملي الحاريصي ٠

أُسْرَتُهُ

تعرف أسرته بآل الفقيه ، والمعروفون بهذا اللقب في جبل عامل كثيرون وقد لحق هذا اللقب بعض الناس بواسطة التفقه في الدين والقيام بواجبات الفقيه في بلدتهم او غيرها ، وهم ليسوا من آل الفقيه قطعا ، لأن نسبهم معروف ، كما ستعرف ذلك قبل التعرض لأصل آل الفقيه .

البِلاَدُ التِي يُقيمُ فيهَا آلُ الفَقيه في جَبَلِ عَامِلِ

يقيم جملة ممن يلقب بآل الفقيه في البلاد الآتية :

١- حاريص

٢- شوكين

٣- كفرتبنيت

٤- النبطية ؛ وأخبرني الشيخ أحمد صادق حفيد الشيخ عبد الكريم صادق ان آل الفقيه الموجودين في النبطية أصلهم من كفرتبنيت .

٥- حولا

٦- كفرا

٧- حداثا

٨- الطيرة

٩- صريفا

١٠- صور وأصلهم من قرية المنصوري ، كما أخبرني بذلك الشيخ عبد الله مديحلي .

١١- رب ثلاثين ؛ ويقولون أن أصلهم من حاريص .

١٢- عيثرون

١٣- السكسكية

١٤- مجدل زون

١٥- علي النهري ؛ وهي حاضرة من حواضر بعلبك .

١٦- حبوش .

١٧- روبين : وروبين وصروح وطيربيخا شبه بلدة واحدة موزعة على ثلاث قمم متجاورة جدا ومتحادية ، وهذه القرى هي من قرى جبل عامل التي اجتاحتها اسرائيل حوالي سنة ١٩٤٨م ونزح اهلها الى القرى المجاورة ، وهم يحملون الجنسية اللبنانية .

نهار الخميس ١٩٩١/٩/٢٨م الموافق ١٧ ربيع الأول سنة ١٤١٢هـ كنت عند ابن اخي العلامة الشيخ مفيد الفقيه في منزله في الحوش عصراً فوردنا السيد احسان مرتضى (ابو نصر) ومعه شخص اسمه عبد الكريم الفقيه ولعله متعلم او معلم ، و لم أسأله لأنني لم أكن منشرحا ، وتحدثنا عن آل الفقيه بعد ان قلت له أنتم لستم من آل الفقيه ، بل أنتم من بيت الغول ، وتبين ان الرجل محيط بهذا الموضوع فقال :

كنا في بلدة النبي روبين نُعرف ببيت الغول ، ثم فتحنا ملفنا في سجلات الدولة العثمانية فوجدنا الأرمية (اصل النسب) " فقيه " وكان والدي هو مختار البلدة فرفع استدعاء للدولة اللبنانية فحكمت لنا ، وصرنا " فقيه " ، وأهل روبين كلهم بيت واحد ، وكانوا لا يتزوجون الا من أقاربهم ، وفي احصاء سنة ١٩٤٥م كان عدد نفوس البلدة المذكورة ثلاثماية وخمسين نسمة ، ويوجد في ميس بيت الغول وكانوا يزوروننا ونزورهم كأقارب .

قلت له : ويوجد في (ديّن) واحد من بيت الغول ، ولعل أصلهم فلان والد المرحوم الشيخ محمد علي الغول الذي كان أحد طلاب العلم في زماننا في النجف ، ووالده هو أخو الشيخ نعمة الغول ، والشيخ نعمة الغول كان معاصرا للشيخ الوالد في النجف ، والذي أعرفه من صغري أن مكتبته متميزة وأن فيها دورة " بحار" وكانوا

يقولون لا يوجد دورة بحار في جبل عامل الا في مكتبته ومكتبة بيت صادق ، والشيخ نعمة كان معروفا بتربية المواشي فيقال انه كان عنده ثمانية عشر رأس بقر حلابة ؛ ومن الغريب أن هذه الصفة كانت معروفة في بلدتنا حاريص لجدي والد والدي وأخيه علي ابو ابراهيم والحاج حسن ابو ابراهيم ، وقد حدثتني الحاجة رحمة العلي كريمة مصطفى العلي انها خُطبت لوالدي وكان في النجف فباع جدي كذا من خوابي السمن بكذا ليرة افرنسية ودفعها لوالدها .

وبرز من آل الفقيه المهجرون من روبين في هذه الأيام داوود داوود ، فكان من أبرز زعماء حركة أمل بعد نبيه بري ، ونظيره الحاج محمود الفقيه من كفرتبنيت .

وقد اغتيل داوود داوود ومحمود الفقيه وحسن سبيتي وسائق سيارتهم على طريق الأوزاعي بين حاجزين سوريين في أيلول سنة ١٩٨٨م.

وقد عرفت داوود من أكثر من سنة من تاريخ وفاته وكنت أسمع به ولا أرغب في لقائه ولا في لقاء امثاله ، لان الخط الذي أسير عليه والغاية التي أتوخاها تبعد كثيرا عن خطوطهم وأهدافهم .

وقد زارني مرات كثيرة وقصد زيارتي مرات أكثر ولم يجدني ، وكانت أول زيارة تنبهت فيها لوجوده بين الجماعة التي كان يزورني فيها يوم وردني في صور مع جماعة من الأعيان الذين كنت أسمع بهم ولا أحيط بشأن من شؤونهم ، وتحدثوا في شأن حرب المخيمات وأعطيتهم رأيي الصريح .

وكان داوود حاضرا ولم يتكلم بكلمة واحدة ، نعم كان المعرّف الذي يتولى تعريفي بالوافدين يقدمه بالذكر .

وكانت أول مرة توجهت فيها اليه يوم كنت مدعواً في " رشكنانيه " عند ابراهيم صالح ، وكنت أحسب ان الدعوة لي ولبعض اهل العلم ، ولما حضرت تبين ان المدعوين اكثر من خمسين شخص ، وكان من جملة اهل العلم الشيخ عبد الحسين

العبد ا لله ، واتضح لي بعد ذلك ان هذه الدعوات متبادلة بين جماعة من أعيان القرى ولم أعرف لهم هدفا أكثر من التزاور .

وفي هذه المرة عرفت داوود بشخصيته وعرفت انه يستحق التقديم وكان في ذلك الوقت قد أقصي عن منصبه الرفيع في حركة أمل ، اما كيف عرفته : فانه لما صليت العشائين مع آحاد في المسجد وعدنا الى محل الدعوة جلست في مكان وجلس الشيخ عبد الحسين العبدا لله قريبا مني على يميني ، وجعل الناس يتخذون مجالسهم ، فتقدم داوود فوجد متسعا بيني وبين الشيخ عبد الحسين العبد ا لله فجلس فيه ، فقلت له : ليس هذا المكان لك ، وأشرت له الى مكان على يساري فأخلي له أو كان خاليا فجلس فيه .

ثم تناول السبحة التي كانت في يدي ، ووضعها في جيبه فقلت له : هذه السبحة أهدانيها الشيخ عبد الحسين في هذا النهار وهي ليست ثمينة وانما هي سبحة عادية ، فقال : أريدها للبركة ،فقلت له : بارك ا لله لك فيها ، ولكنها ستكلفك غاليا ، فقال : نحن بالخدمة ومستعدون !!

١٨- ويوجد آل الفقيه ايضا في اليمن ، وهم قبيلة كبيرة ، ولهم مدينة تعرف باسم بيت الفقيه، ولعل آل الفقيه الموجودين في المدينة المنورة بل في السعودية منهم ، ويوجد من يلقب بآل الفقيه في بلاد الدروز .

ففي سنة ١٩٤٦م زار لبنان الأمير عبد ا لله أحمد نجل الامام يحيا ملك اليمن ، فزاره الشيخ الوالد قدس ا لله روحه ، فحدّثه عن آل الفقيه الموجودون في اليمن، وعلى أثر ذلك قام الأمير بزيارةٍ للوالد في منزله في بيروت الكائن في برج ابي حيدر، وأقام الوالد له إستقبالاً حضره الأعيان من رجال الدولة وغيرهم ، وكان يدير الحفل زعيم الدرك في ذلك الوقت أبو غازي محمد جواد دبوق وكان ممن حضره الرئيس أحمد بك الأسعد وغيره من الزعماء والعلماء ومنهم العلامة الشيخ محمد جواد

الجزائري وهو أخو الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد اللطيف الجزائري ، وهم من أعيان النجف وعلمائها وزعمائها ، وبيتهم من بيوت العلم المعروفة الاصيلة.

بَعضُ مَن يُلقّبُ بِآل الفَقيه وَهوَ لَيْسَ مِن آلِ الفَقيه

إعلم أن بعض العوائل يلقبون بآل الفقيه وهم ليسوا منهم قطعا ، لان نسبهم معروف أو شبه معروف :

منهم : آل الفقيه الموجودون في بلدة طيردبا ، فانه يقال إنهم من بيت مغنية .

ومنهم : آل الفقيه الموجودون في بلدتي جويا و كفردونين ، فإنه يقال إنهم من بيت شومان .

ومنهم : آل الفقيه الموجودون في بلدة برعاشيت (برعاشيد) ، فإنهم من آل سليمان ، وقد سمعت ذلك مكررا من بعض ابناء أخوالنا آل سليمان الموجودين في بلدة البياض .

ومنهم : آل الفقيه الموجودون في القرعون أو في بلدة سحمر أو يحمر(الترديد مني) فإنهم من بيت مشيمش الموجودين في بلدة كفرصير ، فإنهم معروفون لدى آل مشيمش ، وقرابتهم لهم قريبة ، ويعرفون مَنْ تفرع عنه ، ويعرفون نوعُ قرابة بعضهم ببعض ، وهي قرابة يثبت معها التوارث شرعا .

ومنهم : آل الفقيه الموجودون في بلدة عنقون ، فإنهم من بيت مكي قطعا (الذين هم من العوام لا من السادة قطعا) وهم يعرِفون اباءهم ويعرفون أول من لقب منهم بالفقيه ، وقد ذكر لي ذلك محمد الفقيه اخو المهندس رضا الفقيه ، وقد سمعته يذكر أسماء الأباء لبعض بيت مكي من بلدتهم ، ويقول له : أليس جدنا وجدكم فلان وكذا وكذا .. ويذكر القرابة التي بينهم ، وكان الآخر يوافقه على ذلك ولا ينازعه فيه ، وكان هذا الشخص هو الذي يتوهم أنهم سادة من بيت مكي .

زمن الغريب أن إبن خالنا الشيخ إبراهيم سليمان ألحقهم ببيت مكي السادة وأعطاهم نسبا معظمه من مقاتل الطالبيين أو غيره ، ولما اطلعت على النسب ، تيقنت باشتباهه وعلقت عليه أول مرة بأن بين الحجة السيد حسين مكي وبين زيد نحو ثلاثة وثلاثين ظهرا ، ولكن بين حامل النسب وبين زيد نحو عشرين ظهرا ، وهذا الإختلاف لا يتحمله تأريخ التوالد في نحو أربعة عشر قرنا .

ثم زارني صهرنا العلامة السيدعلي مكي نجل الحجة المرحوم السيد حسين مكي ، فسألته من هو مكي الذي تنسبون اليه فذكره وبعد ذلك علقت على النسب الذي هو من الشيخ ابراهيم بانه كيف يمكن ان يكونوا من بيت مكي مع انه ليس لمكي في النسب الذي يحملونه عين ولا أثر .

فائدة مهمة

يوجد في بلادنا عدة عوائل مشتركة في اللقب ، مع ان بعضهم سادة بلا شك ولا ريب ، وبعضهم الآخر غير سادة بلا ريب .

فبعض بيت نور الدين في جويا ، وفي قلاوي ، من غير السادة بلا شك ولا ريب ،ومنهم العلامة الشيخ علي نور الدين حفيد العلامة المقدس الشيخ حسين نور الدين ، أدركته ، وكان يعدّ من أسن علماء بلادنا ، ولكن بيت نور الدين في جويا وفي عرب صاليم وفي النبطية الفوقا وفي بلاد أخرى سادة بلا ريب .

وبيت شرف الدين في صور وشحور سادة يتقربون ببيت نور الدين ، ويجمعهم السيد نور الدين علي ، المعروف ، حسبما اتخطر .

ولكن بيت شرف الدين في النبطية وكفرتبنيت غير سادة بلا ريب ، منهم – عبلة– والدة خليل بك الأسعد ومحمد بك الأسعد ، والكل يعرف أنهم ليسوا من السادة .

وبيت فحص ، منهم عوام ومنهم سادة ، وكلاهما موجود في قريتي جبشيت وقبريخا ، ومثلهم بيت حجازي والعوام الذين يلقبون بآل حجازي ، موجودون في قرى كثيرة .

وبيت فخر الدين ، منهم سادة ومنهم عوام .

وبيت قشاقش ، منهم سادة ومنهم غير سادة ، وكان بيت الأمين السادة المقيمون في شقراء يُعرفون ببيت قشاقش ، ويوجد بيت قشاقش من العوام في القاقعية وفي حانين .

وبيت الأمين في شقراء والصوانة وغيرها سادة ، ولكن بيت الأمين في جباع والمطرية وغيرها غير سادة ، وهم ينتسبون إما الى آل علي الصغير أو الى آل الصعبة أو إلى المناكرة و لم أبحث عن ذلك.

وبيت العلي في شقراء سادة ، وبيت العلي في حاريص ليسوا من السادة قطعا.

وبيت شكر ، كانوا قديما في عيناثا وغيرهم سادة ، ويوجد بيت شكر في جهات بعلبك وغيرها كانوا غير سادة الى سنة ١٣٥٦ هجري تقريبا ، ولكن بعضهم ألحق نفسه بالسادة ، والبعض الآخر لا يزالون على العامية ، ومنهم العلامة الشيخ حسين الخطيب وابن عمه العلامة الشيخ ابراهيم الخطيب ، وكانوا ايام وجودنا في النجف يعرفون بالشيخ حسين شكر والشيخ ابراهيم شكر ، وقد أرسل المرحوم السيد علي زين الحسيني (مستشار محكمة التمييز الشرعية الجعفرية) كتابا للمرحوم آية الله الحكيم يثبت فيه ان بيت شكر غير سادة ، ولو اردنا الاستقصاء لعجزنا عنه .

وبيت عطوي في مركبا وعيتيت سادة ، وقال لي السيد خضر : (إنهما أخوان جاءا من العراق وسكن أحدهما في مركبا والآخر في عيتيت) ، وبيت عطوي من غير السادة كثيرون جدا ولعل أصلهم او معظمهم من نسل المرحوم الشيخ فلان ، الذي تخلف بعشرة بنين وتفرقوا في عدة قرى وهم غير سادة قطعا .

فائدة ثانية : القيافة وحكمها في الاسلام

القيافة : إلحاق الناس بعضهم ببعض نسبا ، إستنادا الى علامات خاصة ، يتوارثها القافة الأذكياء ، توجب الظن بكون هذا الشخص مثلا من نسل ذاك الرجل لا من غيره ، وكان العرب يحكّمون القافة ويرتبون آثار القرابة على ما يحكمون به .

وقد نهى الاسلام عنها وحرمها ، وحصر إثبات النسب بأمور خاصة مسطورة في كتب الفقه والحديث ، ويجب الرجوع لمعرفتها الى العلماء المجتهدين ، ولا يجوز ترتيب آثار القرابة من التوارث والمصاهرة إلا في الموارد التي يثبت فيها النسب من الطرق الشرعية .

اما القرابة التي هي باب من أبواب التعارف والمودّة والتعاون على عمل الخير وحلّ المشاكل ، فهي شيء آخر ولكن هذه الامور المقصودة من القرابة المذكورة هي من الامور الشريفة التي ندب الاسلام إليها وحث عليها .

وبالجملة : مقتضى الاصل عدم الإنتساب إلى أن يقوم الدليل عليه ، ومقتضاه ايضا إباحة تقرب الناس بعضهم ببعض ، إلا اذا أدّى ذلك إلى التحريم والتحليل ، فلا يجوز ان يقول إنسان لآخر يا عم أو يا ابن العم بالمعنى الحقيقي لأنه كذب محرم، إلا اذا كان عماً شرعيا او ابن عم كذلك ، أما اذا قال ذلك من باب التكريم للكبير أو الاحترام للصغير فلا مانع ، والعرب يستعملون ذلك بينهم حتى الساعة ، ومن هذا الباب الأخ والأخت وذلك كله مما لاريب فيه.

قلنا : إن العرب كانوا يهتمون بالقيافة ويعظمون القافة ، ويتحاكمون اليهم ، ومن اجل ذلك قالوا : إن أقيف العرب بنو أسد ،وإنهم يقولون : مهما اختلف الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد ، فلن يفوتهم التشابه في واحد من ثلاثة : المشية والرأس والصوت !!

وعلى ضوء القيافة والعرافة ، سنذكر أمورا هي أكثر دلالة على وحدة النسب

من التشابه في المشية والرأس والصوت ، وعلى أساس ذلك نقول :

أنه من الملفت ، أن أسماء آل الفقيه في عدة من القرى متقاربة ، مثل محمد وعلي وأحمد وحسن وحسين ومحمود وعبد الله ويوسف وابراهيم وموسى ، وذلك يدل على أن اباءهم كانوا يحملون هذه الاسماء ، لأن عادة العرب تسمية أولادهم الأُوَل باسم ابائهم ، وبعض هذه الأسماء وإن كانت متداولة عند جميع الشيعة في بلادنا ، إلا أن يوسف وابراهيم وموسى وخليل ومحمود وأحمد ليست كذلك .

ومن الغريب أنه في سنة ١٩٧٨ م تقريبا وردتني رسالة نعي ، فتحتها فإذا فيها صورة مصطفى إبن أخي الشيخ علي الفقيه فارتعت لذلك ، ثم تلوتها ، فتبين أنه من كفرتبنيت ، والشاب المتوفي في سن مصطفى ويشبهه شبها كاملا ، وما زلت أحتفظ بها وطالما عرضتها على كثيرين .

ومن الغريب ايضا ،أنـي كنت جالسا في الديوان في منزلي في حاريص فمر الشيخ عبد الآله إبن أخي الشيخ علي ايضا ، فسلم علي وأخبرني أنه ذاهب إلى صور وسألني عما أريد من صور ، ثم ذهب وكان يمتطي سيارة والده وهي سوداء اللون ، ثم قبل أن نبرح من الديوان عاد بسيارة بيضاء وتركها على طرف الطريق وأقبل علينا ، فلم يشك أحد من الحاضرين انه الشيخ عبد الآله ، ووقفوا لاستقباله والتسليم عليه ، وقمت معهم معتقدا ان السيارة التي ذهب بها تحطمت بحادث وانه عاد بسيارة اخرى بيضاء ، وكان كل همي أن أعرف ما جرى عليه وعلى السيارة ، ولكن لما اقترب مني وسلم علي عرفت انه ليس هو ، فهدأت نفسي ، ثم استأذن وخرج ، فقال الحاضرون ومنهم المرحوم الحاج علي شعبان والد مصطفى وفؤاد ونبيه وأحمد : لماذا لم يجلس الشيخ عبد الآله وما السبب في استعجاله في الخروج ، فأخبرتهم بأنه شخص آخر من آل الفقيه الموجودين في السكسكية .

ومن الغريب ايضا ، أن ابن شقيقتي الحاج نايف الفقيه وردنا في هذه الليلة ليلة الأثنين

١٤/١١/ ١٩٨٨م وكان حفيدي ماجد ابن ولدي الشيخ محمد جواد مشغولا بنقل ما نحن فيه الى المبيضة ، فحدثنا بما يلي : قال :

كنت جالسا في بيت خالي الشيخ علي الفقيه قريب مدخل البيت ، فنظرت فاذا ابن خالي الشيخ عبد الأمير مقبلا ، وكان قد مضى عليه نحو ثمان سنوات غائبا في سيراليون ، ولم يكن بجيئه محتملا ، فلم أتمالك ان رفعت صوتي قائلا: هذا الشيخ عبد الأمير ، وأسرعت لاستقباله والتسليم عليه ، ولكن لما اقتربت منه في المكان الذي تقف فيه السيارات ، وجدته شخصا أعرفه واسمه علي الفقيه من السكسكية ، فسلمت عليه وعدت وإياه الى المجلس .

ولا ريب ان ما ذكرناه من التشابه، اكثر دلالة على وحدة النسب من الشبه في الرأس والمشية والصوت .

هذا وفي سنة ١٩٨٠م تقريبا وردني جماعة من آل الفقيه الموجودون في بلدة رب ثلاثين ، قضاء بنت جبيل ، ومعهم رسالة موقعة منهم ومن جماعة آخرين لم يحضروا معهم ، يذكرون فيها أنهم ينتسبون إلى جدهم خليل الفقيه الذي جاءت به والدته من حاريص الى رب ثلاثين وكان طفلا صغيرا ، وأن أمه تزوجت بفلان من بيت بركات وأن خليلا عندما كبر لمع وظهر أمره ، وهم يعرفون أولاده وأحفاده واحدا واحدا ، وقد ذكروهم في تلك الرسالة ، وقد طلبت هذه الرسالة بين امثالها من الأوراق التي احتفظ بها فلم اجدها .

أظْهَرُ صِفَاتِهِ وسِمَاتِهِ

هو أحد فقهاء عصره المتفوقين ، فهو عالم مجتهد محقق ثبت ، صافي الذهن نقي العبارة ، لا يقول شيئا في المسألة حتى يحيط بجهاتها ، أقوالا ونصوصا وقواعد ، ثم يوجزها بعبارة مفهمة خالية من الفضول ، ومؤلفاته تشهد له بذلك كله .

كان فصيح المنطق حتى لا يكاد يخفى حرف من حروف كلماته ، وصوته أشبه بالجَهْوَري ، وكان يدخل اللغة العامية الدارجة في أثناء كلامه ووعظه ، وكان غزير الدمعة ، فإذا وعظ بكى وأبكى ، وإذا رأى يتيما قرّبه وأدناه وأعطاه وحاول إضحاكه وبكى لأجله .

كان سريع الغضب سريع الرضا ، ويعتذر ويعلن التوبة ويكرر الإستغفار .

وكان جميل الصورة ممتلىء البدن ، نقي البشرة أقرب ما يكون للبياض ، ربعة في الرجال إذا كان واقفا ، فإذا جلس كان كأنه من أطولهم ، أصهب الشعر يميل قليلا الى الحمرة ، توفي عن ثمانين عاما و لم يكتمل شيبه ، بل كان ما شاب منه دون ما بقي على لونه الطبيعي ، وكان يصاب بالشقيقة ، وفي اواخر أيامه أبتلي بالضغط حتى أقعده ، وكان لا يمل من مزاولة المصادرالفقهية ولاسيما ليلا ، وقد يبقى حتى بعد منتصف الليل بساعة أو أكثر ، وكان ينتبه قبل الفجر تارة وبعده أخرى .

وكان مرحا منبسط الأسارير ، غير معقّد ، تعجبه القصة المرحة ويبتهج لها ، و لم يُرَ مبتذلا إلا في أوآخر عمره ، فإنه كان يرتدي ألبسة كاملة ما عدا العمة فإنه كان يستبدلها بحزام من الصوف الابيض يلفه على رأسه شبه العمامة ، أما قبل ذلك فإنه كان لا يواجه احدا إلا وهو في لباسه الكامل .

وكان واسع الشخصية في بلادنا ، فإنني ما دخلت قرية من قرى بلادنا إلا ووجدت فيها من يعرفه ويتحدث عنه وأكثرهم يقول أنه استقضاه حاجة فقضاها له .

وكان يتصل بالحكام ويستقضيهم حاجات الناس ، وكان لشدة ثقته بنفسه قد يستقضي حاجاتهم ممن لا يعرفه فتقضى له .

وكان منزله في بيروت ندوة لعلية القوم من الوزراء والنواب وسائر الأعيان من رجال العلم والفكر والسياسة ، وسواء في ذلك الشيعة والسنة والمسيحيين ، بل كان زعماء المسيحيين يتقربون اليه أكثر مما عداهم .

وكان مضيافا حتى في بيروت ، وأما يوم كان في حاريص فقد كان يوصي المرحوم الحاج مصطفى العسيلي ، وكان يملك أكبر قطيع من الماعز في حاريص ، بأن يستنقي له المخاصي من ثنايا الماعز ، ثم يشتريها منه ويذبحها للوفود وكرام الناس .

كنت أنا وأترابي من ناشئة آل الفقيه نفرح إذا وردنا اضياف محترمون ، وكنت ألاحظ الاستبشار والسرور يلوح على وجوه الذين يكثرون التردد على الديوان ويقومون بخدمات الضيوف ، وكان لا يؤذن لنا بالجلوس على المائدة إلا بعد انفصال الغرباء عنها - وهنا يتجلى الكرم العربي - نعم يتجلى في حرمان الابناء والاقرباء وإيثار الضيوف والغرباء.

وأستحسن في هذا المقام نقل بعض القصص :كان يأمرنا في طفولتنا بحفظ هذه الابيات التي لا أزال احفظها ولا أعرف قائلها :

مرحى ضيوفٌ ما لهم عددٌ فاستقبلوهُمْ أيُّهَا الولدُ
واللهِ لو لم يبْقَ غيركمُ لنحَرْتُكُمْ وأطالعي وَقْــدُ
يا عبد قم واعلف ركائبهــم وامــدد سمــاط الــزاد يا زيد
اللحم والخبز الطــري لهــم ولنا فتــات الخــبز والثــرد

وكان يكرر هذه الابيات :

عجبا" لمن يرجو المحامدَ وهْوَ يمنَعُ ما لديهِ
ولباسطٍ للمجدِ عينَا كيفَ لمْ يَبسطْ يديهِ
لمْ لا أحبُّ الضيفَ أوْ أرتاحُ من كرمٍ أليهِ
والضيفُ يأكلُ رزقَهُ عندي ويشكرُني عليهِ

قصة

ومما حدثنا به مرارا ، وهو يحثنا على الضيافة وإكرام الضيف ، قال :

(كنت واقفا امام الديوان في حاريص عصرا قريب المغرب ، والسماء تمطرمطرا ناعما ، فاجتاز بي فارس على فرس ، وخادمه يسير بين يديه ، فلما اقترب مني سلم ووقف كالمتحير ثم قال : من أين الطريق الى تبنين ، فأرشدته اليه ، فسالني عن المسافة إليها ، فقلت له: نحو ساعة ، فسبقت مني كلمة تفضل ، فأحسست منه الرغبة في الاستراحة ، فأعدت عليه الكلام ، فنزل عن جواده ، وخسرت في ضيافته فرخا من الدجاج ، ثم لما استقر ، قال : جزاك الله عني خيرا ، انقذتني انا وفرسي وخادمي ، لانني خرجت من عكا منذ الصباح ، وكلما حاولت الحصول على الطعام لنا وعلى علف للدابة بطريق الشراء او غيره لم أجد سبيلا الى ذلك .

وانما لم يجد الطعام لان أهل القرى عرب والعرب لا يبيعون الطعام فالظاهر انه لم ينزل عند أحد و لم يستدعه احد .

ثم عرفني عن نفسه ، وقال : إنه فلان من بيت قدورة ، وإنه ابن أخت مفتي عكا ، وفي صباح اليوم الثاني ودعنا وانصرف ، ونسيت كل ما كان).

قال الشيخ الوالد : (ثم بلغني ان الشيخ صلاح سلامي سيق جنديا للخدمة الاجبارية).

وكان الشيخ صلاح المذكور من تجار النبطية ، وهو والد زوجته - أم أخي جعفر- وكانت الحكومة قد أعفته بكونه امام مسجد النبطية الفوقا ، او كفرتبنيت ، وتبين أنه مهمل للوظيفة.

قال الوالد : (وكنت جديد عرس بابنته -المذكورة - فعظم عليها ذلك ، وفي سحر تلك الليلة قصدت النبطية فوردتها صباحا ، فأخبروني بأنه نقل إلى صيدا ، فقصدت صيدا ، ودخلت السراي ، فسألت رجلا عن شخص أعرفه ، وكان ذلك

الوقت وقت خوف و تقية ، فاستقبلني ذلك الرجل وسلم علي بحرارة ، وجعل يلحّ عليّ بدخول غرفته ، فأوجست منه خيفة ، واعتذرت إليه بأنني مستعجل وعندي حاجة مهمة ، وكأنه أحس مني بأنني مرتاب .

فقال : كأنك لم تعرفني .

فقلت له : ومن انت ؟

فقال : انا عتيقك ، انا الذي نزلت عندك ليلا في وقت كذا .

قال الوالد : فعرفته ، ودخلت الغرفة ، وقدم الشاي وغيره ، ثم سألني عن مهمتي فأعلمته بها .

فقال : اليوم يعود ولو كان في الطابور في عكا ، وهكذا كان -لان مفتي عكا في ذلك الوقت خاله كما اشرنا -) .

قصة ثانية

حدثني الثقة الورع الفاضل الخال الشيخ حسين سليمان أكثر من مرة ، قال :

(لا أعرف في العلماء أكثر توبة من والدك ومن السيد عبد الحسين شرف الدين ، ثم قال : ان لم يكن لوالدك إلا واحدة لأدخلته الجنة .

قلت : وما هي ؟

قال : لما اشتد الجوع في أواخرالحرب العامة ، واضطر الشيخ الى بيع فرسه الشقراء ، وكانت من كرام خيل عامل ومشاهيرها) .

اقول : وهذه الفرس اشتراها الحاج محمد سعيد بزي ، وكان يعد الزعيم الثاني بعد كامل بك الأسعد ، وبقي نسلها عنده ، ورأيت من نسلها حصانا يركبه بعض بنيه ، باعها الوالد بثمانية عشرة ليرة عثمانية ذهبا ، واشترى بثمنها كذا مدا من الأذرة وكذا مدا من الشعير -والمد مكيال متوسط ، زنته اثني عشر كيلو غرام -

وكان يأمر بخبز نصف مد كل يوم ، نصف منه لشؤونه ونصف يوزعه على الفقـراء ، لكل نفس رغيف .

قال الخال : (كنت جالسا وإياه للطعام ، فقدم له رغيفان ولي رغيفان ، فطرق شخص الباب ، وكان آخر الليل ، وقال : يا شيخ يوسف اعطيت كل النـاس إلا أنـا ؟ فاستبقت أنا وإياه ، فدفع أحدنا له رغيفا من حصته ، ثم جاء آخر ففعلنا كذلك ، ثم جاء ثالث ففعلنا كذلك ايضا ، فبقي لي نصف رغيف وله نصف رغيف).

قصة ثالثة

في العهد العثماني البغيض ، شمل قانون الجندية المرحوم أبا نايف - محمد الحـاج حسن الفقيه - فصحبه والده الى صور ليدفع عنه بدلا خمسين لـيرة إفرنسـية ، فسـمع المنادي ينادي أن الباخرة رست في مكان كـذا وكـذا ، وكـانت البواخـر الأجنبيـة في ذلك الوقت تنقل الشباب إلى خـارج بلادهـم ، وتحملهـم الى الجهـة الـتي يريدونهـا ، فقرر والده ان يرسله في البحر مع أمثاله .

وكان المرحوم الوالد في صور ضيفا علـى المرحـوم السـيد عبـد الحسـين شـرف الدين ، فجاء عمنا الحاج حسن مستبشرا ، ومع ذلك يريد ان يستشير الشيخ في ذلك الامر ، فقال له الوالد : يا عـم أتضيـع ولـدك في البحـر ، ولا تنقـذه بخمسـين لـيرة ؟ فأجابه : يريدون مني كل سنة خمسـين لـيرة ، وبعـد مـدة ينفـذ مـا عنـدي ، وحينئـذ يأخذون ولدي ، فأكون قد خسرت ولدي ومالي .. وأخـيرا بعـد أخـذ ورد اتفقـوا على الإستخارة ، وكانت تلـك الليلـة ليلـة جمعـة ، فاسـتخار ا لله سـبحانه في القـرآن الكريم ، فكان الجواب قوله تعالى (واضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركـا ولا تخشى) .

فأرسله في تلك الباخرة ، فغاب سبع سـنوات تقريبـا ، وعـاد في سـنة ١٩٢٠م

ومعه على ما قيل خمسون ألف ليرة ذهبا ، وكان هذا المقدار من المال يكفي لشراء ألآفات الدونومات من الأرض وغيرها.

فاقتنى وبنى وملك الماشية والخيل الجياد وأنعش الكثيرين ، وفتح بيته للشارد والوارد، وأكرم العلماء والشعراء .

لمحةٌ عَن آل الفَقِيْه وعن تَنَاسُلِهم في حَارِيص

توفي جده أبو إبراهيم - محمد عبدا لله الفقيه- شابا ، ودفن في المقبرة القديمة التي دَرَسَت وأصبحت ساحة للبلدة ، وموضع القبر في الساحة في الجهة الملاصقة لدار المرحوم فايز الحاج عباس ، من جهة الغرب .

وخلف ولدين لا غير ، وهما :

١-علي ابو إبراهيم ، والد المترجَم ، وكان عمره حين وفاة والده نحو عشر سنوات .

٢-والحاج حسن أبو إبراهيم وكان فطيما .

وكانا في صباهما يعرفان بكنية ابيهما ، فيقال لكل منهما ابن أبو إبراهيم ، ولهما معا اولاد أبو ابراهيم ، وهذا مما يدل على بروزه على صغر سنه .

ولما توفي أبو ابراهيم -محمد عبدا لله - بيعت داره الكبيرة واشتريت لهما دار صغيرة بجوار عمتهما زمزم الفقيه ، زوجة المرحوم الحاج محمد خليل والد الحاج قاسم خليل والحاج خليل والحاج محمود خليل .

قال الشيخ الوالد : أدركت عمتي زمزم وهي تتوكأ على عصا ، وكان لها هيبة واحترام ، ولا زالت هويتها العثمانية موجودة عند حفيدها الحاج علي محمد الحاج قاسم خليل ، ولا يزال يحتفظ بها .

ولما كبر الحاج حسن وضعه أخوه علي عند معلم القرية ، فتعلم القراءة والكتابة.

ثم بعد ذلك شمله قانون الجندية في العهد العثماني ، فوصل الى رتبة ملازم أول في الجيش في ثلاثة اشهر (فتولى الأروانة) ولعلها اسم في التركية لرواتب الجنود او للمواد التي توزع على الجنود ، وبقي مدة يلقب (حسن أغا).

ثم إن علي ابن ابي إبراهيم تزوج سلطانة بنت حسين يحيا من حاريص ، وتزوج ابن عمته الحاج محمود خليل أختها الحاجة جميلة .

ولما استقل علي ابن ابو ابراهيم في حياته ، اصبح بيته منزلا للعلماء ومأوى للضيوف.

وقد أدركت بيته قبل تجديده ، ورأيته يتميز بوجود غرفة كبيرة لها باب وشباك يفتحان على الشارع ، ولها باب آخر يفتح على صحن الدار ، تلك الغرفة فيها قنطرة واحدة ، وسقفها من خشب الزيتون الضخم ، وجدرانها ضخمة ، ولصحن الدار بوابة كبيرة من جهة ذلك الشارع ، يدخل منه سكان البيت وماشيتهم ، والبيت مثل بيوت الفلاحين : قناطر واسطوانات وأخشاب فوق القناطر .

وقد أعقب من زوجته الوحيدة المذكورة ، أربعة بنين وبنتين - وكلهم أعقبوا ذكورا وإناثا - اما البنون فهم :

١- الشيخ يوسف الفقيه ، المترجم ، وهو أكبرهم .

٢- ويليه الشيخ احمد الفقيه .

٣- ثم الشيخ محمد علي الفقيه ، ويعرف تارة بالحاج محمد علي وأخرى بالحاج أبو وجيه ، وهو مؤلف كتاب كشكول الفقيه .

٤- ثم الشيخ ذياب الفقيه ويعرف بالحاج ذياب تارة وبأبي موسى أخرى .

واما ابنتاه فهما :

١- الحاجة فاطمة الفقيه ، زوجة المرحوم محمد عبدالله موسى العلي .

٢- والحاجة ضوية الفقيه ، زوجة المرحوم الحاج محمد علي جواد .

وكان المرحوم جدي لأبي ، علي ابو ابراهيم ميسورا ، يهتم في تملك العقارات والبقر الحلاب ، و لم يكن من أهل الثراء ، وكان ثقة عند الناس ، وكان يكفل المعوزين من أهل بلدتنا عند التجار .

ومن الصدف أنني كنت جالسا في كربلاء في الصحن في إحدى الزيارات ، ولعل ذلك كان في العقد السابع من الماية الرابعة الهجرية ، فجاءني المرحوم الشيخ موسى بري العاملي ، ومعه الحاج فلان من تبنين المقيم في إحدى بلاد الهند هو وذريته ، والذي جاء من الهند بقصد الزيارة ، فعرفني به .

ولما عرفني ، حدثني بأنه وُلد هو والشيخ الوالد في سنة واحدة ، وأن والده كان صديقا لجدي ، وكان يقرض أهل البلدة بكفالة جدي وأن دينه هو شخصيا كان لا يزيد عن مائة قرش .

ثم انني سالته عن حياته في الهند ، فقال : الخُضَر الصيفية مثل الباذنجان والبندورة والخيار موجودة طوال السنة ، لأن الجو معتدل ، فهو يكون مشمسا نحو اسبوع ثم يمطر ، وحدثني ايضا ان الشيعة في يوم عاشوراء يوقدون نارا عظيمة ، فإذا استحالت جمرا مكسوا بالرماد ، اجتازها قسم من الناس وأنها لا تؤذيهم .

فقلت له : وهل فعلت ذلك انت ؟

قال : لم اجرؤ ، لكن أولادي في كل سنة يفعلون ذلك .

اما **عبد الله الفقيه** فلا نعرف عنه أكثر من أنه والد محمد عبد الله أبو إبراهيم ، وانه تخلف به وبثلاث بنات أو أربع وهنّ : زمزم و رحمة و قرنفلة ، وأنهن كن متميزات في حاريص بالكمال والجمال والترف والشرف ، وكن يسمين بالخيول الخضر .

أما **زمزم** فهي زوجة الحاج محمد خليل ، وقد أعقبت منه من الذكور ثلاثة :

احدهم : الحاج قاسم وله من الذكور ولدان : الأول : محمد الحاج قاسم ،

والد المرحوم سعيد محمد ، المعروف بأبي جميل ، ووالد الحاج علي خليل وهو من المؤمنين المعروفين في حاريص والبارزين في سيراليون ؛ الثاني : الشيخ احمد الحاج قاسم ، و لم يعقب الا ولدا واحدا وعدة بنات ، ويعرف بأبو أحمد ، واسمه علي الشيخ احمد الحاج قاسم ، وعدة بنات .

ثانيهم : الحاج محمود خليل ، أعقب من الذكور الذين أعقبوا ولدا واحدا اسمه الحاج عباس الحاج محمود خليل ، والمرحوم الحاج عباس أعقب من الذكور أربعة : المرحوم فايز والمرحوم علي ومحمد وحسين .

ثالثهم : الحاج خليل ، وأعقب ولدا واحدا من الذكور اسمه ابراهيم الحاج خليل ، وكان موظفا بارزا في شركة فورد الامريكية ، وبنتين ، اسم احداهما الحاجة فهدة الحاج خليل ، أعقبت بنتين لاغير ، وبنتاها اعقبتا ذكورا وإناثا ، والثانية المرحومة الحاجة فاطمة ، و لم تعقب .

وأما **رحمة** فهي جدة بيت مالك الذين يقال إنهم من ذرية الشيخ ابراهيم الحاريصي .

وأما **قرنفلة** فهي جدة الحاج محمد عبدو وابن عمه الحاج خليل خليل - حسن علي أحمد -وهما من البحامدة الذين يلقبون اليوم ببيت علي أحمد .

واما علي الفقيه ، جدّ محمد عبدا لله الفقيه ، فمن المحتمل أن يكون هو الذي أنشأ الآبار التي سنتحدث عنها تحت عنوان آبار آل الفقيه في حاريص ، ومن المحتمل أن يكون الذي انشأها بعض آبائه ممن يوافقه في الاسم .

واما المرحوم الحاج حسن الفقيه المعروف بالحاج حسن ابو ابراهيم عم والدي فقد توفي سنة ١٣٤٢ هجري تقريبا في شهر رمضان ، ودفن جنب اخيه علي أبو إبراهيم الفقيه في مقبرة حاريص الواقعة على طريق العين المعروفة بعين الضيعة تارة وبعين المزراب (الميزاب) اخرى ، ولما توفي قام ولده الوجيه ابو نايف محمد الحاج

حسن بتعميم الدعوى الى اسبوع والده ، فكان اسبوعا حاشدا ، وكانت مثل هذه الاسابيع في ذلك الوقت نادرة لصعوبة المواصلات ولعدم قدرة الناس على تكاليفها .

ولما توفي نزع الرجال (العقل) واكتفوا (بالكوفية) ، ووضع الشباب (عقلهم) في رقابهم وبعضهم صبغ (كوفيته) وترك الناس دق اللحم وحلق الشعر.

وهذه العادات كان الناس يتخذونها علامة للحداد على الفقيد الغالي ، وتكون سعتها بقدر مكانة الفقيد.

ولكن ابا نايف حاول نسخ هذه العادة ولعله بإيعاز من الوالد ، فلبس عقاله وحلق شعره ، وذبح وفرق اللحم ، وأمر الناس بأن يفعلوا مثله ، وأعتقد أن هذه العادات زالت من بلدنا منذ ذلك الوقت.

ثم إن الذين أعقبوا منه - اعني من الحاج حسن ابو ابراهيم عم والدي - من أولاده الذكور ثلاثة :

الاول : الشيخ محمود الفقيه ، وقد توفي في حياة والده بسبب سراية الجروح التي تعرض لها من اللصوص الذين حاولوا سرقته أو إغتياله في منزله ليلا ، ويرجع السبب في ذلك الى انه كان بارزا في احد جناحي السياسة المحلية في ذلك العهد .

وقد أعقب ولدا واحدا ذكرا يعرف بحسن الشيخ محمود الفقيه ، وأ ربع بنات ، وحسن هذا أصغر إخوته سنا ، وكان رحمه الله من أشجع الناس ، وكان آل الفقيه يسمونه شريرا .

ثم إن حسن الشيخ محمود تزوج باكثر من واحدة ، ثم هاجر الى سيراليون وتوفي فيها عن نيف وأربعين سنة ، ولم يعقب من الذكور إلا ولدا واحدا يعرف بمحمود حسن ، وهو الان يقيم في بلدتنا حاريص وعمره نحو من خمسين سنة وعنده ولدان واكثر من بنت ، والولدان هما : حسن ومحمد ،توفي الاخير منهما بداء الربو .

الثاني : محمد الحاج حسن ، المعروف بأبي نايف ، وقد تزوج بابنة عمه ،

شقيقتنا الحاجة زهرة الفقيه ، المعروفة بالحاجة ام نايف ، وأعقب منها ثلاثة بنين ذكور وأربع بنات ، وهي الان في أواسط العقد التاسع من العمر ، وذلك في ١٩٨٩/١/١٣م ، وهم :

الحاج نايف ، والاستاذ منيف ، والحاج أحمد.

وكان ابو نايف سحابة كرم واحسان ، وكان منزله مفتوحا للشارد والوارد ، وكان يقصده الشعراء وأرباب الحاجيات .

والحاج نايف والاستاذ منيف من المغتربين اللامعين ، وقد لمع من أولاد الحاج نايف في الطب النسائي الدكتور حسن ، على وجه اصبح متميزا فيه ، وتخلف كل منهم بعدة بنين وبنات

والاستاذ منيف كان يعد في شبابه من الخطباء اللامعين وانا لم أره بعد هجرتي للعراق وعودتي منها إلا مرة واحدة منذ اربعين سنة ، والتقيت بأحد بنيه وهو غالب وإني أتوسم فيه خيرا كثيرا.

واما الحاج أحمد فهو يتقن عدة صناعات ، وهو ثقة عند معارفه .

الثالث : الحاج علي الحاج حسن الفقيه ، المعروف بأبي انيس ، وقد تزوج امرأة واحدة ، وأعقب منها الاستاذ أنيس الفقيه ، ثم طلقها و لم يتزوج بعدها ، والاستاذ أنيس صحافي لامع ، عمل أولا في الخليج ، ثم في بيروت ، و لم يزل حتى الساعة .

ثم إن المرحوم ابا نايف تخلف بأربعة بنات :

الحاجة نايفة الفقيه ، وقد تزوجها ابن خالنا العلامة الشيخ سليمان آل سليمان ، فأنجبت منه عدة بنين وبنات ، ومن بنيها اللامعين الدكتور كامل ، والدكتور أحمد وهو أخصائي بامراض القلب ، والدكتور علي وهو اخصائي بأمراض العيون وجراحتها ، والشيخ حسين وهو عالم ديني محترم .

والحاجة سعاد الفقيه ، وقد تزوجها المرحوم العلامة الشيخ سليمان اليحفـوفي ، وأنجبت منه عدة بنين وبنات ، وبعض ابنائها يطلبون العلم الديني .

والحاجة ونسة والحاجة نجلا .

نَشْأَتُهُ

شرع في تعلم قراءة القرآن الكريم لست سنوات مضت من عمره أو دونها ، وفرغ منها لثلاثة أشهر أو أقل ، ثم قضى وقتاً في خدمة أبويه تنوف على سبع سنين ، وكان في خلال ذلك يتعلم الكتابة ويزاول كتب القصص والغزوات والأدعية والأوراد والآثار والكرامات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، بأمر من أبيه .

ثم هاجر الى عيتا الزط (التي أصبح اسمها اليوم عيتا الجبل) وهي قرية من قرى لبنان الجنوبي وتبعد عن حاريص نحوا من خمسة كيلومترات (١)

وكانت يومئذ مجمعا للطلاب ، فقرأ فيها : النحو ، والصرف ، والمنطق ، والمعاني والبيان في مطوّل التفتازاني ، على جملة من الفضلاء ، ومنهم العالم الجليل السيد حيدر مرتضى ، وأخوه العلامة المحقق السيد جواد مرتضى ، وقرأ عليهما كتاب الشرايع في الفقه للمحقق الأول ، وكتاب المعالم في الاصول للمحقق الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني .

ثم انتقل الى مدرسة عيناثا فقرأ على العلامة المتفرّد في التحقيق والتدقيق السيد نجيب فضل ا لله (الحسني) كتاب القوانين في الاصول للمحقق القمي ، والشطر الوافر من كتاب فرائد الأصول المعروف بكتاب الرسائل لأوحدي عصره الشيخ مرتضى

---

(١) وحاريص قرية في الجنوب اللبناني تقع على مقربة من تبنين من جهة الجنوب الغربي وهي اليوم من ألمع وأشهر القرى في تلك المنطقة ، وتعتبر قرية مثالية في عمرانها، وفي نشاط مغتربيها .

وعيتا الجبل ، تقع في حنوب تبنين الشرقي ، وهي أقرب الى تبنين منها الى حاريص .

الانصاري ، وقرأ عليه شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني الشيخ زين الدين والد صاحب المعالم ، وقرأ عليه جملة من كتاب الرياض للسيد علي الطباطبائي ، وهو دورة فقهية كاملة في شرح كتاب النافع للمحقق الأول ، وسمعته مرة يقول : عندما وصلت الى هذه المرحلة اصبحت أشعر أن فائدتي منه قليلة ، فقررت السفر الى العراق .

وفي هذه المدة تزوج بفتاة اسمها (مُفَضَّلَة الحاج خليل) حسبما أتذكر اسم أبيها ، و لم تحمل منه فطلقها ، ثم تعلق بفتاة من السادة من آل جعفر من يارون أو من عيناثا ، فتولى خطبتها العلامة الوجيه السيد حيدر مرتضى ، وصحبها معه الى النجف الاشرف ، ومعنى هذا أن والده زوّجه مرتين قبل بلوغ العشرين من عمره ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على يسار أبيه ، وعلى اهتمامه به ، وعلى اهتمام السيد حيدر وتبنيه له ، وعلى لياقاته التي أهّلته لذلك .

هِجْرَتُهُ إِلَى النَّجَف

ثم هاجر الى النجف في أوآخر جمادى الثانية من السنة الثامنة عشر بعد الألف والثلاثماية هجرية ج٢ / ١٣١٨هج ، وكان عمره يومئذ نحوا من إحدى وعشرين سنة ، فأقام فيها مكبّا على التحصيل ، مجدا في الدرس والتدريس ، وكانت همّته مصروفة في الغالب الى علمي الفقه والأصول .

وكان عمدةُ أساتذته في الأصول الشيخ فتح ا لله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة ، وحضر على الآخند الملاّ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية ، وكان يباحث في مبحث الضد .

وعمدة أساتذته في الفقه، الشيخ محمد طه نجف ، وكان الشيخ محمد طه نجف هو أول من شهد له من اساتذته بالإجتهاد شهادة شفهية.

وبعد وفاته انقطع الى الشيخ علي رفيش ، والشيخ محمود الذهب ، وحضر على السيد كاظم اليزدي أياما قليلة .

وحضر على غير هؤلاء ايضا ، فقد حضر على السيد أبي تراب في علم الدراية وكان معروفا في هذا العلم .

وكان خلال هذه الفترة يتصل بأهل الفضل من النجفيين وغيرهم ، وكان عمدة رفقائه الخلص في درس الشيخ محمد طه نجف المرحوم الشيخ علي باقر الجواهري الذي أصبح مؤهّلا للمرجعية بعد وفاة الشيخ محمد طه نجف ، واصبح مرجعا بعد وفاة السيد كاظم اليزدي وأخوه الشيخ صادق الجواهري .

وكان عمدة رفقائه في درس الشيخ علي رفيش والشيخ محمود الذهب : الشيخ عبد الحسين الحلي ، والشيخ عبد الحسين الحيَّاوي ، والشيخ منصور المحتَصِر ، وكان

يختار هؤلاء للمذاكرة ، ويستصفيهم للمعاشرة ، وكل منهم عالم محقق وفاضل مدقق له مكانته وله شهرته.

وحدثني الشيخ محمد علي صندوق الدمشقي - وهو من تلامذته - يوم كنت أدرس عنده كتاب اللمعة وكتاب المطول ، قال :

كان كتاب القوانين في جامعة النجف الأشرف هو الكتاب المفضل في الاصول في ذلك الوقت ، وبقي يدرس الى أن ظهرت الكفاية في وقت متأخر ، وكان المعروفون في تدريس القوانين الذين عندهم دورات - يعني عددا وافرا من التلاميذ - ثمانية لا غير ، وكان الشيخ الوالد أحدهم .

وحدثني ايضا : أن بيت الشيخ الوالد كان على جبل شُرَيْشَفَان في محلة (العمارة) في النجف الأشرف ، وأنه كان ندوة للفضلاء ، يلتقون فيه عصر كل جمعة بمناسبة تعزية سيد الشهداء (ع) ، وأنه -أي المحدث - كان هو الذي يتولى أمر الشاي والقهوة المرّة .

وقال ايضا : ان الشيخ رحمه الله ، كان في ذلك الوقت هو الموجّه في العامليين وأنه هو الوسيط بينهم وبين أستاذيه : الشيخ علي رفيش والشيخ محمود الذهب ، وكان هو الذي يتولى توزيع صلاتهما على العامليين ، ويقضي حاجات العامليين المتعلقة بهما .

وقال ايضا : كان الشيخ معجبا بكتاب المدارك من حيث نقاء العبارة وجودة الاستظهار وسلامة المباني وإتقانها .

أقول : وقد أرسل لي الوالد في سنة ١٣٥٦هج تقريبا كتابا يأمرني فيه بتأليف كتاب في المعاملات على نهج المدارك قائلا : وهذا شيء كنت أدخره لنفسي وقد آثرتك به وقد حاولت ذلك ففاتني .

ثم أصبح الشيخ الوالد يقضي شطرا من وقته في المذاكرة والمدارسة مع الشيخ

علي باقر الجواهري ، وكانا يجتمعان في أوقات العطلة في منزل الشيخ الوالد مساء كل أربعاء ليلة الخميس ، ولا يفترقان إلا صباح السبت ، وفيه يذهبان معا للدرس ، وينفرد كل في عمله ودروسه الخاصة به .

قال الشيخ الوالد : كنت أقدم للشيخ علي باقر من الطعام ما هو متعارف في النجف من (المَرَق) و(التمَّن) وغيرهما ، وأنفرد بأكل الكبة النية المعروفة عند اللبنانيين وكنت أسترها باللحم المحموس بدلا من الزيت وأخفيها عنه ، ولما ذاقها أصبح يطلبها ويقول : يا أخي هذا طعام حسن ومقوي ، وبعد شهور أعلمته بأن هذه هي الكبة النية التي تعيروننا بها ، فلما سمع ذلك اشمأزت نفسه وتقيأ .

كَيْفيةُ تَعَرُّفِهِ عَلَى الشَيْخ علي بَاقِر وَاستصفَائِهِ إِيَّاه

حدثني الشيخ الوالد أعلى الله درجته ، قال : كنت شديد الاتصال بالشيخ صادق الجواهري ، لانه كان فاضلا محققا ، إلا أنه كان مدققا الى حد الإعوجاج ، وكان أخوه الشيخ علي باقر الجواهري أحد زملائنا في درس الشيخ محمد طه نجف ، وكنت أنا وأكثر أهل الدرس نستثقله ولا نخالطه ، وكنا نتّهمه بالتكبر والإنطواء على نفسه ، لانه كان لا يأبه بمن يجلس الى جنبه في الدرس ولا يعتني به ، وكان إذا أراد مناقشة الشيخ محمد طه نجف شديد اللهجة حتى كأنه قرين له ، وكان ذلك سببا آخر لعدم الاعتناء به .

وقال الشيخ الوالد أو أستاذنا السيد حسين الحمامي رحمهما الله :

كان الشيخ محمد طه في أواخر أيامه قد أضر ، فكان اذا أراد الشروع في الدرس يقول: (بوي إجى علي - يعني الشيخ علي باقر) ، فإن قالوا لا ، يقول :(اليوم ماكو درس) ! يعني الدرس ليس له أهمية . ومعنى هذا ان الشيخ محمد طه كان يهتم بالشيخ علي باقر كثيرا ، وان الشيخ الوالد وجماعة كان لايهون عليهم ذلك .

وقال الشيخ الوالد : كنت أصلي المغرب على سطح الكشوانية (١) الشمالية ، وفي يوم من الأيام جاء الشيخ علي باقر وصلى بالقرب مني ، فسائني ذلك ، وبعد الفراغ توجهت إليه وجاملته بالسلام على النحوالمتعارف بين الناس .

وفي هذا الحال ابتدأني بقوله : هل تفهم وجوب التعدد من قوله (ع): يكفيك مثلا ما على الحشفة من الماء - والظاهر أن درسهم كان في هذه المسألة - فقلت : لا ، وإنما أفهم منه إرادة بيان أقل ما به يتحقق جريان الماء ليتحقق به مسمى الغسل ، فارتاح لذلك كثيرا .

فقال : كنت أظنك أعوج السليقة مثل أخي صادق لأنك تصحبه ، فقلت له : وأنا كنت أظنك كذا وكذا ، فاعتذر بأنه صاحب فكر ، وأنه قد ينسى نفسه ، وأنه لشدة استرساله في التفكير قد يخرج من البيت لحاجة ، ثم يتحير في السبب الذي خرج لأجله ، وبأنه يجلس الشخص في قربه ويسلم عليه ولا يشعر بذلك .

قال ثم سألته بعد ذلك عن سبب جلوسه بالقرب مني ، فقال : نحن آل

---

(١) : أظن ان الكشوانية لفظة فارسية ، ومعناها بحسب المتعارف في زماننا (موضع نزع الأحذية) وهي عبارة عن بناء شبه رواق له أعمدة ، مفتوح من جانبي القبلة والشمال ، وفيه شبه دكة وغرفة صغيرة من جهة الشرق وأخرى من جهة الغرب ، وكان يجلس على كل دكةٍ واحد أو أكثر ، ويقوم واحد أو أكثر ، فإذا أراد الزائر الدخول الى الحرم المطهر ، تسلموا نعليه منه ووضعوهما في مكان في الرفوف المعدة لذلك ، وكان الكيشواني كأنه يحفظ موضع الحذاء ويعرف صاحبه ، فاذا خرج الزائر دفعت اليه ، والزائر يدفع إليه شيئا يسيرا من المال بحسبه إذا كان غريبا ، وأما أهل النجف والمجاورون ، فكانوا يقدمون للكيشواني مبلغا من المال بمناسبة الأعياد ، كل بحسبه .

أما في هذه الأيام ، فقد جعلوا للمكان رقما خاصا ، فإن وضعوا الحذاء فيه قدموا للزائر قطعة معدنية أو شبه معدنية ، تحمل ذلك الرقم ؛ ومن الغريب أن الكيشواني كان يميز الأحذية في الأزمنة السابقة بدون هذه العملية .

الجواهري نجتمع في مقبرة جدنا صاحب الجواهر للمذاكرة (٢)، والبارحة ذكر أخي صادق مطلبا (يعني نظرية علمية) فأنكرناه ، وقلنا له هذا مطلب حسن ولكن لا يقول به أحد .

فقال : الشيخ يوسف الفقيه العاملي يقول به ، فكان هذا هو السبب في اهتمامي في التعرف عليك - وكان الشيخ صادق هو أستاذ آية الله السيد محسن الحكيم في كتاب الرسائل ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا (جامعة النجف ولمحة عن آية الله الحكيم) - .

ثم بعد ذلك أصبحا صديقين حميمين ، لا يكادان يفترقان ، وهما طيلة وجودهما يكونان مشغولين بالمذاكرة والمراجعة والتحقيق والتدقيق .

وحدثني الشيخ محمد علي صندوق الدمشقي أيضا : ان الشيخ علي باقر أنكر يوما ثمرة الأصول وكان الشيخ الوالد (ره) يتعصب للأصول ، ويهتم به ، فاعترضه ، ثم استعرضا كل مسألة أصولية يظن أنها ليست لها ثمرة ، فكان الشيخ علي باقر ينفي الثمرة والشيخ يثبت ، حتى أقنعه بأهمية علم الأصول ، وهذا يدل على قوة استحضارهما للمسائل الأصولية وللمسائل المتفرعة عليها .

---

(٢) : قال بعضهم : بلغ أهل العلم من بيت الجواهري من الكثرة حتى قيل إن الصحن الشريف لا يخلو من واحد منهم ما دام مفتوحا ، ولكن في سنة ١٣٥٦ هج تقريبا ، لم يبق إلا استاذنا المرحوم الشيخ عبد الرسول الجواهري ، والشيخ حسن الجواهري مؤلف كتاب (الإشارات والدلائل الى ما تقدم ويأتي في كتاب الوسائل) وهو كتاب مطبوع يدل على جهد عظيم ، وبقي منهم ايضا شخص او شخصان ، والباقي توجهوا الى الوظائف في سلك الدولة.

شَهادةُ العُلَمَاءِ لَهُ بالإجتِهَادِ

وبعد خمس سنوات من وصوله الى النجف ، وانخراطه في مسلك العلماء والمحصلين ، نال شهادة الإجتهاد العالية ، فقد هاجر الى للعراق كما عرفت سالفا في جمادى الثانية سنة ١٣١٨هج ، وحصل على شهادة الاجتهاد في سنة ١٣٢٣هج ألف وثلاثماية وثلاث وعشرين هجرية ، وكان عمره يومئذ نحو خمس وعشرين سنة .

و لاريب أن هذا أمر يشهد بتفوقه وجدّه واجتهاده .

وكان أول من شهد له بالاجتهاد الشيخ محمد طه نجف أعلى الله مقامه كما ذكرنا ، فإنه بعد مضي مدة من حضوره في درسه ، ومعرفته به ، بواسطة المذاكرة في الدرس وخارجه ، إستجازه بقوله : إنني أرى نفسي قادرا على تحصيل الظن الإجتهادي ، فقال له : إعمل برأيك، ثم تمرض الشيخ محمد طه نجف مرضه الذي توفي به ، فاستحيا من تكليفه كتابة ، وكانت وفاته سنة ١٣٢٣هج.

وفي نفس السنة أي قبل مغادرته النجف بسنتين استجاز مشائخه فأجازوه بإجازات مطولة عالية المضمون ، تنص على اجتهاده المطلق ، وعلى أنهم عرفوه كذلك بالمعاشرة في مجلس الدرس والمذاكرة .

وهذا النوع من الشهادات يعد في عرف المراجع الدينين في النجف أعلى نوع في بابه ، والنوع الذي يليه أن تعطى هذه الشهادة اعتمادا على البينة ، ودونه أن ينص على اجتهاده بدون لفظ مطلق ، ودونه الشهادة له بالاجتهاد المعلق ، كأن يقول : هو مجتهد فيما يستنبطه من الاحكام ، ونظيرها قولهم : بلغ مرتبة الإجتهاد ، ونحن إنما ذكرنا هذه المراتب التي تشير اليها الشهادات ، لأن كثيرا من طلاب العلم يغفلون عنها فضلا عن العوام .

ومما جاء في إجازة الشيخ محمود الذهب بعد البسملة والحمد والصلاة على النبي والآل:

أما بعد .. فإن جناب العالم الحبر العلامة ، والكامل البرالفهامة ، الشيخ يوسف الفقيه العاملي ، قد جدّ في طلب العلم فنال منه الغرض الأقصى ، وكد في تحصيل الكمال فاستولى منه على المطلب الأسنى ، فأصبح بحمد الله عالما محققا وفاضلا مدققا ، يرجع إليه في حل المشكلات ، ويعتمد عليه في فصل الخصومات ، وقد عرفته كذلك بالممارسة والإختبار ، في مجلس الدرس وغيره، وإني أرجو من الله سبحانه أن يُحيي به سلفنا الصالح ، بالتصنيف والتأليف ، كما هو دأبه الآن ، وقد تلبس به منذ الزمان ... الى آخره .

ومما جاء في إجازة الشيخ علي رقيش ، بعد البسملة والحمد وتوابعه :

أما بعد .. فإن العالم الفاضل ، والثقة البر الكامل ، الشيخ يوسف الفقيه العاملي ، لم يزل جادا في الدرس والتدريس ، مكبّا على تحصيل العلوم ، حتى بلغ الغاية فيها ، هو عالم محقق وفاضل مدقق ، ومجتهد مطلق ، يعتمد عليه في دفع الشبهات ، ويرجع إليه في فصل الخصومات ، والراد عليه راد على الله ، وقد عرفناه بالإختبار ، في مجالس الدرس والمذاكرة ، فعلى المؤمنين أن يعرفوا قدره ، ويغتنموا أيامه ، ويمتثلوا نهيه وأمره ، ويرجعوا إليه في معرفة الحلال والحرام ، ولا تقولوا ما جاءنا من نذير ، بلى قد جاءكم رسول من أنفسكم يتلو عليكم أحكامه ويعرفكم حلاله وحرامه ، وإنه الثقة الأمين ، على الدنيا والدين ، كثّر الله أمثاله ، وحقق في الدارين آماله ... الخ

ومما جاء في إجازة شيخ الشريعة (قدس) وهي إجازة بليغة مسهبة عالية المضمون :

وإن ممن نفر عن الأوطان ، وفارق الأتراب والخلاّن ، جناب الوجيه النبيه الشيخ يوسف الفقيه ، فإنه هاجر الى النجف ، فحضر على جملة من الأعيان ، وقرأ على هذا الضعيف برهة من الزمان ، قراءة تحقيق واتقان ، وقد جد وكد ، حتى بلغ رتبة الاستنباط ، وترقى من حضيض التقليد الى أوج الاجتهاد ، وصار محلاّ لأن يرجع إليه في معرفة الأحكام ، وينفصل لديه النزاع والخصام ، والراد عليه راد على الله ، وهو على حد الشرك بالله ، وقد عرفته كذلك بالإختبار والممارسة ، في الدرس والمذاكرة ، وإني أوصيه بسلوك جادة الاحتياط ، فان سالكها آمن من الاختباط والإختلاط ، وأن لا ينساني من صالح الدعوات ... (الى اخر ما جاء فيها) .

وعندما أمره الشيخ محمد طه نجف بأن يعمل برأيه ، قال : بقيت شطرا من نهاري مفكرا ، ثم شرعت في شرح كتاب الطهارة من الشرايع ، فأتممت منه مجلدا تضمن أكثر ابواب الطهارة .

ثم استجاز المرحوم السيد كاظم اليزدي ، فطلب منه البينة ، قال الشيخ قدس : وكان يمكنني تقديم الشهادات الثلاثة - الآنفة - ولكنني ترفعت وطلبت منه الامتحان ، فاعتذر بضيق الوقت ، فقال الشيخ ره : يمكن ان يكون ذلك بعد الفراغ من الدرس أثناء عودتكم منه ، فبقي أياما على ذلك ، فقال : هذا غير كاف فهل عندكم كتابة ، فقدم له كتابا في الطهارة ، فكتب عليه ما يلي :

لقد أجَلْتُ فيما ألفه نور بصري بصري ، وسرحت فيما رَصَّفَهُ

جلاء نظري نظري ، فوجدته بحمد الله روضة فضل بالازهار مشحونة ، بل عيبة علم ولا عيب فيها سوى انها يتيمة ، أدام الله معالي أبيها مكنونة ، فلقد بذل جهده في العلوم ، ووقع من منطوقها على المفهوم ، ولا زال باذلا في العلوم مساعيه ، وارداً أصفى مناهله ، ومرتقي لأسمى مراقيه ، بمحمد وآله صلوات الله عليهم .

في سنة ١٣٥٠ ألف وثلاثماية وخمسين هجرية ، كان المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، متجها لحضور المؤتمر الاسلامي في القدس ، فنزل ضيفا على الشيخ الوالد في بيروت ، وفي إحدى الليالي ، طلب منه الاطّلاع على بعض مؤلفاته المخطوطة ، فقدم له الشذرات العاملية (والنسخة عندي) قال الشيخ الوالد : وبعد ذلك وجدتها وقد كتب عليها بخطه ما يلي - بدون اذن ولا إستدعاء ولكن بإذن الفحوى حسبما يظهر - :

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرت في جملة مما اشتملت عليه هذه الأوراق ، فوجدتها بمثابة من الرصانة والتحقيق ، ومباءة من المتانة وحسن التحرير ، وقد استفرغ فيها الشيخ العلامة الفقيه وسعه ، فبرهن على قوة استنباطه ، واجتهاده ، وواسع علمه ، وغزير موادّه ، فنسأله تعالى بأن يبقيه ، ويحفظه علم هدى ، ومصباح فضل وتقى ، وأن ينفع المؤمنين بإفادته ، وينابيع افاضاته ، ومنه تعالى نستمد جزيل التوفيق لنا وله ولجميع المؤمنين انشاء الله . في ٢٣/شعبان /١٣٥٠هج التوقيع

محمد حسين كاشف الغطاء

وأستحسن في هذا المورد ، اضافة ما يلي :

في سنة ١٣٤٨هج ، سمعت الحاج حسن بزي العاملي ، وهو من المؤمنين

الوجهاء المشهورين وهو والد الوزير علي بزي ، يقول للحاج محمد بزي ابن المرحوم الحاج علي يوسف بزي ، وكانا في النجف ، قال : قلت للمقدس السيد نجيب فضل الله ، اذا جرى عليك شيء لا سمح الله ، الى من نرجع ؟

فأجابني قائلا :(أعلم العلماء الشيخ يوسف الفقيه ، وأتقى الأتقياء السيد جواد مرتضى).

وكان ذلك بمناسبة وفاة المرحوم الحاج علي يوسف في ذلك الوقت ، وإقامة الشيخ الوالد في بنت جبيل ثلاثة ايام بلياليها ، وإعجابهم به ، فلما ذكر الحاج محمد علي اعجابهم به للحاج حسن ، نقل له ما تقدم .

وحدثني العلامة الشيخ خليل ياسين عن المرحوم والده الشيخ ابراهيم ياسين ، انه وجه نفس السؤال للمرحوم العلامة الشيخ محمود مغنية والد الشيخ محمد جواد مغنية المؤلف المشهور ، فأجابه بقوله : (الحاريصي ، الحاريصي لا يؤخذ) .

وهذه الكلمة في لغة العامليين ، تشير الى الفارس الذي اذا دخل الحلبة أرهب الشجعان ، ونكّس الفرسان ، وكان له قصب السبق .

عَودَةُ الشَيخ الوالد الى وَطَنِهِ ؛ وَسِيْرَتُهُ فِيْه

في سنة ١٣٢٥هجري الف وثلاثماية وخمسة وعشرين هجرية ، غادر النجف عائدا الى وطنه جبل عامل ، وصحبه في الطريق الشيخ أسد الله صفا ، وجماعة من وجهاء المؤمنين ، وتكفل الوالد بضيافة رب القافلة وعماله ، فلم يقبل منه الا الضيافة على الشاي والقهوة ، وكان الشيخ الوالد قد صحب معه الشيء الكثير من الأرز واشترى من دير الزور الكثير من الدجاج قال الوالد : وكنا نرتاح كثيرا لصياح الديكة في الصحراء ليلا ، وكان الاتفاق في القافلة ان يلقب الشيخ الوالد بالمفتي افندي تقية ، وكان الشيخ اسد الله يعتبر مرافقا له ، وله قصص وأخبار ومحاججات ومناظرات وكرامات- في طريق العودة - يطول الكلام بذكرها .

ولما ورد بيروت ، استقبله اليها وجهاء القرى ، واستقبلته الجماهير الى صور ، واستقبله السواد الأعظم الى بئر وادي عاشور ، وهو مكان معروف للمسافرين في ذلك الوقت، يبعد عن حاريص نحو أربع كيلومترات أو أكثر ، ويقع في مفتتح الوادي المذكور .

قال الحاج علي رزق وهو من المؤمنين من أهالي بلدتنا ، وكان ممن حضر الاستقبال : (كانت الناس منتشرة على التلال المشرفة على طريق وادي عاشور ، ولما وصل الموكب الى بيدر عين الياذون - وهو موضع حسينية حاريص الفعلية - لم يدخل البلدة بل تياسر في الطريق الأعظم متجها الى حداثا ، ووقف قريب بئر (فته علي) وتأخر هناك ودخلها من طريق درب الكروم).

والظاهر انهم نصبوا العرائش في كرم عمه الحاج حسن الفقيه ، وأن المستقبلين الخواص أقاموا هناك .

وكانت العادة عندما يعود العالم من العراق منتهيا من الدراسة -ولا يعود إلا منتهيا - يزوره العلماء ثم يسألونه أولا عن شهاداته فيعرضها عليهم ، ثم تطرح المسائل العلمية مبتدئين بالأسهل ، ثم يرتفعون الى المعضلات إن وجدوه أهلا لها ، ثم إذا انصرف العلماء الزائرون يتبعهم خيار الناس من أهل الدين والعقل مشيعين لهم ، فإذا كانوا خارج العمران، سألوهم عن مكانته العلمية ، ومعنى هذا أنهم كانوا لا يعتمدون على الشهادات منفردة ، ثم يكون ما يجتمع لديهم من أقوالهم أشبه بكلمة الفصل .

وكان العلماء البارزون بالعلم والتقوى وأصحاب الفضل والعقل ، ينوهون بالعالم الجديد، ويرون ذلك حقا عليهم ، ولعلهم كانوا يهدفون من وراء ذلك الى تهيئة الجوّ لمن يخلفهم في معالجة مشاكل المؤمنين الدينية إذا عاجلهم القدر .

أما اليوم ، فقد ضاعت هذه المقاييس مرة واحدة ، كما ضاع كثير من أمثالها ، وكان من آثار ضياعها ركود الحركات الإصلاحية وانتشار الفوضى .

ولما استقر في بلده ، كان يستقبل الضيوف والوافدين ، ويفصل الخصومات ويحل المشاكل ، والذي أدركته في أيام يفاعي أن بيتنا كان لايخلو من الوافدين ، ولا يتسع في كثير من الليالي لخيولهم ، فكنا نضطر لتوزيعها على بيوت الآخرين ، ونستحضر الفراش من منزل ابن عمنا المرحوم أبي نايف .

وكان يتعاهد عدة قرى ، فيقيم في بعضها اليوم والليلة ، وقد يذهب لجارتها القريبة ويعود اليها ، ولعل جميع العلماء كانوا كذلك .

السّيد عَلِي مَحْمُود و زِيَارَةُ الشَيْخ الوَالد

تأخر المرحوم السيد علي محمود عن زيارة الشيخ الوالدعن المعتاد ، مع قرب شقرا من حاريص ، وهو من مشاهير علماء عصره ، واتفق أن فتوى وردت منه عليه،

فعلق الشيخ عليها وأرجعها اليه ، فزاره السيد فورا ، ثم ردّ له الزيارة ، ولما همّ بالانصراف ألح عليه السيد بالبقاء ،وقال : قد أعددنا العشاء ، فبات عنده تلك الليلة ، وبالغ السيد في إكرامه ، ولما قدم طعام العشاء مدّ الشيخ يده الى بعض الحواضر ، وكان الشيخ أَنِفَا بالنسبة الى اللحوم، وكأن السيد كان يعرف ذلك عنه ، فقال له : هذا كبش ذبحناه على حسابك ، ثم أمر بإحضار الرأس ، قال الشيخ رحمه الله : ودامت السهرة حتى الفجر ، وكان يتولى إدارة الشاي المرحوم الشيخ محمد حسن مروة (ب) ، وكان ثمة أكثر من واحد من أهل الفضل ، وإنني آسف لعدم حضور اسم واحد منهم ، وكانت معضلات المسائل تروح وتغدو ، وكانت الكتب العلمية منتشرة في الديوان ، وكان التحقيق والتدقيق هو الهدف الأسمى.

وبعد هذا جعل السيد ينوّه باسمه ، وكان السيد نجيب فضل الله الحسني –وهو من أساتذة الشيخ الوالد –قد سبق السيد علي محمود الى التنويه بالشيخ الوالد ، وهو أيضا من أشهر العلماء في ذلك الوقت .

وكان المرحوم السيد جواد مرتضى – وهو ايضا من أساتذة الشيخ الوالد وكان الشيخ يقبل يده تعظيما له – ومع ذلك كان السيد جواد اذا وردت عليه خصومة ، وانتهت الى اليمين ، يتورع ويحولها الى حاريص .

تَحْرِيرُ حَارِيص وَدَيْر انْطَار

كان يعطف على الفقير والفلاح والعامل ، ومن أجل ذلك كان ثورة ملتهبة

(ب) : أدركته يافعا ، وكان يأتينا كثيرا ، وأعقب ولدا واحدا اسمه الشيخ عبدو (الشيخ عبد اللطيف) ، وكانت مهنته اصلاح الساعات ، وقد توفي حوالي سنة ١٩٨٢م وأعقب ولدا واحدا اسمه الدكتور محمد علي مروة ورأيته في منزل والده عدة مرات .

ضد الاقطاعيين ، ولا ريب أن الناس كلهم كانوا يشاركونه في هذا الشعور ولكن الخوف والطمع كانا يسيطران ، وتدلنا الاحاديث التالية أنه كان فوق الخوف والطمع فقد أعلن الكفاح والنضال ، وكان ذلك سببا لسخط الاقطاعيين عليه وعلى أتباعه ، ولمحاربتهم لهم وله .

وقد استطاع في ذلك العهد أن يحرّر حاريص ودير انطار من حكم الاقطاعيين تحريرا كاملا ، لأنهم سمعوا منه وانقادوا إليه :

١- كَيْفَ تَمّ تَحْرِيْر حَارِيْص

قالوا : جمع الأفندي اختيارية أهل حاريص في بيت أحدهم ، وطلب منهم الموافقة على أوامره ، فامتنعوا ، وكان أجرؤهم فلانا (ولانستحضر اسمه فعلا) ، فأمر بمده فلقة ، فقام الآخرون وهددوا الأفندي نفسه بالفلقة إن أصر على ما يطلبه ، فغضب عليهم وهدّدهم ثم انصرف خائبا .

ثم إن الحاج محمد سعيد بزي وإخوته أرسلوا للشيخ مع نايف بن الحاج محمد سعيد بزي خمسين ليرة إفرنسية ذهبا ، على أن يخلي بينهم وبين أهل حاريص ، وضمنوا له إعفاء أملاكه وأملاك عمه الحاج حسن الفقيه ، ففرح بذلك عمه الحاج حسن وجعل يتوسط معه ويقول له إن هؤلاء سيضمنون البلد على كل حال ، فأخذُ المبلغ والاعفاء وتطييب خاطرهم أولى من أخذ البلد بالرغم عنا ، أما الشيخ فإنه رفض رفضا باتّا ، وترك نايفا في الديوان و لم يسمح له بالكلام ولا بالعودة اليه ، فعاد الى أبيه يائسا ..

٢-كَيف تَمَّ تَحْرِيرُ دَيْر انْطَار

وأما قرية دير انطار ، فقد حدثني جماعة من بيت حجيج في النجف في دار

العلامة السيد عبد الصاحب العاملي ، وكنت سمعت الحديث قبل ذلك من غيرهم :

أن اهالي بلدتهم شكُوا الى الشيخ ره أمرهم في هذا الشأن – وأظن مع بيت المملوك – وبعد أخذ ورد ، استنفر الشيخ عددا من الفتيان – وأظن أن أول من لبّاه الحاج عبد الرضا حجيج وكان شابا في ذلك الوقت ، والذي أظنه ايضا أنه هو الذي حدثني بهذا الحديث – قال لهم الشيخ : عندما يرسل لكم الأفندي وكلائه ، استقبلوهم الى خارج البلدة ، وامنعوهم من الدخول ، فإن أبوا فاضربهم واسبقوهم الى صور ، وأعطوني علما لأكون أمامكم في صور ..

وكانت العادة أن الاقطاعي عندما يريد إرسال وكلائه ، يخبر أهل البلدة ليهيئوا لهم عريشا يقيمون فيه ، وليستعدوا على الدجاج والبيض واللبن ، مضافا الى ما يقدمه لهم ارباب الماعز والضأن من الذبائح .

ولما جاء الوكلاء استقبلهم ثمانية من الشباب الى الوادي ، ومنعوهم من الدخول ، فعظم ذلك عليهم ، ولا سيما بعدما تعرضوا للضرب والإهانة ، ومن أجل ذلك عادوا الى صور ، وسبقهم الثمانية عن الطريق الأقرب ، وكانوا قد أعلموا الشيخ ره بما جرى ، فلما وصلوا وجدوا الشيخ عند المسؤول ، فشرحوا ظلامتهم وتعهدوا بيلدهم ، وجاء الآخرون وكانت الابواب قد سدّت في وجوههم ، فاستراحت هذه القرية من الحاكم الإقطاعي .

وسألت الحاج قاسم ياسين عن هذه القصة ، فقال : كنت واحدا من الثمانية ، وقال : إن الشيخ أمرهم باستلام الغلات التي في الحواصل وتسديدها للحكومة عن البلد ، وكان الضامنون (أي الإقطاعيون) لم يؤدوا الضريبة ثلاثة سنين ، فسلموا للدولة عن ثلاث سنين وزاد منه .

عَودةُ شَبيْب بَاشا الى تبنِيْن

وفي سنة ١٣٢٨ هجري ، عاد شبيب باشا من استنبول ، ونزل في قلعة تبنين ، وهي مقرّ والده من قبل علي بك الاسعد ، وكان شبيب باشا يوم وفاة والده صغيرا ، فتولى الزعامة بعد أبيه احد ابناء عمّه خليل بك الاسعد ، ولما توفي خليل بك الأسعد حَضَرَ شبيب باشا الى البلاد ففرح به الناس ، وتجمّعوا حوله ، وكان هو أول من حمل لقب باشا من آل علي الصغير ، وسانده العلماء إلا قليلا منهم ، لأنه كان معروفا بالتدين ، وكان الشيخ الوالد في الطليعة ، وله صورة رأيتها سنة ١٣٤٩هجري عند ولده علي نطرة بك ابن شبيب باشا ، مع جمع من العلماء وهو في وسطهم وشبيب باشا الى جانبه ، وكان يقيم في برج البراجنة ، ولما توفي خليل بك كان شبيب غائبا فتولى الزعامة ولده كامل بك الاسعد ، ومن أجل ذلك انقسم الناس وانحاز بعضهم الى شبيب وبعضهم الى كامل .

وفي يوم من الايام هجَم جماعة على قرية صريفا الموالية لكامل بك ، هجوما مصطنعا وأطلقوا النار على البقر ، وقتلوا نحو سبعين رأسا ، ثم اشتكوا الى السلطة في استنبول وزعموا أن شبيب باشا وجماعته ومنهم الشيخ محمود الفقيه ابن عم الشيخ الوالد هجموا على قرية صريفا وأطلقوا النار على الناس ، لكنهم أصابوا المواشي ، فجاء الامر بابعاد شبيب باشا عن البلاد .

فاجتمع العلماء وتداولوا في الامر وقرروا ذهاب الشيخ الوالد الى المراجع العليا ، ففعل ، ولما التقى بالمسؤول ، ألغى الأخير الأمر بالإبعاد .

قال الشيخ الوالد للمسؤول : بلغنا أنه جاء أمر بإبعاد شبيب باشا عن البلاد ،

فاجابه المسؤول : نعم ،

فقال الشيخ له : ليس هذا هو الرأي المصيب في إصلاح البلاد ، بل هو سبب للتدمير والتخريب .

فقال المسؤول : وكيف ذلك ؟

قال الشيخ : إن الناس شطران ، ولهما متبوعان ، والأمور متأزمة ، وبين الناس أحقاد ، والقوى تكاد تكون متكافئة ، فنحن لا نرضى بإبعاد كامل وإبقاء شبيب ، لأن شبيب إذا بقي وحده سوف ينتقم هو وأتباعه من أتباع كامل ؛ ولا نرضى ايضا بإبعاد شبيب وإبقاء كامل ، لان كاملا إذا بقي وحده سوف ينتقم هو وأتباعه من أتباع شبيب ..

فقال المسؤول : اذن فما هو الرأي ؟

قال الشيخ : إما اخراجهما معا من البلاد لأنهما أساس الفتنة ، فإذا خرجا استراحت الحكومة وأمّن الناس ، وتولت السلطة وعقلاء البلاد معالجة المشاكل ، وإما ابقاؤهما معا لتبقى القوى متوازية ..

فاعجب المسؤول بذلك واستصوبه ، ثم أبرق الى الأستانة ، فألغى الأمر بالإبعاد .

والحقيقة أن ما ذكره الشيخ الوالد هو الرأي المصيب ، ومنه يتضح أن للرأي قوة لا تعادلها قوة النار والحديد .

مُؤَلَّفَاتُهُ

١ - شرح الشرايع ؛ خرج منه مجلد كبير أتمّه في النجف ، يحتوي أكثرأبواب الطهارة ، مخطوطة .

٢ - دورة أصول كاملة ؛ ألفها في النجف ، وقد فقدت مع الأسف .

٣ - الشذرات العاملية ؛ مخطوط ، وعندنا منه نسختان لا غير ، إحداهما بخطه الشريف ، وهي معدومة التاريخ ، والثانية بعضها بخط أخي الفاضل الشيخ عبد الكريم الفقيه ، وبعضها الآخر بخط الشيخ عبد الأمير الفقيه ابن اخي العلامة الشيخ علي الفقيه (قد) ، وقد استنسخاها عندما كانا طالبين في النجف الأشرف .

٤ - المدنية والاسلام ؛ مخطوط ، وهو كتاب يشتمل على فلسفة التشريع الاسلامي .

٥ - مصابيح الفقيه ؛ مخطوط ، يحتوي أكثر أبواب الفقه من غير العبادات ، وهذا الكتاب هو الحلقة المفقودة في فقه الشيعة الامامية ، الذي يتطلبه هذا العصر ، وقد استنسخ أكثر من مرة، ولو طبع لكان نحو خمساية صحيفة بالقطع الكبير ، وهو يتضمن المسائل بعنوان مادة ، ثم يعلق في الهامش على المسائل الخلافية بين المسلمين ، بأوجز عبارة وأوضحها ، وأجلى برهان ، وهو سهل التناول الى الغاية . وقد طبع تحت اسم (الاحوال الشخصية) سنة ١٩٨٩ م ١٤٠٩ هج ، وقد طبعه اخي العلامة الشيخ علي الفقيه (قد) .

٦ - حقائق الايمان في معتقدات الشيعة الامامية ، مطبوع سنة ١٣٤٤هـج ، ويكاد يكون معدوم النسخة ، وقد ترجم الى غير العربية .

٧ - مصابيح الفقيه في الميراث ؛ طبع سنة ١٣٥١ هج ، وقد ألفه بنحو

مواد ، ليقرر رسميا في المحاكم اللبنانية في عهد الانتداب ، وقد علق عليه المرجعان الأعظمان في ذلك الوقت ، الميرزا النائيني ره ،والسيد ابو الحسن الاصبهاني (ره).

٨ - التوحيد والتثليث ؛ مطبوع .

٩ - الحق اليقين ؛ رسالة في الرد على الوهابيين ؛ مطبوع .

١٠- العول والتعصيب ؛ رسالة صغيرة ، مطبوعة .

١١- رسالة في أحكام الأرضين ؛ مخطوطة بنحو لم يسبق اليه .

١٢- رسالة في الشفعة ؛ مخطوطة .

١٣- رسالة في المتعة ؛ مخطوطة .

١٤- رسالة في طهارة اهل الكتاب ؛ مخطوطة .

هذا ما أعرفه من مؤلفاته ، وكان كثير التسويد والتمزيق ، وكان يهمه مضافا الى الإتقان نقاء العبارة ، وعلو الأسلوب .

كان يعجبه في الفقه متن الشرايع ، ويعجبه من الشروح كتاب المدارك ، من حيث الجمع بين الاخبار ، ولايجاز والإيضاح والإلمام بجهات المسألة .

ويعجبه من المطولات كتاب الجواهر ، ولعله من حيث الاحاطة ، واستقصاء الاستقراء والتتبع ، والتحقيق .

وكان يعجبه من كتب الأصول رسائل الشيخ الأنصاري ، وكان كثير الممارسة لكتاب القوانين ، وهو من المعروفين في تدريسها .

وكان يقول : أشعر أن بيني وبينها مودة ، وكان يعجبه من الكتب المتعلقة بها حاشية السيد علي .

لَمْحَةٌ عَنْ العَهْدِ الإقْطَاعِي ، فِي أوَآخِرِ العَهْدِ العُثْمَانِي ، وَمَوقِفُهُ تجَاهَهُ

كانت الإقطاعية إبان عودته من العراق ، قد بلغت أبشع صورها ، فكان الزعيم وأتباعه، يضمنون ضريبتي الأعشار و(الويركو) من السلطة ، ثم يسلطون اتباعهم وعمالهم على الناس.

فالسخرة في ذلك الوقت شيء معتاد ، ومعنى السخرة أن النساء والرجال ودوابهم يعملون للأفندي والبيك بدون أجرة ، بل يكفي أن ينادي (الناطور) أعني الحارس للمزارع :

يا فلاحين يا فلتية ، عن أمر الوكيل -أو أمر الأفندي- بُكْرَة (يعني غدا) كل واحد يَاخُذ فدانو وبذراتو ، وبيحرث للبيك في مكان كذا وكذا !!

وهم بدورهم يستجيبون لهذا النداء بسرعة ، خوفاً على جلودهم ، وكان البارزون في القرية أذناباً أذلّاء لهؤلاء ، واذا كان فيهم حرّ وأظهر المعارضة تعرض للفلقة (والفلقة : هي شد الرجلين بحبل مربوطٍ بعصى ثم ألقاء الرجل على قفاه ويتولى اثنان رفعهما ويضرب عليهما) والعقوبات متسلسلة ، منها إعطاء معلومات كاذبة عنه للسلطة تجعله مسؤولا امام القانون ، ومطلوبا للسلطة ، ولا يخلّصه أحد إلا البيك أو الأفندي ، بعد بذل الولاء والطاعة ، وما يتمكن على دفعه من نقود أو أعيان.

ويحدثنا جماعة من المتوسطين في السن ، منهم المرحوم أبو عادل عباس موسى علي أحمد ، انهم حرثوا سخرة لبعض أذناب الأفندية ، في بلدة كفرا ، ولما فرغوا ، قالوا له : بخاطرك يا شيخنا ؛ فقال لهم : ا لله لا يكثر خيركم يا ولاد الكلب ! وذلك لان عملهم لم يعجبه .

وكانت المرأة أو الطفل أو الدابة ، اذا تناولت بعض السنابل من الحقل ، غرمت المرأة وولي الطفل وصاحب الدابة ، بكيل من الحب ، والكيل نحو مائة كيلو ، هذا بالاضافة الى التهديد والتخويف والإهانة .

وكان الغني في ذلك الوقت ، هو الذي يستطيع أن يشبع هو وعائلته ، فاذا أرادوا مدح انسان بالغنى ، قالوا :" فلان شبعان "، وهذه كلمة من الكلمات الرمزية المعبرة ، التي لا تزال تعيش الى اليوم ، وهي تحمل صورة عن تاريخنا في عهد الإقطاعيين ، وعن المجاعة التي كان يعانيها الناس .

وكانوا اذا أرادوا تضخيم ثروة انسان ، قالوا: " فلان ألّف "؛ أي أصبح يملك ألف قرش، وهذه ايضا من الكلمات الرمزية ، التي قد لا تزال تعيش الى اليوم ، والألف قرش مهما عظمت قوتها الشرائية ، لاتعادل أربعة آلاف ليرة لبنانية - التي تعادل نحو الف دولار- هذا اذا فرض أن قيمة مدّ الحنطة قرش واحد في سنة ١٩٦١م.

ومن الكلمات الرمزية ، قولهم : " الله يسلط عليك " ؛ " الله يخرب بيتك " يشيرون الى أن من تسلط عليه الاقطاعي ، خرب بيته إما بالهدم وإما بافراغه من محتوياته .

وكأن هذه الكلمات الثلاث ، انما عاشت الى هذا اليوم ، لتحمل للأبناء والأحفاد ، صورا عن مآسي الآباء والأجداد .!

وكانت الأمية تسيطر ، وكان الجوع والعِرى والحفا - اعني السير بلا حذاء - شيئا معتادا ، وكانت اللصوصية أسلوبا يتقرب بها أربابها من الإقطاعيين ، وكان الإقطاعيون يكرمونهم ، ويسلطونهم على من يغضبون عليه .

حكي أن مستشرقا وصل الى صيدا ، وجلس مع جماعة من العمال ، وهم من الجنوب، وكان هذا في أوآخر العهد الاقطاعي ، فسألهم عن زعيم بلادهم ، فأثنوا

عليه وعظّموه ، وقـالوا : اذا كـانت السـرقة في حـوران أو في الجـولان ، يستطيع أن يردها على أصحابها ، فقال لهم : ينبغي أن يكون هذا شيخ الحرامية (اللصوص) !

وهذه القصة من القصص المعروفة المعبرة ايضا .

صور عن اللصوصية المتفوقة في ذلك العهد

حكي ان "ابو الجواريش" وهو سيد من يارون كان جريئـا قـوي السـاعدين وانـه ذهب في زمان خليل بيك الاسعد الى جبل الـدروز ، فلمـا وصـل وجـد وليمـة عامـة يقيمها زعيم الدروز ، فاندس بين الناس واكل معهم ولما جنَّ الظلام ، أكفأ عليه قِدرا كبيرا ونام تحته ، فلما تفرقت الناس تفقد الحراس تلك الاماكن فلم يـروا احـدا غريبـا وبعد ما انتصف الليل ونام الناس خرج الى فرس مشهورة وكان عليها عــدة حـراس ، وكانت تقيد باكثر من قيد من حديد ، فقطع الحديد ووضع في ايدي الفرس لِبَّـاد مـن صوف وشده عليها ، والحراس لا يشعرون ، ثم امتطاها وانطلق عليهـا هاربـا بهـا الى دار الطيبة ، فانتبهوا بعد ذلك فلم يجدوا الفرس ، وعظم ذلك عليهم ، ثم علموا بعــد ذلك ان الفرس في دار الطيبـة عنـد خليـل بيـك الاسـعد ، فارسـلوا وفـدا مـن قبلهـم لاستلامها ، فلما جاؤوا وارجــع لهـم الفـرس قـالوا : نحـب ان نـرى الشـخص الـذي استطاع اخذها والنجاة بها ، فامره خليـل بيـك بمقـابلتهم ، فحضـر ابـو الجواريـش ، ويقال : انه لم يرض بمقابلتهم الا بعد ان دجج بالسلاح ، وهكذا كان .

وفي سنة ١٣٥٦ هج الف وثلاثمائة وست وخمسين هجريـة زار ابـو الجواريـش النجف الاشرف ، وكان عمره يقارب المائة سنة ، وذهب العلامة السيد محمـد صفـي الدين العاملي لزيارته ، وذهبت معه وكان لي مـن العمـر في ذلـك الوقـت نحـو سـت عشرة سنة ، فاخذوا يتحدثون وانـا استمع ، قـال ابـو الجواريـش : عندمـا حضـرت الىبيروت لاخذ جواز سفري اجلسوني على كرسي واخرونـي واحضـروا الصحـافيين

فجعلوا يسألونني عن عمري وعن عملي وعن معيشتي .

وكنت انظر الى يديه لاحمل صورة عنهما ، فرايت كفيه قصيرتا الاصابع ويكاد يكون حجم اليد الواحدة تعادل اكثر من حجم كفين ، وثخن اصابعه تكاد تكون اكثر من ثخن ساعد الطفل . وكنت انظر الى ساعديه وكنت اراهما غير سواعد الرجال ، وكان قصيرا جثلا ، وكانني اتصوره قصير العنق ايضا .

وفي سبب تسميته ابو الجواريش حكاية لطيفة لا باس بذكرها للقارئ ، وهي انه استضاف بعض الناس ، و لم يتمكن من السرقة في تلك الليلة ، و لم يستطع النوم ، فقام في الليل وسرق الجاروش التي لصاحب المنزل الذي فيه ودفنها في الحاكورة الارض المجاورة للبيت فاستقرت نفسه ونام ، وعند الصباح اعلمهم بانه لم يستطع النوم حتى فعل ما فعل .

ونذكر قصة اخرى تظهر فيها مدى قوتهم ايضا ، وقد ذكرناها في كتابنا جبل عامل في التاريخ ص٣٥٧ ، محصلها : ان الحاج محمد افندي قال لفلان - وهو رجل قصير بدين - ان احد مشايخ الدروز (القيسي او غيره) يحقد على الشيعة وينال منهم ، فهل تقدر على تدبيره ؟ فقال نعم . قالوا فقصد بلدة ذلك الشيخ وتسلق الى منزله فوجده نائما فغرز خنجره في وسادته ، ووجد عمته عند راسه فاخذها ثم عاد من حيث اتى فانتبه الشيخ واراد ان يتناول عمته فلم يجدها ، ثم نظر الى الخنجر وهو يترنح في وسادته اذا حركها ، فعلم بان الشيعة قدرت عليه وعفت عنه ، فصحب بعض رجاله فحضر الى عند خليل بيك يشكره على العفو عنه واظهر الطاعة قالوا : وطلب ان يرى من قام بهذه المهمة ، فجاءه وهو يلبس العمة ، وفي ذلك من السخرية بالقيسي ما فيه .

هذه صورة عن الحكم العثماني ، وعن زعماء الاقطاع في ذلك الوقت الذين كانوا يستغلون كدح الناس ليبيضوا وجوههم عند الوالي ، والوالي يأخذ حصته منهم

ويبيض وجهه عند الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ، ورئيس الوزراء يبيض به وجهه عندالخليفة .

ومن كلمات أحمد باشا الجزار المعروفة ، التي تعطينا صورة عن الخلفاء وعن الولاة ، قوله : السلطان كالفتاة الحسناء ، أحب الولاة اليه أكثرهم جباية له .!

ومع ذلك يسمى السلطان خليفة ، ويجب على المسلمين أن يقدسوه ، كما يقدسون النبي(ص) ، ويَدْعُون له ولولي عهده يوم الجمعة ، ويزعمون أن السلطان وأتباعه هم أولوا الامر ، المعنيون بقوله تعالى(وأطيعوا ا الله والرسول وأولي الأمر منكم).!

وكلما نقول لهؤلاء : إن أولي الأمر هم أهل البيت المعصومون (ع) ، الذين لا يحيدون عن العدالة قيد شعرة ، يقولون : لا ، أولوا الأمر هم (الجزار) ومن ولاّه وأمثاله ممن سبقهم وتأخر عنهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

هذه صورة عن العهود الإقطاعية في أوآخر العهد العثماني .

أَصْلُ آلُ الفَقِيه

أصل آل الفقيه من (العوادل) ، والعوادل فخذ من أفخاذ قبيلة شمّر ، وهم من زعمائها .

ففي سنة ١٩٧٥م الف وتسعماية وخمس وسبعين تقريبا ، كنت متجها من بغداد الى الكويت أنا وأخي الشيخ علي في سيارته ، فاستوقفت رجلا من الأعراب وسألته عن الطريق ، ثم سألته عن عشيرته :

فقال لي : شمر .

فقلت له : شمّر في صحراء الشام .

فقال:نحن أربعماية رجل نقيم في هذه المنطقة .

فقلت له : انتم من عمومتنا .

فقال لي : وإلى أي شمّر تنتسبون ؟

فقلت : الى العوادل .

فوضع كفيه على رأسه وقال : انت مِعْلاَني ومِعْلاَن أَبّوي (يعني رئيسي ورئيس آبائي) .

ويشهد لذلك ايضا ، ما ذكره العلامة الشيخ علي بن احمد الفقيه العاملي العادلي ، الذي كان حيّاً في سنة ١١٢٢هج الف وماية واثنين وعشرين ، في مقدمة ديوانه المخطوط ، الموجود في مكتبة السماوى في النجف ، وقد رأيت ديوان الشيخ علي الفقيه وديوان السيد نصر الله الحائري ، في مجلد واحد ، وعنه أخذت ، والديوان هو جمع الشيخ علي الفقيه نفسه ، وهو الذي رتبه وبوّبه ، ووضع له مقدمة ضافية ، يقول فيها ما لفظه بالحرف بعد البسملة والحمد بأسلوب مترامي الأطراف :

أما بعد ، فيقول العبد الجاني أقل الورى عملا ، وأكثرهم في ا لله رجاء وأملا ، علي بن أحمد الفقيه لقباً ، العاملي العادلي أمّاً وأباً ، والمشهدي الغروي مولداً ومسكناً ، إنني كنت في عنفوان شبابي ، وأيام اللهو والتصابي ، لـهجاً بقول القريض ، مبتهجاً بزهر روضه الأريض ... ثم استطرد الكلام في مثل هذا الأسلوب في عدة صحـائف ؛ ومما ذكره فيها أنه جمع ديوانه إجابة لالتماس السيد نصرا لله ابن السيد حسين الحسيني الحائري ، وتـاريخ نظـم بعـض قصـائده سنة ١١٢٠هـج - ١١٢٢هـج الـف ومايـة وعشرين - الف وماية واثنين وعشرين (أفردنا له ترجمة مفصلة في هذا الكتاب) .

ويدل على انتساب آل الفقيه الموجودين في حـاريص الى العـوادل ، قـول أمـير شعراء الزجل في عصره ، الشاعر المشهور المرحوم (محمود حداثا) على لسان الشـيخ الوالد أعلى ا لله درجته :

حنا العوادل بالكرم هلينا
مثل الغوادي بالكرم هلينا
والضيف من يقبل ، به هلينا

وذلك ، أن الناس كانوا يجتمعون في ديوان الشيخ الوالد في حاريص ، وكـانت حاريص بحسب تصوراتي ، ندوة للشعر الزجلي بمناسبة وجـود محمـود حداثـا وولـده نعيم وحاشيتهما فيها .

وكانت العادة أن أحد الحاضرين يبتدئ بمطلع ، ثم يحيله على الآخر ، وفي يوم من الأيام ابتدأ المرحوم الحاج سليمان حجـازي بمطلـع في وصـف السـماور ، وكـان مضمونه ما يلي :

أبو علي قدّم للسماورْ وكفّو بالعَطَايا للسَّمَا وَرّ

ولعل العادة تقضي أن يجيبه الممدوح شعرا ؛ فأدرك أبو رشـيد محمـود حداثـا ، أن أنتظارهم في غير محله ، وأجابهم على لسان الشيخ الوالد مستهلا بقوله :

حنا العوادل بالكرم هلينا

أو (والكرم هلينا)، والقصيدة طويلة طبعا .

ومعنى قوله للسما ورّ في اللغة العاملية ، أنه يرمي بعطاياه الى جهة السماء كأنه يذروها على الناس ذرواً .

وقد كنت في طفولتي أصغي لجماعة يفسرون المقصود من (هلينا) في الشطور الثلاثة، ثم يترددون في معنى (العوادل)، ولكن تصريح الشيخ علي الفقيه في ديوانه بأنه عادلي يوضح المقصود الذي يجهله هؤلاء ، وللأدب حسنات في باب التاريخ وهذا منها ، وكنت يومئذ طفلا يافعا ، وبقي ذلك منطبعا في ذاكرتي ، ومن اجل ذلك قلت كلمتي : التأريخ يَنسى ويَحفظ الادب .

ومعنى (هلينا) في المصراع الأول : الاستهلال ، من استهل الطفل أذا صوّت حين الولادة ، والمقصود أننا نحن -يعني العوادل- نولد والكرم معنا ، ويمكن أن يكون المعنى : أننا نستهل بالكرم لا كسائر المواليد التي تستهل بالبكاء .

ومعنى (هلينا) في المصراع الثاني : هطول المطر ، والغوادي : الرياح التي تروح وتغدو ، والمعنى إن عطايانا تنتشر على الناس انتشار المطرعند هطول الرياح المتحركة رائحة وغادية .

ومعناها في المصراع الثالث : أهلا وسهلا ؛ والمقصود أننا بمجرد أن نرى الضيف مقبلا علينا ، نبادره بأهلا وسهلا ، وهذا المدح لو صيغ في اللغة الفصحى لكان من أندح ما قالته العرب .

وفي سنة (١٩٩٠ م) الف وتسعمائة وتسعين ميلادي اخبرني التقي الوجيه ابن عمتنا زمزم الحاج علي خليل انه يوجد صخرة في بيت جدي المرحوم علي ابن ابو ابراهيم الفقيه موضوعة فوق بوابة المدخل ، منقوش عليها :

يا وفد اهلا وسهلا اننا عرب   وهذه داركم والاهل خدام

ولم اسمع هذا البيت قبل ذلك ، ولست اعرف قائله وقد يكون قائله صاحب البيت وقد يكون غيره .

وقد ارسلت بشير ابن عارف ابن العم الحاج ذياب الفقيه ، وصفوان ابن اخي الشيخ علي الفقيه لشراء الصخرة من الذين يقيمون فيه ، فامتنعوا وقالوا : نحن نتبرك بها .

وعلى كل حال ، فإنه بعد هذا ، لاشك في أن آل الفقيه الموجودين في حاريص من العوادل ، ولا شك أيضا في أن العلامة الشيخ علي بن أحمد الفقيه العاملي العادلي منهم .

فَائِدةٌ

مكتبة السماوى ، اشتريت في أيام آية الله الحكيم ، ولعل ديوان الشيخ علي المذكور كان في ضمنها ، فليطلب منها ، وقد تحدثت عن الشيخ علي في مجلة العرفان في المجلد الاربعين ص٣٣٤ ، والعرفان ليست حاضرة لدي ، وصاحب الوسائل لم يذكره ، لأن صاحب الوسائل توفي في سنة ١١٠٥هج سنة الف وماية وخمسة للهجرة ، نعم ترجمه صاحب سلافة العصر بترجمة مختصرة ، كل ذلك مما بقي في ذاكرتي الى هذا الوقت ١٦/١١/١٩٨٨م الف وتسعماية وثمان وثمانين .

آثَارُ آلُ الفَقيه في حَارِيص

لانعرف حدود الزمن الذي سكنوا فيه حاريص ، وفيها آثار قديمة ، جديرة بالذكر ، تدل على قدم استيطانهم فيها .

منها : الآبار المسبلة على الطريق الأعظم ، الذي كان يوصل بين صور وبنت جبيل ، وأهمها البئر الواقعة شمال حاريص ، المسماة باسم مُنشئها (الفقيه علي) التي يختصرها العامة ، فيقولون بعد قلب القاف همزة على عادتهم (بير فئيه علي) ، وبزعم بعض أهل السن، أن هذه الآبار كانت كثيرة ، وأن السيول دفنتها ، و لم يبق منها الا بئر الفقيه علي ، والبئر الموجود في أول وادي عاشور المسماة بئر وادي عاشور ، وبئر العصافير الذي يبعد عن بئر (فئيه علي) نحو مائتي متر تقريبا ، ولعلها دخلت في بعض البيوت التي بنيت عندها قريبا .

ويوجد في الوادي الواقع بين حاريص وحداثا ، قطعة موروثة عن آبائنا ، فيها بئر، وتسمى تلك الأرض باسمه ، فيقولون بئر الجديد ، ولعل نعته بالجديد وتسمية الأرض باسمه يشير الى تلك الآبار التي تحدثنا عنها آنفا بأنها أقدم منه .

وهذا العقار لا يزال مملوكا لأبناء عمنا المرحوم الحاج ذياب الفقيه أخو والد المؤلف(أخو المترجم).

بعضُ خَصَائِص آل الفَقيه

بعض آل الفقيه في حاريص ،وبعض من أعرفه منهم في البلاد الاخرى ، يتمتعون بالروح الاستقلالية ، ويشعرون بأنهم فوق مستوى أبناء قراهم ، فضلا عن غيرها ، ومن أجل ذلك يتقدمون عليهم في المجالس والمجتمعات العامة ، وقد يتقدمون في الكلام ، وتصغي الناس لهم ولا يستكثرون ذلك عليهم ، مع أنهم قد يكونون دونهم في العدد والعدة والمال .

واذا حضروا المجتمعات العامة تقدموا على معظم الناس ، فان لم يجدوا مكانا انسحبوا و لم يقفوا مع الجماهير .

وهم يترفعون على المكاسب البدنية ، فقلما تجد منهم عاملا يوميا فضلا عما دون ذلك من المكاسب ، حتى لو كان لا يملك قوت يومه .

ولا أعرف أحدا من آل الفقيه الذين أعرفهم ، عقّ احد أبويه ، و لم أسمع بذلك أيضا ، بل هم يجهدون في برّهم بالمال ، وبالحرص على خدمتهم ، ولكنهم يهتمون بالابتعاد عنهم مخافة ان يكلفوهم بما لا يطيقون ، فيكون عدم الاستجابة عقوقا لهم .

ومن خصائصهم إكرام الضيف والبذل في سبيله ، وإن كانوا معدمين ، واذا رأى الضيف موائدهم ظنهم من أهل السعة والرفاه ، مع أن ما يقدمونه قد يكونون حصلوا عليه بالدين او بالاستعانة من الجيران ، ولا يستحيون من ذلك في هذه الحالة ، ولا فرق بين الرجال والنساء في جميع ما تقدم .

ومن خصائصهم -والحمد لله- أن نساءهم معروفات بالحصانة والتدين وحسن التبعل، وهنّ حظيات عند أزواجهن ، غيورات عليهم .

والرجال والنساء منهم يزعمون أنهم متدينون متفقهون ، ولكنهم ليسوا كذلك ، فان

تفقههم قليل ، والأكثر منهم محافظون على الصلاة والصيام والقرآن والدعاء ، وهمُّ أحدهم أن لا يرى غيره افضل منه ؛ والشواهد كثيرة :

منها : كنت في صيف ١٩٨٦م مقيما في عنقون في منزل ولدي الشيخ محمد محسن ، وكان هو وعياله في سيراليون ، فوردني جمع - عند المغرب- وكانوا في أكثر من خمس سيارات ، منهم ابن عمنا الاستاذ أنيس الفقيه بن علي الحاج حسن ابن ابوابراهيم الفقيه ، فجعل بعضهم يعرفني ببعض ، وكانوا من عدة بلاد ، وكلهم من آل الفقيه ، وكان فيهم أطباء ومهندسون ومحامون من أهل الكفاءات والعلم ، فارتبت اولاً من مجيئهم ، ثم تكلم أكثر من ثلاثة ، ومختصر ما قالوه :

إن آل الفقيه كثيرون ، وأنهم لو اجتمعوا وتوحدوا استحقوا نائبا من النواب ، وأن هذه الجمعية ستقوم بمشاريع هامة ، منها : بناء مستشفى على نهج متميز ، ومدرسة كدارٍ للعلوم وكذا وكذا والخ.

فباركت لهم ، ودعوت لهم بالتوفيق ، فطلبوا مني أن يكون ذلك كله تحت رعايتي وتصرفي وأنهم مقيدون بتوجيهاتي ، فاعتذرت بكثرة المشاغل .

ثم قلت لهم : هذا محمود الفقيه شخص منكم ، وهو بارز اليوم ، ولو لم يكن فيه كفاءات مميزة لما وصل لما هو فيه ، فأنا انصحكم بالرجوع اليه ، والأخذ بآرائه والانضواء تحت لوائه ، وكان في القوم جماعة من أقاربه من كفرتبنيت ، وكنت لا أعرفهم .

فأصروا على ما طلبوه وأهملوا اسم محمود الفقيه .

وهنا توجهت اليهم ، قائلا ، بعدما استنصحتهم وأمرتهم بالتنبه والاستماع : أنصحكم أن تؤلفوا جمعية عائلية مهمتها تفقد الارامل والأيتام والمعوزين من أبناء العائلة ، ثم مساعدة أمثالهم من سائر الناس ، فإن هذا عمل إنساني ومقدور وكل واحد يحبذه ويساهم فيه .

فتقدم أكثر من واحد للجواب وتكلموا بما شاؤوا ، ومعظم كلامهم أن عددهم كثير وأن فينا علماء وأطباء ومهندسين ومحامين وتجارا ومغتربين وصحافيين .

فقلت لهم أخيرا : أنتم تريدون أن تؤسسوا مشاريع ضخمة تقيمونها على أكتاف الناس ، لأن آل الفقيه فقراء لايقدرون على ذلك ، أعطوني فقيهيا واحدا يملك ألف دونم من الأرض ليستطيع أن يتبرع بمائة دونم أو خمسين دونما أو خمس وعشرين دونما في مكان صالح لإقامة مثل هذه المشاريع ! أعطوني فقيهيا واحدا يستطيع التبرع بالملايين ، ثم إن الاثرياء منكم ليسوا كسائر الاثرياء ، وأنا باب من أبواب الفقراء ، وتدفع لي الأموال من المحسنين ، وللآن ما رأيت واحدا من آل الفقيه أعطاني مبلغا من المال للفقراء .

ثم ترخصت منهم وأذنت لهم بالانصراف .

ونحن لم نذكر هذا استخفافا بأهلنا وإخواننا ، وإنما ذكرناه ليكون درسا وعبرة لأبنائنا وغيرهم ممن يمر بهذا الكتاب ...

كَيفَ أصبَحَ المَذهبُ الجَعفريّ مذهباً رسمياً في لبنان دونَ سَائرِ الدُولِ العَربية

كان المذهب الجعفري في عهد الدولة العثمانية مذهبا محروما من حقوقه ، وكان المذهب الحنفي هو مذهب السلطان ، ومن أجل ذلك كان هو مذهب الدولة .

وبقي الامر كذلك حتى بعد الاحتلال الافرنسي للبنان سنة ١٩٢٠ م ألف وتسعماية وعشرين ميلادية .

وكان يوجد في لبنان بعد الاحتلال قضاة جعفريون ، ولكنهم كانوا يحكمون بين الناس على المذهب الحنفي ، حتى لو كان المتخاصمان شيعيين .

ولكن في سنة ألف وثلاثمائة وأربعة وأربعين تقريبا ، أصبح المذهب الجعفرى مذهبا رسميا في لبنان ، بمساعي الشيخ الوالد وزير العدل السيد أحمد الحسيني ، وساعد على ذلك اقتناع المندوب السامي الافرنسي بمظلومية الشيعة والنصارى في عهد الحكم العثماني .

ثم أصبح المذهب الجعفري مذهبا رسميا في العراق في أواخر العهد الملكي .

وقد اهتم الساسة السنيون السلفيون في العراق ولبنان في إلغاء المحاكم الشرعية الجعفرية ، متسترين بستار الوحدة الاسلامية وبأمور أخرى ولما فشلوا في هذه المحاولة دخلوا من باب آخر ، وحاولوا دمج المحاكم الجعفرية والسنية في محاكم موحدة خالية من لفظ الجعفرية والسنية ، كل ذلك لأجل التوصل الى طمس المذهب الجعفري ، وإبقائه بعيدا عن المسرح العالمي .

أما في لبنان فقد فشلوا لأسباب كثيرة ، أهمها صلابة شيعة جبل عامل ، وتركيبة لبنان الطائفية .

وأما في العراق فقد نجحوا من جهة وخسروا من جهة أخرى ، لأنهم قضوا على المحاكم الشرعية الجعفرية والسنية ، فإن السلطة في المدة الأخيرة ألغت جميع المحاكم الشرعية الاسلامية على اختلاف أنواعها ، وأسندوا القيام بصلاحياتها للمحاكم المدنية ، فكان مثلهم في ذلك ، مثل ابن الزبير عندما وقع هو ومالك الاشتر مصطرعين فقال : اقتلوني واقتلوا مالكا معي !!

وعلى كل حال يبقى السؤال : كيف أصبح المذهب الجعفري رسميا في لبنان .

والجواب عن هذا السؤال يتضح فيما يلي :

في سنة ١٣٤٢ هج سنة ألف وثلاثماية واثنين وأربعين هجرية ، وقعت فتنة في حاريص ، فأقام الشيخ رحمه الله في بيروت نحوا من تسعة أشهر ، وكان ينزل في فندق دار السرور ، الملاصق لسوق سرسق ، وهو أفخم فندق في ذلك الوقت ، وقد اتصل خلال اقامته بالاعيان واهل الفضل من سائر الطوائف.

وكان تأليف كتاب حقائق الايمان نتيجة للمحاورات التي كانت تغمر أنديتهم.

وفي تلك الأيام اهتم الشيخ الوالد في جعل مذهب التشيع رسميا ، وجعل يحرك القضية بسبب سعة اتصالاته ، وكان السيد احمد الحسيني عضوا فعالا في الدولة في ذلك العهد ، فاقترح توقيع مضبطة (عريضة) من علماء الشيعة واعيانها ورفعها للمندوب السامي ، وتعهد بملاحقتها.

وكان عبدا لله مروة ، وهو أحد شباب حاريص الفاهمين يرافق الشيخ الوالد في سفره هذا ، ويساعده على أموره ، فزوّده بالمال والكتب ، وحمّله العريضة ، فتحركت الفكرة ، وكادت تتم لولا المعارضة .

ثم انبعثت الفكرة مرة اخرى ، وأصبح المذهب الجعفري مذهباً رسمياً في سنة ١٣٤٤ هج الف وثلاثماية واربع واربعين هجرية تقريبا ، وأرجعت الحكومة أمر تعيين القضاة للعلماء وعلى رأسهم المرحوم الشيخ حسين مغنية ، ولما حضر الاعيان اليه

وأبلغوه ، وطلبوا منه أن يكون هو على رأس القضاة ، اعتذر بالضعف والتقدم في السن ، فطلبوا منه أن يعين من يختاره ، فاختار الشيخ الوالد ، وكان الشيخ غائبا عن الاجتماع وعن حاريص ايضا ، فارسلوا المرسوم اليه الى حاريص ، فوجدوه في طيربيخا فأُخذ المرسوم اليه .

وتم اختيار الوالد لرئاسة محكمة التمييز العليا ، فكان كذلك ، ولكن جماعة من أعيان آل عسيران وغيرهم ، قالوا : ان المحاكم تحتاج الى شخص عارف بقوانين الدولة ، وكان المرحوم الشيخ منير عسيران عارفا بها ، فصار هو رئيسها ، وبعد ذلك أسندت رئاستها للشيخ الوالد من أجل الكفاءة العالية التي تمثلت فيه ، وبقي فيها بعد انتهاء مدته القانونية عشر سنوات .

وقد منح وسام الإستحقاق الفضّي ، ثم الذهبي ، ووسام الارز ، وكان يعلقه على صدره رئيس الوزراء رياض الصلح بنفسه ، وكان يستره بعباءته استحياءاً ، ولا اعرف أحدا غيره ممن شغل هذه المناصب حصل على شيء من ذلك الى هذا التاريخ أعني ١٤٠٩ هج -١٩٨٩ م .

وقد امتاز عن غيره من أرباب المناصب العالية ، بانه دخل القضاء وكان يُعدّ غنيا بالنسبة للظروف الاقتصادية التي يعيشها القرويون ، ثم خرج منه فقيرا .

فقد كان يملك شطرا من الأرض الزراعية ، ومنها ما يقارب العشرين دونما مشجرا بالعنب والتين والزيتون المؤهل للإنتاج ، وكان يقتني البقر العوامل ، والماعز ، والفرس الاصلية وما يتبع ذلك ، وكان الأُجَراء يقومون بمهمات هذه الامور .

وكان أهالي القرى المجاورة يتبرعون له بالحرث والحصاد والدياسة ، مضافا الى تقديمهم الارض لأجل استغلالها في موسم او اكثر ، ويسمونها شكارة الشيخ .

وعندما خرج من القضاء خرج مثقلا بالديون ، وكان قد باع معظم أملاكه و لم يبق منها الا نحو عشرين دونما لأنها كانت مهوراً لبعض نسائه .

وقد تبرع شباب حاريص المغتربون المقيمون في سيراليون بوفاء ديونه ، جزاهم الله خير الجزاء .

هذا وقد تشيع على عهده أكثر من اربعمائة عائلة اقتناعاً بأحقية المذهب الجعفري ، لانه ما كان يقبل دخولهم في التشيع الا بعد استشعاره اقتناعهم بذلك .

وكان طيلة وجوده في المنصب يحاول استبدال القضاة بقضاة قد بلغوا مرتبة الاجتهاد وعرفوا بالنزاهة .

وتغلب عليه في اواخر أيامه رياض الصلح ، فعين اثنين من القضاة استنادا الى شهادات حملوها من بعض أهل العلم .

من مواقفه الصلبة ، وهي لا تعد ولا تحصى

ان أحد القضاة قدّم للتأديب ، وكان الشيخ على رأس الهيئة ، فقدم له بواسطةٍ ماماية ليرة ذهبا ، وكانت هذه القيمة تعادل راتب خمسة اشهر ، وبذل ماية ليرة ذهبية اخرى للشيخ بشارة الخوري ، الذي اصبح بعد ذلك رئيسا للجمهورية ، ليكون هو المحامي الذي يدافع عنه، ولما انتهى من الدفاع قال له الشيخ :

في هذا الدفاع اولا كذا وكذا ، وثانيا الخ ، وبقي مستمرا الى بلغ عددا لم يجد الشيخ بشارة طريقا للرد عليه ، فقال : وعاشراً ان هذا فيه حرمان للشيخ بشارة من مائة ليرة ذهبا .

وكان الشيخ بشارة يقول : (انا سعيد بوجود مثل الشيخ يوسف الفقيه في الادارة على عهدي) وعلى عهده قدمت له الأوسمة الثلاثة .

سيرتُه في عَهْدِ الاحتلال

وعندما اندحر العثمانيون تيتم عملاؤهم وأنصارهم من الاقطاعيين ، كان ذلك

اليوم يوم عيد للأحرار ، وكان المترجم له أول واحد يطالب بالوحدة السورية وأقل مفاهيم الوحدة السورية في ذلك العهد ، هو انضمام جبل عامل وفلسطين والاردن الى سورية ، وعدم ارتباط مصير جبل عامل بمصير لبنان ، وكانوا يؤملون استمتاع البلاد العربية بالحكم الذاتي ، تحت رعاية الملك حسين ، واولاده عبدا لله وفيصل وعلي ، الذين قادوا الثورة ، وتولوا توجيه أنظار العرب الى تحرير العرب من عبودية الأتراك ، ولم يزل المترجم له وعدد من العلماء والوجهاء يديرون دفة الحركة ، فيقررون الاجتماعات ويوقعون المضابط ، ويبثون الدعوة ، الى ان جاء الامير فيصل ابن الحسين الى الشام ليتوج فيها ملكا ، فذهب العلماء والزعماء وبايعوه .

وعادوا الى بلادهم فرحين ولما وصلوا الى بيروت دُعوا لمواجهة "غورروا" القائد الفرنسي فترددوا في المواجهة ، وكان شطر منهم قد توجهوا من بيروت الى قراهم وبقي شطر آخر ، وأخيرا استقر الرأي على المواجهة ، فذهب الى مواجهة غورو الشيخ الوالد والسيد عبد الحسين شرف الدين وجماعة من العلماء ، وكامل بك الاسعد .

فلما وصلوا الى مقر غورو أُدخل كامل بك عليه ، ثم عاد فرحا مستبشرا قائلا : جئتكم بالبشارة الكبيرة ، قالوا : وماهي ؟ قال : الالتحاق بلبنان ، إن اباءنا كانوا يقولون : نيال مين الو مرقد عنزة في لبنان ، فليقم بعضكم وليدخل معي الى غرفة القائد .

فدخل هو والشيخ الوالد والسيد عبدالحسين شرف الدين ، ولم يكن ثمة الا كرسيين فجلسا ، وبقي كامل بك واقفا ، فخاطبهم القائد بالفرنسية ، فلم يعرفوا ما قال : فترجم لهم الترجمان قائلا : الجنرال يقول ما تقولون في الالتحاق في لبنان ، فسكتوا هنيهة ، ثم تداولوا الرأي فيما بينهم ، فقال احد الثلاثة : الالتحاق بلبنان مصلحة كبيرة ، ووافقه الثاني ، فقال الشيخ : الالتحاق بلبنان مفسدة كبيرة ،

بالأمس كنا في دمشق وبايعنا فيصل ، وسينجم عن هذا الشيء الكثير ، وتكلموا بهذا الكلام فيما بينهم و لم يفهمه غورو طبعا ، فسأل غورو الترجمان عما قالوه ، وبعد بيانه قال له : سل هذا الذي يقول الالتحاق بلبنان مفسدة كبيرة ، ما هي هذه المفسدة ؟ فسأله ؛ فقال الشيخ متحفظا : ان ها هنا اثنا عشر عالما ، وفي البلاد نحو اربعين عالما ؛ وزعيم واحد ، وفي البلاد خمسمائة وجيه ، ونحن لا نستطيع البتّ بدون استشارتهم !!.

فقال لهم القائد غورو بالفرنسية : اذهبوا واجمعوا علماءكم وزعماءكم ، فأخبرهم المترجم بذلك ، فخرجوا وتفرقوا وعادوا لبلادهم .

وبقي الشيخ والسيد جواد مرتضى في بيروت ، خشية ان يعتقلهم الجيش الفرنسي المرابط على الجسور ما بين بيروت وصور ، اذا علموا بما جرى ، لانه على خلاف رغبة الافرنسيين ، لان فرنسا ترغب في الحاق جبل عامل بلبنان .

وفي اليوم الثالث ، حضر الامير فيصل الى بيروت واستدعاهم الى منزله في بيت سرسق ، وارسل لهم عربته الخاصة ، وسألهم عما جرى قائلا : ما عدا مما بدا ، فاعلموه .

ثم سعوا للحصول على بطاقة من غورو تضمن لهم سلامتهم من الجيش الافرنسي المرابط على الجسور ، فلما عادوا حدثت فتورة في الصفوف بعد هذا الموقف ، ولكنهم كانوا و لم يزالوا يعملون مجتمعين الى ان اجتمعوا في يوم وادي الحجير ، ذلك الاجتماع المشهور، عندئذ رأى الشيخ ان المسألة انتهت الى الفوضى ، فوقف في وجه الجماهير ، وجعل يهدئ اعصابهم ، فاعترضه أعز اصدقائه السيد عبد الحسين شرف الدين ، وقال له : دع الشباب في غلوائها ، وكان هذا موافقا لهوى الجماهير ، ولرأي بعض العلماء ، ومنهم السيد عبد الحسين نور الدين الذي خطب وقال : ان لم يكن لدينا سلاح ، نقاتل به افرنسا ، قاتلناهم بالحجارة .

خراب عين ابل وبنت جبيل :

وكان السبب في ذلك هو الاستفزازات السيئة التي ارتكبها حمقاء النصارى من أهل عين ابل ، فانهم استهانوا بكرامة الامير فيصل وسموا الكلب باسمه ، وقيل انهم استهانوا بالنبي (ص) ، وقيل انهم جعلوا مثالا للنبي(ص) وجعلوه هدفا لرمايتهم ، فاغضب ذلك العصابات المسلحة من المسلمين فضلا عن سائر المسلمين ، هكذا كنت أسمع وأنا صغير، فاندلعت من هناك فتنة عمياء صماء ، أخّرت مسيرة الطائفة الشيعية في الجنوب اقتصاديا وفكريا ومعنويا ، ولا نزال نعاني بقاياها ، ولولان لم نهتد للخروج من طخيائها ، لان الشيعة كانوا مسخرين للمسلمين في بيروت في افكارهم ، فكان الساسة المسلمون في بيروت يحرضون الشيعة على الثورة ، وكانوا في الوقت نفسه يظهرون الولاء الى اكثر الافرنسيين ، فأدى ذلك الى سخط الافرنسيين ، وحرمان الشيعة من اكثر حقوقهم .

وينبع موقف الشيخ السلبي في وادي الحجير من صميم الاسلام ، لأن الدين الاسلامي الذي يتمثل بالمذهب الجعفري ، ويخضع لتطبيق المجتهد العادل ، الجامع للشرائط المعتبرة في ولايته على المسلمين أرفع من الفوضى ، وأرفع من الانتهازية ، وأسمى من ان ينقاد للاستفزازات الرعناء ، فان الدين الاسلامي يستنكر إراقة الدماء ويتشدد في صيانة الاعراض، ويهتم في المحافظة على أموال الناس على اختلاف مللهم ونحلهم ، ولا يتجاوز هذه الأنظمة ، الا بمقدار ما يتجاوزه الطبيب المرن عندما يعالج ولده او أخاه فانه يعالجه بالعقاقير ، ثم بالخلاصات المجمدة ، والمستحضرات من السوائل ، ثم بالحقن الجلدية ، فاذا يئس من برئه ، عمد الى اجراء العملية الجراحية ، وانه لن يستأصل العضو المريض الا بعد اليأس من برئه، وطغيان ألمه ، او الظن بسرايته للعضو الصحيح .

هكذا يكون موقف المجتهد العادل المتميز بضبط أعصابه من القضايا العامة.

وهذه سيرة ائمة اهل البيت (ع) وسيرة المراجع الدينيين في العراق ، فان المرجع مهما لاقى من الضغط والاضطهاد ، ومهما لاقى ذووه وأتباعه ، فانه يضبط أعصابه ، ويعمل بهدوء ولا يستحل الجهاد ، ولا يستبيح سفك الدماء وتمزيق الشمل ، واتلاف الاموال الا اذا خيف على بيضة الاسلام وعزته ، ونحن اليوم في زمان نخشى فيه على معنويات الاسلام من المسلمين أنفسهم ، الذين أصبحوا يحللون ويحرمون ، ويتأولون ، ثم ترقّوا الى اكثر من ذلك ، فاصبحوا يشرّعون ويزعمون ان ما يشرعوه موافق للاسلام بتأويلٍ وبدون تأويلٍ .

ثم كان من نتائج الاعمال الاستفزازية التي تنسب الى أهل عين ابل هجوم العصابات والظاهر أنه كان يرأسهم شخص اسمه محمود الأحمد من آل البزي من بنت جبيل وقد يكون له اعوان منهم ومن غيرهم وشاركهم غيرهم في القتل والسلب والنهب ، ومن أجل ذلك سميت تلك الوقعة وقعة عين ابل ، ولم تتعد الفتنة الى غير تلك القرية من قرى المسيحيين المجاورة لعين ابل فضلا عن البعيدة ، فإننا لم نسمع أن أحدا من المسيحيين ناله شيء من السوء في بلدة رميش مثلا ودبل وصلحة وسائر البلاد المشتركة بين المسيحيين والمسلمين مثل يارون وبرعاشيت وتبنين وقانا ، وكذا سائر القرى المسيحية الموجودة في النواحي الأخرى من جبل عامل .

ثم لما احتلت فرنسا ، قام جماعة من اهل عين ابل المتصلين بالأفرنسيين بالتظلم لديهم وصبغوا الفتنة بأنها فتنة بين المسلمين الشيعة والنصارى ، مما دعى الإفرنسيين الى تجهيز حملة مؤلفة من ثلاثة الاف جندي ، وتخريب بنت جبيل ، وكونين ، وعدة قرى ، ثم فرض الضريبة على البلاد ومقدارهاماية الف ليرة ذهبا تعويضا لخسائر المسيحيين مع كذا بندقية ، وقيل ان هذه الضريبة كلفت البلاد خمسمائة الف ليرة ذهبا ، وكانت هذه القيمة تعادل الملايين في قوتها الشرائية .

وكان من نتائجها غرز بذور العداوة بين المسيحيين والمسلمين الشيعة الذين

كانت تجمعهم وحدة حسن الجوار ، وأدب الاسلام الرفيع ، بل ونقمة الحكومة العثمانية على الشيعة والمسيحيين معا كانت توحدهم دهرا طويلا ، وكانت هذه الامور قد خلقت من هاتين الطائفتين جيرانا متاحبين ، بل كانوا كذلك حتى في عهد الحروب الصليبية .

يحدثنا ابن بطوطة في رحلته ويقول : مررت على تبنين دمرها الله ، وهي قلعة تحكمها امرأة من الافرنج ، فرأيت الشيعة والنصارى يجتمعون على ماء واحد ومرعى واحد ، وانني أخاف على هؤلاء المساكين أن يضلوهم ، نقلناه بالمعنى ، لانني احفظه منذ عهد بعيد.

ثم ان الافرنسيين قدروا موقف الشيخ في وادي الحجير ، ولعل ذلك كان بايعاز من المسيحيين من عين ابل وغيرها ، فصاروا يجاملونه ، وكان لمجاملتهم هذه أعظم الاثار ، فقد ارجع اكثر الاموال المنهوبة ، وأمّن القرى التي هاجر اهلها عنها خوفا ورعبا ، ونجّى عشرات الناس من حكم الاعدام ، والحمد لله رب العالمين .

لمحةٌ عَن كَامِل بك الأسْعَد الأول

يظهر من الحديث الذي قدمناه ، أمور لها شأنها :

الأول : تورع زعماء الشيعة في جبل عامل عن سفك الدماء ، مهما اشتدت الخصومات، فقد حاول أحدهم أن يمكر بالآخر ، فهاجم الماشية وأطلق النار عليها ، واتهم خصمه بمهاجمة الناس وإصابته للماشية ، وهذا دليل على تورعه عن سفك دم المؤمنين .

الثاني : تعظيم زعماء جبل عامل للعلماء ، وان كانوا غير موالين لهم ، ألا ترى أن " غورو" استدعى كامل بك الاسعد ، وأنه أعد له كرسيا واحدا ، وأنه عندما دخل عليه هو والشيخ الوالد والسيد عبد الحسين شرف الدين ، قدم الكرسي

لأحدهما ، وبقي واقفا ، ثم أتي بكرسي ثانية ، فقدمها للثاني وبقي واقفا ، فعل ذلك وهو يواجه قائدا فاتحاً ، مع أنه في هذا الحال في حاجة الى إظهار مكانته الزمنية

الثالث : وهو مما تحدث به الناس في ذلك العهد ، وهو يشير الى نبل كامل بك الاسعد الاول ، والى أنه يتمتع بصفات الزعيم البارع .

قالوا : عندما توجه كامل بك الى دمشق لأجل مبايعة الأمير فيصل ابن الملك حسين ، اجتاز في خيزران ، ووقف عند أحد المقاهي ليستريح ويتناول القهوة ، وبالطبع ان جمعاً من الخاصة كان يرافقه ويواكبه .

والظاهر ان صاحب المقهى لم يعامله المعاملة التي كان البيك يراها حقا من حقوقه ، إما لانه لم يكن يعرفه ، وإما لان المقهى كان غاصّاً بالمسافرين من الأعيان في ذلك الوقت .

قالوا : عندما قدم القهوجي القهوة للبيك ووضعها أمامه ، ومضى ، ملأ البيك الفنجان بالليرات العثمانية ، وغمرها بالقهوة ، ثم طلب من الخادم استبدالها بأجود منها ، إما بدعوى انها باردة ، وإما بدعوى سقوط ذبابة فيها أو بسبب آخر ، فعاد القهوجي وأخذ الفنجان متذمراً ، ولكنه لما عرف ما فيه غمره الفرح والسرور ، لأنه قد لا يحلم بالحصول على هذا المبلغ في شهر واحد او أقل او أكثر ، ويقال انه لما عرفه انقلب المقهى الى مهرجان استقبال وتعظيم .. ثم أفرد له جناحا خاصا ، وعزل سائر المسافرين عنه .

قالوا : ولما خرج البيك من المقهى ، وشيعه الحضور ، عمد القهوجي الى الكرسي الذي جلس عليه البيك ، وعلقه في صدر المقهى ، وكتب عليه بالخط العريض : هذا الكرسي الذي جلس عليه كامل بك الاسعد ، ولا يحق لأحد ان يجلس عليه غيره .

هكذا كانت اللافتات التي يبتكرها الزعماء للإعلام عن أنفسهم .

وهكذا حمل المسافرون الى بيروت والعائدون منها هذا النبأ الى بلادهم ، وهنا يتجلى نبل الزعيم وتفوقه في تفكيره عن سائر الناس .

الرابع : عندما تجمع العلماء والزعماء والوجهاء في بيروت ، كانوا عازمين على التوجه الى دمشق زرافات ووحدانا ، فنادى فيهم مناد كامل بيك الاسعد يطلب منهم ان يجتمعوا ويكونوا قافلة واحدة ، وهكذا كان .

ولما اجتمعوا ، كان كل واحد او اثنين أو ثلاثة من العلماء وغيرهم يستعدون للاشتراك في استيجار عربة تنقلهم الى دمشق ، وتبين أن كامل بك قد أمر بتهيئة عدد من العربات لنقل العلماء ومن يرافقهم الى دمشق ، فكانت تتقدم الواحدة ثم يُدعى بعض العلماء للركوب فيها مع من أحب على حساب البيك ، وهكذا حتى أركبهم جميعا .

وهنا يتجلى ايضا نبل الزعيم ، وكيفية توحيده للقوى المتفرقة بأسلوب هادئ محبوب ، يرغبه حتى من كان يحب الانفراد عنه .

الخامس : قالوا : عندما اجتمعت الوفود من الاقطار السورية ، كان الأمير فيصل في قاعة خاصة ، وكان المنادي ينادي كل فئة باسمها او باسم زعيمها ، فيدخلون ويبايعون ، ثم يخرجون ، ثم ينادى باسم غيره وهكذا .

ثم نادى المنادي ليدخل كامل بك الاسعد ؛ فصاح كامل بك الاسعد : قل ليدخل جبل عامل ، فنادى باسم جبل عامل ، فدخل كامل بك ودخل معه العلماء ، وكان كلما قدمت له كرسي أجلس عليها أحد العلماء حتى كان آخر من جلس .

ولا ريب أن هذا العمل استرعى نظر الامير فيصل ، ومن المؤسف أنني لم أسمع من أحد كيف تمت البيعة .

نعم قالوا : ان العلامة الشيخ عبد الحسين صادق ، خاطب الامير فيصل قائلا :

لو جاز سعي الأرض تعظيما الى اجلال مولى

لسعت اليك بلادنا شرفاً وإجلالاً وطولا

هذه لمحة عن زعيم من زعماء جبل عامل في سنة العشرين ، تعطينا صورة عن حياة العلماء والزعماء في ذلك الوقت ..

صفحة مطوية من تاريخ جبل عامل

في ١٧ شوال ١٣٤٣ هج سنة الف وثلاثماية وثلاث وأربعين هجرية - على ما ذكره الشيخ عبد المحسن الظاهر- توفي زعيم جبل عامل الوحيد كامل الخليل المعروف بكامل بك الأسعد ، وبقيت بلادنا بلا زعيم ، و لم يعقب الا ابنتين ، وكان يملك على ما يقال ست عشرة بلدة منها الطيبة وعديسة وعيثا (الزط) الجبل وبيت ياحون وحانين وغيرها ، وتوجه الناس بعده الى أخويه محمود بك وعبد اللطيف بك الأسعد ، ثم ان أخويه أرادا الاحتفاظ بثروة اخيهما خشية انتقالها لغير العائلة وكان له زوجتان ، فتزوج كل منهما واحدة من نسائه وزوج عبد اللطيف بك ابنه أحمد باحدى البنتين وهي ام كامل الاسعد الثاني الزعيم الحالي ، وزوج محمود بك ابنه محمد بالأخرى ، ويقال انه وقع خلاف بينهما ، ولعل ذلك هو ما أدى الى انصراف الأنظار عنهما . وبدأ عبد اللطيف بك الأسعد يسرف فيما تلقاه من ثروة أخيه من الأموال حتى أنه في آخر أمره رهن الطيبة برمتها لأحد زعماء عكار ، ولعله ارتحل عنها الى الجولان لأجل ذلك ، وسكن عند أحد زعماء الجولان في بيوت الشعر!

وحكي أنه زاره بعض الأعيان في الجولان وقالوا له : تركت دار الطيبة وفيها العزّ ، فأجابهم : العز يرحل معنا حيثما رحلنا ويقيم معنا حيث أقمنا !

ثم بعد ذلك توجه للزعامة يوسف بك الزين ، وكانت المؤهلات كلها موجودة فيه ، منها انه قام بحماية المسيحيين وآواهم وأنفق عليهم ، ومنها : أنه صانع الإفرنسيين ؛ ومنها انه كان واسع الثراء وممن يضع البر في محله ، ومنها ... فان هذه الأمور وطدت له الزعامة في بلادنا وصار الزعيم المطلق بلا معارض .

و لم يكن للشيعة حينئذ رئاسة مجلس النواب بل كانت في ذلك الوقت للسنّة ، وكان

يوسف بك نائبا لرئيس المجلس .

وفي سنة ١٣٥١هج ألف وثلاثماية وواحد وخمسين أشار جماعة مـن المخلصين ليوسف بك الزين عليه بالمطالبة بحقوق الطائفة الشيعية من الحكومة الإفرنسية ، لانه هو الزعيم الوحيد المطاع في ذلك الوقت ، ولان الحكومة الافرنسية لا ترد لـه طلبا ، ومن الواضح ان التفكير بهذا الامر أخذ وقتا طويلا ، ومن الصدف انني كنت في تلك الفترة موجودا في كفرمان في شهر رمضـان ، بمناسبة اقـتراني بكريمة العلامـة الشيخ محمد رضا الزين ابن عم يوسف بـك الزيـن ، وكـان والـدي الشيخ موجـودا بهـذه المناسبة ، والظاهر انه كان قد اتفق مع يوسف بك ان يصحبنا في سيارته مـن بـيروت الى كفرمان ، و لم يكن غيره من الزعماء يملك سيارة حينذاك ، ونزلنا ضيوفـا عنـده ، ولا أتخطر ان والدي حضر الى كفرمان ايام وجودي في لبنان في غير هذه المناسبة .

واجتمع عند يوسف بـك الزيـن بهـذه المناسبة جمـع مـن اهـل العلـم والفضـل والرأي، ولعلهم كانوا على علم سابق بان الشيخ الوالد سيجيء في هذه الليلة ، وكان من جملتهم الشيخ علي الزين ، وهو ابن المرحوم الشيخ عبد الكريـم الزيـن ومـن ابنـاء عم يوسف بك وهو يعد من اهل الفضل والادب ، وسمعته يتحدث مع الشـيخ الوالـد – و لم يكن لي حينذاك اهتمام بهذه الامور و لم اكن اعتني بها – والظاهر انهم تحدثـوا بهذا الموضوع وان يوسف بك الزيـن قـر رأيـه علـى دعـوة العلمـاء خاصـة واهمـال الزعماء والوجهاء ، والظاهر ان الشيخ الوالد لم يرجح له ذلـك وسمعـت الشـيخ علـي الزين في اخر الحديث يقول له : انصحـه ، فاجابـه الوالـد : (**انـه مسـتفحل**)، يعـني لايسمع الكلام ولا يأبه للزعماء والوجهاء ، وقد عاد الشيخ الوالـد في صبيحـة اليـوم التالي الى بيروت وتاخرت في كفرمان ثلاثة ايام ورجعت بعدها الى بيروت ثـم عـدت يعد ايام الى كفر رمان ، وفي اول الفجر من احد الأيام خرجت اتمشى من بيت العـم الشيخ محمد رضا الزين الى جهة بيت يوسف بك القريب منـه فوجـدت يوسـف بـك

يصرّف أمور عماله ومستخدميه ويوجه كلا الى جهته ، ثم جلس وقدمت لـه القهـوة والنارجيلة ، وجلست معه وجلس معنا شخص ثالث اسمـه عبد الله كحيـل (١)، فقـال ليوسف بك : ان فضل بك (الفضل الصعبي) يسلم عليك ويقول (**ولو يا ابو اسماعيل ، بتعمل اجتماع وما بتخبرنا**) فاجابه : (**قل لبيكك بيعجبو هيك أهـلا وسـهلا ، واذا ما بيعجبو يسوي اللي بدو ياه**)!

ثم انه على اثر ذلك سمعت ان الزعماء والوجهاء اجتمعوا وقرروا دعوة العلمـاء والزعماء للاجتماع في صيدا عند نجيب بك عسيران ولعل هذا ما كان يخشـاه الشـيخ الوالد من اتخاذ يوسف بك قراره بدعوة العلماء خاصة ، وبالطبع ان يوسف بـك نفـذ قـراره واستدعى العلمـاء لا غير ، وكـان ذلـك الاجتمـاع في يـوم الجمعـة التاسـع والعشرين من شهر شوال سنة الف وثلاثماية وواحدوخمسـين ١٣٥١هـج ، ويقـال ان يوسف بك ارسل الى الشام من يأتي بالدجاج الرومي لاجـل الوليمـة في الاجتمـاع ، فجيء بها تساق سوقا في القرى والبلاد للفت الانظار !!

وقد صادف اني كنـت موجـودا في ذلـك الوقـت في كفـر رمـان ، وحضـرت الاجتماع في منزل يوسف بك ، وكـان الشـطر الأعظـم مـن الديـوان الكبـير مكتظـا بالسواد واكثرهم وقوف ، وفي الناحية الاخرى ثلة من العلماء لاأعرف منهـم سـوى السيد محسن الامين والسيد عبد الحسين شرف الديـن والسـيد حسـن اللواسـاني فانـه كان جالسا في اطراف القوم يشرب النارجيلة ، وقيل لي انه عالم عجمي ، وكـان مـن جملة الحضور ايضا شـخص سمعتهـم يخاطبونـه بسـعادة المتصـرف او المحـافظ ، فكتبـوا وثيقة تتضمن تكليف يوسف بك الزين بالمطالبـة بحقـوق الطائفـة الشـيعية ليرفعهـا الى

---

(١) عبدالله كحيل هو احد اربعة اشخاص او اكثر كانوا معروفين في زمانهم ممن يسامرون الزعماء ويتميزون بروح الفكاهة ، ولعله كان في تلك الليلة ضيفا على يوسف بك .

المندوب السامي وقد أخذت مسودتها من العم الشيخ محمد رضا والظاهر انها بخط الشيخ احمد رضا المعروف ، واحتفظت بها حتى الساعة ، وسأورد نصها وصورتها ، لانها تحمل صورة عن حياة بلادنا في ذلك الوقت بكل جهاتها ، فرفع يوسف بك الزين الوثيقة للمندوب السامي، فأجابه : بأن هذه المطالب لا يمكن تحقيقها دفعة ، وانه سوف تتحقق تدريجا ، فقال له بعزة وكبرياء : الشعب أولاني ثقته ولا بد من ذلك كله !! وخرج من عنده غضبان على ما قيل . وكان هذا سببا في ابتداء انتهاء زعامته .

وبعد ذلك أصبحت الحكومة الإفرنسية التي كانت تعاونه وتساعده أصبحت تقف في وجه مصالحه .

ففي تلك السنة أو بعدها ، صادرت الحكومة محصوله من التبغ الذي يزرعه ، اثناء نقله الى الشوفيات ، لان ثمن كيلو التبغ في الجنوب كان سبعين قرشا فاذا وصل الى الشويفات بيع بما يقارب الثلاث ليرات ، الا ان نقله كان محظورا من قبل الحكومة، الا ان يوسف بك لمكانته المعروفة عند المسؤولين ، كان ينقل تبغه علنا بقطارات من الجمال التي كانت وسائل النقل منحصرة بها وبنحوها من الدواب في تلك الايام ، وكان لا يستأذن في ذلك ، ويقال انه كان يعلم مخافر الدرك بموعد مرور جماله فتقفل للاغضاء عنها ، الا انه في هذه المرة ، ترصد له رجال الشرطة خارج بلدة كفر رمان ، وبمجرد انفصال قطارات الجمال عن البلدة ، اعترضتها الشرطة، وتراشقوا باطلاق النار مع رجال البيك المرافقين لها ،وكانت الغلبة للحكومة طبعا ، فاعتقلوا رجال البيك وأدخلوهم سجن الرمل في بيروت ، وأما يوسف بك فإنه عين رواتب لعوائلهم وأقام مطعما خاصا على باب السجن يقدم لهم المآكل المتميزة وجعل يناضل ويطالب للافراج عنهم ، وأخيرا اضطر أن ينشر في الصحف أنه ينسحب من السياسة ، وقد كتبت احدى الصحف مايلي :

قاتل الله السياسة ، الزعيم الزين ينسحب من السياسة .

وكنت آنذاك قد رجعت الى العراق في سنة ١٣٥٢ هج في أول محرم ، وكانت هذه الصحف ترسل لي من قبل العم الشيخ محمد رضا الزين ، ومنها كنت استقي هذه الاخبار ، وبعد هذا التاريخ فَرَغَت البلاد من الزعماء ، ولم يبق من الزعماء المتميزين مَن يمثل الشيعة على المسرح السياسي وكان الناس معتادين على تكليف الزعماء بحل مشاكلهم فيما بينهم أو توسيطهم بحل قضاياهم العالقة في محاكم الدولة ، والظاهر أنه في هذه الفترة كثر ابتلاء الشيخ الوالد بهذه الامور ، ويشهد لذلك جميع ما تقرأه في مدائحه في المناسبات المتفرقة وفي مراثيه بعد وفاته .

ألا ترى الى قول الشاعر الاستاذ كامل سليمان في رثائه:

فلقد كنت فقيد الزعماء ... ولقد كنت فقيد العلماء

وقوله:

أعجيب ان بكينا بطلا ... وعلى الابطال قامت امم
لامام في الهدى فارقنا ... ساعة اشتدت علينا الظلم

وقوله:

انواري رجلا في امة ... ام نواري امة في رجل

والى قول السيد محمد نجيب فضل الله:

افاقت من الجلى على الخطب امة ... لها من يد الارزاء بالهول مرجف
فلم ار الا باكيا متأسفا ... ولم ار الا ذاكرا يتلهف

والى قول السيد مصطفى مرتضى :

مثل المختار طه بهدى ... وباقدام امير المؤمنين
لو بدا لله منه غضب ... اشفقت من خوفه اسد العرين
همة يقصر عنها زحل ... وتقى ليس له فيه قرين

والى قول الشيخ عبد المحسن الظاهر :

علما طوته يد الردى عذباته بالعدل تخفق فوقنا وترفرف
ان مسنا ضر نؤم ظلاله فيذوذ عنا ضر ما نتخوف
واذا الحوادث اظلمت فبرأيه نوب المشاكل رهبة تتكشف
متوقد عز ما تراه كأنه عضب على عنق المشاكل مرهف
يأبى الضراعة ان تلم بأمة تجري بها نحو الخنوع ويأنف

والى قول الحجة السيد حسين مكي في مدحه:

رب المآثر في البلاد ومنهض الشعب الضعيف
بالامس في صرخاته في معهد العلما الشريف
قاد الجموع بأسرها ودعى الى الرأي الحصيف
رجل بألف في البلاد وقد اقول بأكثر

والى قول السيد عبد المطلب مرتضى :

فأنت يا منعش الآمال مفزعها وانت مفخرها ان تفخر الامم
وانت ساعدها في كل نائبة فيكم تصول وانت السيف والقلم

والى قول السيد عبد الحسين فضل الله في تهنئة ولده التقي بزواجه:

فابوه سيد عامل وزعيمها ومجيرها من طارق الحدثان

والى قول آخر :

خدم البلاد وكان فيها ماثلا في علمه ونزاهة الافكار

وقول الاخر :

أنت المقدم في الورى وزعيم أبناء المحافل

وقول الاخر:

فيا واحد الآحاد هل من سما عُلى علا سمكها الا وانت لها قطب

ان للحاكم على المحكوم حقا وهو الطاعة ودفع الضرائب وللمحكوم على الحاكم حقا وهو العدل [ومنع الحوزة] [illegible] وانماء المرافق

وبث [illegible] فنحن الآن نحتج بهذا الحق الطبيعي ونبث الرغائب العامة لبلاد [illegible] مما نقص علينا من حقنا في هذه

الايام [illegible] انا الى الآن لم نحصل [illegible] ونحن نشكو [illegible] في

[illegible] هذه الحكومة [illegible] بما [illegible] عن غيرنا منذ الحقت بلادنا بلبنان القديم

[illegible]

اما الطرق [فانها] شرايين الحياة الاقتصادية في البلاد والامور الاقتصادية هي الركن الاول لحياة الشعوب ولكن طرقنا لا تزال وعرة ليس في جبل عامل قاطبة سوى طريقة جيدة صور بانياس وهو طريق خاص بساحل البحر بل هو امتداد الكبرى للساحل وما وراءها فلا يقصد الداخلية الوعرة الا قليلا وسوى طريق [illegible] صيدا النبطية مرجعيون [illegible] الجادة الكبرى التي تصل صيدا ببيروت [illegible] وكلا الطريقين [illegible] في زمن الانتداب

وقد فتح [illegible] الى الاسور النبطية جزين والى [illegible] صور بنت جبيل ولكن الاولى [illegible] بعض سنوات لم يقدر له التمام والثاني لا يزال تحت العمل في حين الاشغال العامة تنفق المال الكثير على فتح الطرق اللبنانية وتعبيدها وترميمها ان بلادنا تحتاج الى فتح اربع جادات كبرى اقلا [illegible] ولكن الصعب ينكفئون [illegible] اذا ما عدتهم الاشغال العامة بالتعبيد والرص [illegible] وكثير من [illegible] الطرق الموجودة وترخيص ما يمكن ترخيصه [illegible] في مدخل [illegible] النبطية وبنت جبيل وصور مرجعيون وحاصبيا فنطلب ايجاد [illegible]

واما المعارف فان الامية لا تزال على نسبة زائدة في العامة واما الطبقة المتعلمة تعليما ابتدائيا فانه اكثرها لا تزال محرومة من التعليم الثانوي وفي جبل عامل مدارس ابتدائية ناقصة فنطلب اولا زيادة المدارس الابتدائية على الموجود منها لا سيما في القرى البعيدة عن المدارس

(ثانيا) ان تنشأ في احدى المدارس الناقصة صفوف للتعليم الثانوي [illegible] في مدرسة [illegible] في بيروت

ثالثا يوجد عندنا مدارس ابتدائية اهلية فنطلب اعانتها [illegible] عند توزيع المنح المدرسية للمدارس الاهلية كما بالنسبة قبل العهد فانا رأينا الحكومة [illegible] المدارس الاهلية [illegible] هذه [illegible] فلم تعطها فلسا واحدا ورأيناها وضعت العراقيل في [illegible] جماعة من العقلاء لتأليف شركة [illegible] بيروت جريدة ومطبعة بالنبطية [illegible] فالقي طلبهم في زاوية الاهمال

واما الضرائب فان بلادنا لا تزال تدفع [illegible] المركز [illegible] ايام الحرب [illegible] العشر الواحد [illegible] ولا تزال ضريبة الاعشار يتقاضاها [illegible] جبل عامل [illegible] ولا تزال رسوم التمليك [illegible] منطقتنا و[illegible] لبنان القديم [illegible] نقاومها كلها [illegible] وانتظار انتهاء اعمال المساحة [illegible] فنطلب ابتداء تخفيف رسوم [illegible] التي وضعت ايام الحرب [illegible] والغاء ضريبة الاعشار التي تراها [illegible] ونطلب تخفيف رسم الفراغ والانتقال الى درجة تتساوى بما مع لبنان القديم

وبالاجمال فانا نطلب ان [illegible] الحكومة منذ الآن في مساواتنا [illegible] بالضرائب كلها دون استثناء

اما حفظ الكرامة فهو عن كل شيء فانا نرى الحكومة [illegible]

وان الماموريات ووظائف الدولة فان الموظفين في دوائر الحكومة [illegible] بالنسبة الى حقوق الطائفة المحفوظة لكل الطوائف في صلب الدستور اللبناني [illegible] حتى في الوظائف العالية [illegible]
[illegible] موظف واحد كبير [illegible] دوائر الحكومة [illegible]
[illegible] الشيعة [illegible] الحكومة [illegible] الى ذلك [illegible]
[illegible] واحد [illegible]

وهذه المحافظات الخمس ليس لنا محافظ شيعي وهذه القائمقاميات وحظنا لا اقل من ثلاث ليس لنا الا اثنان وهذه دوائر العدلية ليس لنا في المحاكم العليا [illegible] موظف واحد فنطلب اولاً ان تعطى الطائفة حقوقها من دون كلفة من خيار الاكفياء اهل الجدارة [illegible]

اما حفظ الكرامة فهي [illegible] شيء عندنا [illegible] فقد رأينا ان تحفظ الطوائف اللبنانية في اعيادها ومواسمها الدينية [illegible] ومن ان [illegible] رئيس الجمهورية زارا يوم عيد الفطر [illegible] شيخ عقل الطائفة الدرزية ورئيس التمييز الشرعي السني [illegible] فلم يزر [illegible] فنطلب ان تحفظ كرامتنا بفتح مجال [illegible]

نحن علماء الطائفة المسلمة الشيعية ورؤساؤها الدينيون اجتمعنا
في يوم الجمعة ٢٩ [illegible] ٢٤ شباط [illegible] [illegible]
[illegible] مبارك [illegible] الزاهية [illegible] الطائفة

صورة مسودة مضبوطة العلماء

واليك نص الوثيقة التي قدمها علماء جبل عامل في ذلك الاجتماع الذي دعا اليه يوسف بك الزين والذي كنت قد حضرته واحتفظت بمسودته التي هي بحوزتي الآن ، وهي هذه :

نحن علماء الطائفة المسلمة الشيعية ورؤسائها الدينيون ، اجتمعنا في يوم الجمعة ٢٩ شوال ١٣٥١هج و٢٤شباط ١٩٣٣م بدار سعادة يوسف بك الزين وباسم الطائفة :

ان للحاكم على المحكوم حقا وهو الطاعة ودفع الضرائب ، وللمحكوم على الحاكم حقا وهو العدل وحفظ الحوزة والمساواة في الضرائب ، فنحن الآن نجتمع بهذا الحق الطبيعي وبتلك القاعدة العامة ، لبيان ما نقص علينا من حقنا في هذه الأيام انا الى الان لم نحصل ونحن نشكل عشرين بالمئة في هذه الجمهورية (..) بالمساواة مع غيرنا منذ ألحقت بلادنا بلبنان القديم .

أماالطرق : فانها شرايين الحياة الاقتصادية في البلاد ، والأمور الاقتصادية هي الركن الأول لحياة الشعوب ، ولكن طرقنا لا تزال وَعِرة ، ليس في جبل عامل منها سوى طريقَيْ صيدا- صور- البياضة ، وهو طريق خاص بساحل البحر ، بل هو الجادة الكبرى لفلسطين وما ورائها ، فلا يفيد الداخلية الوعرة الا [قليلا] .

وسوى طريق صيدا- النبطية -مرجعيون ، وهو الجادة الكبرى التي تصل صيدا بسوريا الجنوبية .

وكلا الطريقين أنشئا في زمن الأتراك .

وقد فتح طريق أبي الأسود -النبطية -جزين ، وطريق صور- بنت جبيل ، ولكن الأول مضى عليه بضع سنوات و لم يقدر له التمام ،

والثاني لا يزال تحت العمــل ، في حـين أن الأشـغال العامـة تنفـق المـال الكثير على فتح الطرق اللبنانية وتعبيدها وتزفيتها .

إن بلادنا تحتاج الى فتح أربـع جـوادّ [طـرق] أو خمـس ، وأهـل القرى الصغـيرة يتكفلـون بفتـح فـروع منهـا الى قراهـم اذا ساعدتهم الاشغال العامة بالتحصيب والرَصف .

وتحتاج الى اصلاح الطرق الموجودة وتزفيت ما يمكن تزفيته منهـا و(..) في مداخـل البلـدان الكـبرى كالنبطيـة وبنـت جبيـل وجديـدة مرجعيون وحاصبيا ، فنطلب انجاز ذلك ووضعه موضع العمل .

وأما المعارف : فإن الأميّة لا تزال على نسـبة زائـدة في العامـة ، وأما الطبقة المتعلمة تعليما ابتدائيا فإن أكثرها لايزال متطلعـا الى التعليـم الثانوي ، وفي جبل عامل مدارس ابتدائية ناهضة ، فنطلب :

أولا : زيادة المدارس الإبتدائية علـى الموجـود منهـا ، لاسيما في القرى البعيدة عن المدارس .

ثانيا : أن ينشأ في احد المدارس الناهضة صفوفا للتعليم الثانوي ، وأقله كما في مدرسة حوض الولاية في بيروت .

ثالثا : يوجد عندنا مدارس ابتدائية أهلية فنطلب انعاشها، وأن لا تنسى عند توزيع المنح المدرسية للمدارس الأهلية كما نسيت قبـل اليـوم ، فإنا رأينا الحكومة في منحها المدارس الأهلية البالغة عشرين ألـف لـيرة نسيت هذه الطائفة فلم تعطها فلسا واحدا !!

ورأيناها وضعـت العراقيـل في منـح جماعـة مـن الفضـلاء تـأليف شركة (أنونيم) لإنشـاء جريـدة ومطبعـة بالنبطيـة ، فـألقى طلبهـم في زاوية الإهمال .

وأما الضرائب : فإن بلادنا لا تزال تدفع ضريبة الويركو مع عمالها أيام الحرب حتى جعلت القرش الواحد سبعة قروش ، ولا تزال ضريبة الأعشار ينفرد بها جبل عامل والبقاع وعكار دون مناطق هذه الجمهورية ، ولا تزال رسوم التمليك متفاوتة بين منطقتنا ومناطق لبنان القديم تفاوتا كليا ، وانتظار اتمام اعمال المساحة تعليق على أمد طويل

فنطلب ابتداء تخفيض لرسوم الويركو التي وضعت أيام الحرب ، وإلغاء ضريبة الأعشار التي نراها ضريبة غير عادلة ، ونطلب تخفيض رسوم الفراغ والانتقال الى درجة نتساوى بها مع لبنان القديم .

وبالإجمال فإننا نطلب أن تعمل الحكومة منذ الآن في مساواتنا ببقية بلدان الجمهورية بالضرائب كلها دون استثناء .

وأما المأموريات ووظائف الدولة : فإن الموظفين منّا في دوائر الحكومة قليلون بالنسبة الى حقهم الطائفي المحفوظ لكل الطوائف في صلب الدستور اللبناني ، حتى في الوظائف الصغيرة ، ولو أردنا تعداد دوائر الحكومة كل دائرة بدائرتها وما هو موجود [فيها للطائفة] المسلمة الشيعية لم يكن لابنائنا شيء وهذا مما لا تجهله الحكومة فنلفت نظرها الى ذلك ونرجوها تحقيق أماني الطائفة الشيعية وليس بين المفوضين التسعة عشر والمعاونين الثمانية والعشرين واحد ، وليس بين (....)بوليس سوى نحو ثلاثين منا .

وهذه المحافظات الخمس ليس فيها محافظ شيعي ، وهذه القائمقاميات وحظنا فيها لا أقل من ثلاثة ليس لنا بها الا اثنان ؛ وهذه دوائر العدل ليس لنا في محاكمها العليا موظف واحد .

فنطلب أن تعطى طائفتنا حقها من ذلك كله مع اختيار الأكفياء أهل الجدارة ولا تخلو طائفتنا منهم .

أما حفظ الكرامة وهو أثمن شيء عند من عنده عزّة نفس ، فقد رأينا أنها تحفظ للطوائف اللبنانية في أعيادها ومواسمها دون طائفتنا ، ومع أن فخامة المفوض السامي ورئيس الجمهورية زارا يوم عيد الفطر رئيس شيخ عقل الطائفة الدرزية و رئيس التمييز الشرعي السني ، وأما زميله رئيس التمييز الجعفري فلم يزوراه ، فنطلب أن تحفظ كرامتنا بفسح مجال لرئيس روحي للطائفة نعرفه بالحكومة وافرنسا .

الى هنا ولنعد الى ما كنا فيه .

في هذا التاريخ كانت بلادنا متأخرة عمرانا واقتصادا وثقافة ، نعم .. كانت متأخرة من جميع النواحي كما يتضح ذلك لكل من قرأ هذه الوثيقة التأريخية المتقدمة وتأمل فيها .

وكانت الحكومة الافرنسية في هذا الوقت لا تسمح للموظف الذي يشغل منصبا في الدولة ان يتدخل في السياسة ، وكانت تَعتبر مَن يطالب بهذه الامور مخالفا للنظام ومنتهكا لحرمة القانون ، ومن أجل هذا لم يكن لاحد ان يطالب بالاصلاح وايصال الشعب لحقوقه الا النواب الذين يمثلون الشعب .

وفي هذا التاريخ كنت في العراق وكانت الضائقة الاقتصادية قد بلغت منتهاها ، فكان كيلو البندورة مثلا بفلس او الكيلوين بثلاثة فلوس ، ومثله الباذنجان ، وكيلو اللحم بستة عشر فلسا ، وقس على هذا ، لكن الفلس لم يكن موجودا ، وفي لبنان كانت قيمة (مدّ) الشعير أعني العشر كيلوات بثمانية عشر قرشا ، وسمعت شخصا يحدث الشيخ الوالد ويقول له ان رجلا جاء بالشعير من البقاع يبيعه ، فوجد ان أجور

النقل وقومسيون البيع (عمولة البيع) أزيد من ثمن الشعير ، فانكر الشعير وتركه ! وكان ثمن ذراع الشيث(القطني الملون) بتسعة قروش .

وكان طلاب العلم في النجف يعدون بالالوف ، وكان السيد ابو الحسن الاصفهاني من ابرز المراجع ، وكان يساعد الطلاب بالخبز ، فللطالب المجرد عن العائلة في كل يوم ثلاثة ارباع الكيلو وكان ثمن الكيلو الواحد خمسة فلوس ، لكن السيد كان يشتريه من الخبازين بأقل من ذلك وكنت اسمع من الناس ان الخبز يكلف السيد في الشهر مائة وعشرين ودينارا ، ويتحصل من هذا انه كان ينفق في الشهر نحو ثلاثين الف كيلو أعني ثلاثين طنا ، وكان في كل ثلاثة اشهر او اكثر يعجز عن الدفع للخبازين ، وربما يتأخر تسليم الخبز الى الطلاب فيشعرون بالضائقة ، والظاهر ان هذه الضائقة كانت عامة يتساوى فيها العراق ولبنان وسوريا وايران وغيرها .

ومن اجل هذا لم اكن انا - ولعل غيري مثلي - أفكر بالسياسة ، ومن اجل هذا كنت اجهل اوضاع بلادنا السياسية ، وكان همنا انذاك في العلم والتاريخ والشعر .

وفي سنة ١٣٥٤هج الف وثلاثمائة واربع وخمسين هجرية الموافق ١٩٣٤م الفاً وتسعماية واربع وثلاثين ميلادية ، بلغنا مايلي :

اجتمع الشيخ الوالد (قد) وخالنا المقدس الفاضل الشيخ حسين سليمان والسيد حسن الامين ابن السيد محسن الامين وزعيم الدرك محمد جواد دبوق في بيروت في منزل الشيخ الوالد وتحدثوا في امور الطائفة وما انتهت اليه من الاسفاف والركود ، والظاهر انه كان ذلك في وقت انتهاء مدة المجلس النيابي ، وانتهى الحديث الى فراغ بلادنا ممن يترشح لهذا المنصب ويكون له الأهلية للمطالبة بحقوق الطائفة واستقرّ الرأي على أن آل الأسعد هم زعماء حقيقيون ويهمهم امر الطائفة، واذا تقدم واحد منهم ونجح لم ينازعه احد لان كل واحد من الناس يعترف لهم بالزعامة بخلاف غيرهم ،

فانه اذا تقدم فلان او فلان او فلان ونجحوا لم يعترف احدهم للاخر بالزعامة لانهم أكفاء ، وتبقى كلمة الطائفة موزعة ، ولكن اذا تقدم آل الأسعد يعترف لهم الاخرون ولا يرون في ذلك حزازة .

وأخيرا قرَّ رأيهم على استدعاء عبد اللطيف بك الأسعد - وكان يقيم في الجولان كما تقدم سابقا - وتحريضه على ان يترشح للنياب ، فأرسلوا السيد حسن الأمين لاستدعائه ، فذهب الى الجولان واستدعاه ، ولا أعرف من قام بنفقات الرحلة، ولا أظنه غير الشيخ الوالد ، فحضر ، وبالطبع انهم أوضحوا له الأمور ولعله اعتذر.

وأخيرا قرَّ رأي الشيخ الوالد على ان يصحبه الى منزل صبري حمادي ، وكان صبري حمادي في ذلك الوقت اول بروزه وأول تغلبه على زعماء بعلبك مثل ابراهيم بك حيدر وابن عمه وغيرهما ، وكان متحمسا ، فذهبوا اليه وعرفه الشيخ الوالد بعبد اللطيف بك ، وكان يعرف اسمه طبعا لانه أخو كامل بك ولانهم زعماء بلادنا ولان الاوضاع كما تعرفونها.

فاجابهم صبري : ليتقدم وليترشح للنيابة، ونحن نساعده .

فقال له عبد اللطيف : ياسيدنا النيابة تحتاج الى المال ، ونحن آل الأسعد لم يبق لنا الكرم مالا .

فأطرق صبري قليلا ، ثم قال له : يا ابو احمد .. يتفزع !

فاجابه عبد اللطيف : وحياة راس كامل بك (وكان لا يحلف الا باخيه) لا اعرف الفزع .

قال له : اذا ذهبت من بلدك الطيبة لبلد آخر يقبلوك ويكرموك ؟

فاجابه : يا سيدي الناس بيتشرفوا فينا ولكن نحنا ما بنروح .

فقال له : هل بقي عندك من الخيل ؟

فقال : موجود .

قال له : تركب من الطيبة انت وبعض الخيالة ، الى اقرب بلدة منكم وتـنزلون ضيوفا على من تعرفونه، ثم تخرج من تلك البلـدة الى بلـدة اخـرى ، وتصحـب منهـا بعض الاشخاص مضافا الى من معك وهكذا ، فتكون النفقات على الناس ، وتصيـح (حقي وحق آبائي) واذا دعتك الحكومة للحضور الى بيروت لا تحضر ، وعلينا الباقي.

فرجع الى بيت الشيخ في الغبيري في حارة البطل ، وكانت افخـم دار في تلـك النواحي ، واستقر العزم على ذلـك ، فاستدعوا شـخصا مـن مجـدل سـلم اسمـه فـلان عواضة .

والظاهر انه كان عنده سيارة اجرة تعمل بين بيروت والجنوب ، واتفقوا معـه علـى ان يصحب عبد اللطيف اسبوعا كاملا ، واجرته خمس وعشرون ليرة .

هذا وقد سمعت الشيخ الوالد مرة يقول :

عندما نزل عبد اللطيف من الدار - من الطـابق ثـاني - الى الشـارع أشـفقت على فلان عواضة فاستدعيته فعاد ، فقلت له : اتعرف من معك ؟

قال : نعم ياسيدي ، عبد اللطيف بيك ؟

فقلت له : اتعلم ان الذهاب معه فيه خطر الموت ؟

فقال له : اني مستعد .

فنزل ولما ركب السيارة ، قام الحاج ابراهيم الزيـن - وهـو صـاحب حـانوت مقابل دار الشيخ الوالد - وقدم قفصا فيه بلابل (طيور) لعبد اللطيف ، وقـام شـخص اخر وقدم له شيئا اخر .

قال الشيخ الوالد :فتفألت له بالخير ، ثـم غـادر وفعـل كمـا أوصـاه صـبري حمادي ، و لم يزل ينتقل من بلدة الى بلدة والخيل والرجال تزداد معه ، حتى انتهـى الى صور ، ويقال ان (بشكوف) ، الحـاكم الافرنسـي المعـروف انـذاك والـذي كـان قـد أحكم قبضته على الجنوب ، خرج من صور .

ويقال : ان عبد اللطيف بك عندما وصل الى باب السرايا في صور والجماهير خلفه ، تحوّل نمراً كاسراً وصاح بأعلى صوته :(وين بشكوف ، وين ابن الراقصة ، وين ابن الكذا ، هذه السراي سراي آبائي واجدادي فكيف يقيم فيها !) وأكثر من هذا الكلام .

قالوا : فلم يكن همُّ الموظفين الا اغلاق الابواب عليهم ، ويقال انه عاد والجماهير تروِّد له (تنشد الاناشيد) ومنها :

بشكوف بلغ دولتك سلطاننا عبد اللطيف
باريس مربط خيلنا ورصاصنا يلحق جنيف

الى اخر ما قيل .

فوصل الخبر الى بيروت واهتزت الاوساط فيها ، فاتصلوا بصبري حمادي ، فقال لهم : انه ثائر فاسكتوه وأرضوه لئلا يقلب الاوضاع .

فأعطيت النيابة لعبد اللطيف وعلا صوته ، ولكنه عاش بعد ذلك ستة اشهر وتوفي ، وكانت وفاته في بيروت في محلة الصنايع ، وكانت المواكب والرايات في تشييعه متصلة من الصنايع حتى خلدة .

ثم لما توفي عبد اللطيف بايع الناس ابنه احمد بك ، وقد تقدمت البلاد على عهده كثيرا وحصلت على الشيء الكثير من حقوقها .

هذا موجز ما أعرفه .

من هنا يتضح ان المرحوم الشيخ الوالد كان مهتما بأمور الطائفة ومعنيا بها ، ويختار لها على ضوء ارائه الصائبة .

وقد رثيته بقصيدة ارسلتها من العراق ، وتليت في اسبوعه والمجتمعون فيه عظماء اهل بلادنا والمجاورون لها ، واما السواد فهم حتما بمئات الالوف بحسب العادة ، وقد تولى تلاوة هذه القصيدة الوجيه الاستاذ علي بزي ابن التقي المعروف الحاج

حسن بزي ، والاستاذ علي بزي اصبح وزيرا في عهد شهاب ، ولعله انتخب نائبا عن قضاء بنت جبيل عدة مرات ، وكان هذه القصيدة صدى استحسان ، وقد نشر مقطعها الاخير في بعض الجرائد ، والقصيدة هي :

أنت المقيل اقلني ان كبا قلمي ... فليس يسعدني عند الرثاء فمي
لقد تغلغل هذا الحزن في كبدي ... حتى طغى فسرى للكف والقلم
مرَّ النعيُّ على النادي فروَّعه ... خطب يروِّع حتى الاسد في الاجم
كدنا نذوب له حزناً وصبَّرنا ... أنَّا حلمنا بأن النعي في الحلم
تنبه القلب مذعورا فقلت له ... ان شئت يا قلب قل اولا فكن كلمي
انت الذي حمل الاحزان فهي به ... شعر يعبر عن وجدي وعن ألمي
جسست اوتاره من كل ناحية ... حتى تفجر ينبوعا من الضرم
وقد تخيليت ان النار في كبدي ... والبحر في مقلتي والخطب ملؤ فمي
فهب من رقدة الفاني وأنشدني ... من للضبا والقنا والخيل والعَلَم
من للخطوب ومن للمعضلات ومن ... للنائبات ومن للجود والكرم
من ذا يرد لهذا الشعب لهفته ... عساه يكتم جرح غير منكتم
من لف ذا العلم المنشور فانتشرت ... اعلامنا السود واهتزت على القمم
مضى فما من حشىً الا مولهة ... تطوى من الحزن في مشبوبة الضرم
فاصبح الشعب مطويا على ألم ... من بعد مُصلحه الشافي من الالم
أطواد عامل من ذا هز شامخها ... ومن رمى اذن العلياء بالصمم
من لف ذا العلم المنشور فانتشرت ... اعلامنا السود واهتزت على القمم
يا أيها الوطن المحبوب تعزية ... ممن يودك ودا غير مصطلم
هبني نأيت فلي قلب يرفرف في ... مَغناك كالطير فوق الروض والأكم
هبني نأيت فلم تنأ النصيحة عن ... قلبي وكفي وعن سيفي وعن قلمي

هل فيك حرّيةٌ للرأي ماثلة حتى أحدث أم لا كي أكمّ فمي
لبنان خذ بعراه واتحد معه فانه لك أوفى من ذوي رحم
واحذر ففيك من التجار شرذمة أخشى تباع غداً في أبخس القيم
فلا تغرك أوعاد فكم وعدوا وأخلفوك ودسوا السم في الدسم
تكفي الذئاب من الأغنام واحدة وما روى مدية الراعي دم الغنم
وأنت تسمع للاصلاح طنطنة ولو علمت دعوت الله بالصمم
سيستبدون لا عدلٌ يلاذ به والحكم يصبح للصمصامة الخذم
سودت حزنا على عبد اللطيف يدي ومذ ذكرتك في دمعي مزجت دمي
حزنان عانا هما قلبي فكاد أسىً لولا ابو كامل يقضي من الالم
أحيا المنى أحمد من بعد ما ذبلت ودبَّ فيها دبيب البرء في السقم
أملته عندما ليل الحياة دجا والبدر يأمله السارون في الظلم
أيه ابا كامل خذ نفس محترق وسُد أعاديك وارغم انفهم ودُم

أولادُه

توفي - المترجم له - عن ثمانية أولاد ذكور ، وتسع بنات :

١- الشيخ علي

٢- والشيخ محمد تقي

٣- ومحمد حسن

٤- والحاجة زهراء

وأمهم : لعيا بنت المرحوم الشيخ محمد سليمان البياضي .

٥- وجواهر ؛ زوجة المرحوم العلامة الشيخ رضا فرحات

٦- والحاجة فاطمة ؛ زوجة الاستاذ السيد جعفر الامين ، ابن المرحوم العلامة السيد علي محمود

وأمهما : زينب بنت المرحوم العلامة الشيخ علي مروة من حداثا ، وكل منهما أنجبت بنين لامعين ، وعدة بنات .

٧- وجعفر

٨- والحاجة مريم (أم نجوى)

٩- والحاجة وسيلة (أم سلوى)

وأمهم : خديجة بنت المرحوم الشيخ صلاح سلامة من النبطية .

١٠- وعبد المجيد

١١- والشيخ عبد الكريم

١٢- وحسين

١٣- والشيخ عبد العزيز

١٤- وسكنة

١٥- وعزة

١٦- وليلى

١٧- ولميا

وأمهم : نعامة (أم سليمان) بنت المرحوم العلامة الشيخ حسين بزي من بنت جبيل .

وقد تزوج غيرهن ، وكانت الاولى من حاريص ، تزوجها في أوائل بلوغه ، و لم تلد منه ، فطلقها .

والثانية من سادة بيت جعفر من يارون ، صحبها للعراق وتوفيت حاملا .

والثالثة الحاجة فهدة حجازي ، بنت الحاج فياض حجازي من حاريص ، تزوجها عند عودته من العراق ، وطلقها ، وقد أنجبت منه بنتا وتوفيت .

والرابعة من آل بزيع ، ايضا طلقها ، وقد أنجبت منه بنتا وتوفيت .

وأما لعيا وزينب فقد توفيتا في اسبوع واحد بالوباء ، في ايام الحرب ، وتزوج بعدهما خديجة التي توفيت بسبب النفاس .

وقد كان جدي لأبي يهتم في تكثير الذرية ، وكان يوصي بنيه بذلك ، فقد زوج أولاده الأربعة كلهم في اوائل بلوغهم .

أحفَادُه و أسبَاطُه

كان موفقا في ذريته ، فقد بارك الله في أحفاده وأسباطه ، فكان منهم عدد وافر من العلماء والأطباء والمحامين والمهندسين والمتفوقين بأنواع الثقافات العالية ، وهو ما كان يتمناه في حياته الشريفة .

فالعلماء من بنيه الصلبيين : المؤلف (عفا الله عنه) ، والشيخ علي ، والشيخ

عبد العزيز ، والشيخ عبد الكريم الذي بلغ من الفضل مرتبة حسنة فقد أتقن المقدمات ، أعني النحو والمنطق والمعاني والبيان والمعالم والجزء الاول من الكفاية ، ثم ترك العلم وتوجه للتجارة .

وأما العلماء من أحفاده فهم : الشيخ مفيد الفقيه ، وأخوه المرحوم الشيخ يوسف الفقيه ، وهما معروفان بالفضل والتحصيل ، والشيخ عبد الرحمن ، والشيخ عبد الامير ، والشيخ عبد الاله ، وهم أنجال أخي الشيخ علي ، والأخيران تركا العلم واشتغلا في التجارة ، بعد إنهاء المقدمات والانشغال في دراسة الرسائل ، والشيخ منذر.

والشيخ محمد رضا الفقيه ، والشيخ محمد جواد وهو ممن لمع في هذا العصر بالتأليف، فقد امتازت مؤلفاته بسمو التعبير وسعة الاطلاع وتدقيق الأحداث ، وطبعت كتبه عدة مرات ، وترجم بعضها الى الفارسية ، والشيخ صالح والشيخ يوسف وهما ممن تعلق عليهما الآمال ، فقد حاز الشيخ صالح على شهادة البكالوريا والصف السابق لها في سنة واحدة ، ثم وجهناه لطلب العلم في النجف ، فلمع نجمه ، والشيخ محمد باقر ، وقد ترك العلم وتوجه للكسب ، فاشتغل في التجارة ولمع فيها ولم ينجح ماليا ، والشيخ محمد محسن وقد خرج من النجف وسكن عنقون ، وقام بما يقوم به العالم الديني ، ثم تركها وتوجه الى سيراليون فلمع فيها وبرز ، وهؤلاء من أولاد المؤلف .

واما أحفاد بنيه فهم : الشيخ محمد تقي الفقيه الثاني نجل الشيخ محمد جواد ، ويرجى ان يكون فقيها متقنا ، والشيخ صادق نجل الشيخ محمد رضا ، والشيخ مهدي والشيخ حيدر والشيخ مرتضى انجال الشيخ مفيد ، ، وربما غيرهم في الطريق .

وأما اسباطه فهم : العلامة الشيخ محمود فرحات ، والشيخ محمد فرحات ، والشيخ زيد فرحات ، وهم أنجال الرحوم الشيخ رضا فرحات ، والشيخ محمود تولى

منصب مدير المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى في لبنان ولا يزال ، والسيد حسن مكي نجل العلامة السيد على مكي ابن الحجة السيد حسين مكي .

هذا ما نستحضره فعلا .

وأما البارزون في الطب والهندسة وسائر العلوم المتداولة ، **فهم** عددٌ جم .

أوَلُ مَدْرَسَة مُتَطوّرَة في حاريص

أول مدرسة متطورة عرفتها حاريص هي المدرسة الـتي أسسـها المرحـوم الوالـد (ره) في سنة ١٩٢١م الف وتسعماية وواحد وعشرين تقريبـاً – وكـان لي مـن العمـر نحو سبع سنين – وكانت تضم أكثر مـن سبعـين تلميـذا ، معظمهـم مـن حـاريص ، وبعضهم من قرية كفرا ، وبعضهم من قرية حداثا .

وكانت بذرتها الأولى في ديوان الشيخ ، ثم استؤجر لها بيـت مجـاور للديـوان ، يعود للمرحوم يوسف احمد العلي أخي المرحوم علي أحمد العلي .

وكان الاستاذ يعلمنا الخط والحساب والإملاء ، ويعطينا المحفوظات ، ويعلمنا الإنشـاء والإلقاء ، ومن جملة ماأحفظه حتى السـاعة منـاظرة شـعرية بـين الـوردة والـنرجس ، ومناظرة أخرى بـين تلميـذ وبـين ولـد الراعـي ، وكـان يكلفـني كثيرا عندمـا يجتمـع المتميزون من أهل القرية بأن أمثل أحد الطرفين ، ويكلف تلميذا آخر بتمثيـل الجـانب الآخر ، وقد رأى الناس ورأينا تعليما سهلاً محببا لا نعرفه من قبل ، وكنـا نتسـابق الى المدرسة ، على عكس ما كنا عليه بالنسبة للتعليم في المدارس القديمـة ، وكـان يخرجنـا أوقـات الفرصـة للرياضـة ، فيقسـم الاطفـال بحسـب سـنهم وأجسـامهم ، ويـأمرهم بالاستباق تارة ، وبالاتيان بحبل طويل ، ثم يأمر عدداً معيناً بـالأخذ في احـد طرفيـه ، ويأمر عددا آخر بالاخذ بالطرف الآخر ، ويحاول كل منهم شد الحبل وجر الآخرين.

وفتح ليلا مدرسة في الديوان لمكافحة الأمية بالنسبة للمتقدمـين بالسـن ، فكـان يعلمهم على الإنشاء والامـلاء وتدويـن الرسـائل والأوراق الـتي تقـدم للدولـة لطلـب حاجاتهم .

وقد استفاد الأطفال فائدة كبرى ، فأتقنوا الخط والإنشاء والعمليـات الحسـابية بأقسامها ، بمدة لا تتجاوز الثلاثة اشهر .

ثم فارقنا هذا الاستاذ ، وورد على الشيخ الوالد من بعده شخص آخر فقام بالمهمة ، وكان يجمع التلاميذ في المسجد ، وكانوا أكثر عدداً ، لانه كان يتقبل المبتدئين بتعلم القراءة .

وإنما تعرضنا الى هذا للتاريخ والعِبرة .

كيفَ تكوَّنَتْ أولُ مَدرسَةٍ مُتطَوّرةٍ في حَاريْص

اتفق في بعض الأيام أن المرحوم السيد محمود مرتضى الفاضل الأديب كان ضيفا على الشيخ الوالد (ره) في ديوانه الذي هو مقبرته الآن ، فكان يسألني انا وأخي الشيخ علي في اعراب هذا البيت :

ما نالني من حبها لا والذي عز ووجل

وكنا نروح ونجيء في اعرابه ، وهو يشرب الشاي مع جماعة ، واذا برجل ممتليء أسمر طويل القامة عظيم الهامة يرتدي لباس شيوخ أهل مصر يدخل ويسلم ويقف ، فسلم عليه من سلم ، وبقي واقفا ، فأمره الشيخ الوالد (ره) بالجلوس ، فقال : أجلس حيث أنا أم حيث انتم ، فقال له الشيخ الوالد : اجلس حيث أنت ، فجلس بعيدا في اطراف القوم ، جاثياً على ركبتيه ، وألح عليه المشايخ بالاقتراب من مجلسهم فأصر ، فترك في مكانه .

فلما انتهينا في الاعراب الى قوله (وجل) أعربها السيد بأنها فاعل لنالني ، وكان قد عجز عنها الشيخ أحمد مروة والشيخ حسن سويد والشيخ أحمد الحاج قاسم خليل وكانوا يدرسون أحيانا عند الشيخ الوالد وهم في سنه تقريبا ، فالتفت الشيخ المصري قائلا وللبيت وجه آخر ، فاسلتفت الأنظار ، ثم قال : ان (لا) فاعل نالني على الحكاية ، وجل فعل ماضي ويكون معنى البيت (ما نالني لا) أي انني منذ أحببتها لم تعص لي أمرا ، ويكون نظير قول الفرزدق : (ما قال لا قط الا في تشهده

.. البيت) ؛ وعندها زادوا في اكرامه فأمره الوالد(ره) بالنهوض ، ورفع مكانه وحاول اجلاسه الى جنبه ولكنه لم يرض بان يتقدم على المشايخ الحاضرين في الديوان.

ثم بعد ذلك سأله الشيخ الوالد(ره) عن أمره وحاله ، فقال : انه من مصر وانه من الزقازيق وأنه ليس بصدد العود الى وطنه لأنه محكوم عليه وان جرمه سياسي وانه اذا تغيب أربع سنوات سقط الحكم وانه جاء الى فلسطين وسأل عن بلد فيها عالم يحب العلم ، فأرشدوه الى حاريص ، فقصدها فرحب به الشيخ وآمنه وأكرمه و لم يخبر عن اسمه بأكثر من ذلك مع أنه أقام مدة تقارب أربعة اشهر في ديوان الشيخ ، وكان يحب شرب القهوة المُرَّة لذلك قام ابن عمنا المرحوم أبو نايف باستحضار آلاتها كاملة له من أفضل انواع الاباريق والفناجين وجعل يصنعها بنفسه .

وبعد ان قضى هذا الشيخ المصري أيام الضيافة الأولى ، قال له الشيخ الوالد : البيت بيتك وأولادي في خدمتك وأنا مسلوب الاستقرار بواسطة كثرة المراجعات فلعلك تتولى تربية علي ومحمد تقي ، وكنا لا نحسن القراءة ولا الكتابة ولا الحساب ، فأجابه الشيخ المصري ، ثم رأى الشيخ الوالد (ره) أن يفتح مدرسة ويجعل له جعلا فاستأجر بيتا ورتبنا صفوفا وعلمنا النحو والخط والحساب والإنشاء والإملاء والقراءة والإلقاء والرياضة ، وكان هذا النهج جديدا فبلغ عدد التلاميذ اثنين وسبعين ، بعضهم من كفرا وحداثا ثم وسع التعليم فجعل الديوان مدرسة ليلية يعلم فيها كبار السن .

وقد كان له معه مناظرات أدَّت الى عدوله عن مذهبه ، وكان يتقصد محاججة العلماء الذين يزورون الشيخ الوالد ، فقال له الوالد : ليس كل من يرتدي لباس أهل العلم عالم ، ولكن سلني من تحاجج منهم ، فكان كذلك .

واتفق ان المرحوم السيد محمد ابراهيم زار الشيخ الشيخ الوالد فقال له هذا عالم ، فسأله عن عصمة الأنبياء كما هو معتقد الشيعة ، ثم سأله عن قوله تعالى ﴿ **فهمَّت به وهمَّ بها**﴾ في سورة يوسف (ع) فجعل السيد يسهب ويشرح ويمتد ويزحف نحوه

وهو يشرب النارجيلة والقهوة ويخاصمه باعصاب هادئة ، وبعد ذلك قال له الشيخ الوالد(ره) : كيف رأيت السيد ، فقال : حسن لولا شعشة فيه .

ثم في أوائل شهر رمضان رحل الى جهة مجهولة ، وكان الشيخ الوالد (ره) غائباً فطلبه فلم يجده ، وآخر كلمة قالها : خرجت من مصر وأنا أعتقد أن لو حاججني أهل الأرض في ابي بكر وعمر لحججتهم ، والآن لا أراهما على شيء ونفسي لا تطاوعني بأن أصير شيعياً .

ثم وفد على الشيخ الوالد(ره) بعده شيخ مصري آخر أكبر منه سناً وأقل علما يسمى الشيخ صالح نظمي، فالتمسه الشيخ الوالد فأجاب وتولى ادارة شؤون المدرسة وأدخل فيها التلاميذ الصغار وجعل مركزها دار الجامع ، واجتمع فيها تلاميذ كثيرون ، وأقام مدة ثم ارتحل .

صُورَةٌ عَن كَيفيّةِ التَعلِيم في القُرَى قَبْلَ سَنَة ١٩٢٠م

كان أهل الطموح وأرباب السعة من القرويين ، يتعلمون القراءة والكتابة ، ويكتفون من الكتابة بكون الشخص يجمع الحرف ، بمعنى كونه يستطيع كتابة الكلمة بحروف مجموعة يتصل بعضها ببعض ، في مقابل من يكتبها بحروف مقطعة .

واذا أجاد أحدهم الخط سمي شيخا ، ويرون ذلك مفخرة له يمتاز بها عن سائر أهل القرية ، ولا يوجد من هذا الصنف في القرية أكثر من اثنين أو ثلاثة بحسب العادة وكانت الناس تقصده لاجل كتابة الصكوك والوصايا والرسائل ما أشبه ذلك.

وكثير من الناس يكتفي بتعليم ابنه قراءة القرآن الكريم لا غير ، ثم يتجه بعد ذلك لممارسة مهنة أبيه .

ومعظم أهل القرى يتكسبون بالزراعة ، وقليل منهم يتكسب بتربية الماشية ، ومعظمها وأهمها في بلادنا الماعز والغنم ، وأما البقر فان كل واحد يقتني منه بقدر ما

يحتاج اليه في الحرث والدياسة والحليب ، بخلاف الماعز والأغنام ، فإنها عند أربابها باب من أبواب الكسب والثراء .

وبعض القرويين يتكسبون باتخاذ جَمَل أو جملين أو ثلاثة ، واسطةً للنقل بالأجرة ، وبعض الفلاحين يجمع بين جميع هذه الأمور .

أما الزراعة ، فبعض أرباب الارض يتولون استغلالها بأنفسهم ، فيستعين بزوجته وبنيه وبناته في إدارة شؤونها كالحرث والزرع والحصاد وجمع المحصول وتصفيته ونحو ذلك ، ولا يستعين بأحد غريب ، وبعضهم يستغلها كذلك ويستعين بغيره اذا لم يكن عنده من المتعلقين به ما يغنيه عن العمال ، وقليل من الناس يستغلون أرضهم بواسطة العمال ، وهم أرباب الشأن والأشخاص العاجزون عن العمل ، ومعظم الفلاحين يملكون الارض ، وهم بين من يملك تمام الأرض التي يدير شؤونها ، وبين من يستعين بأرض غيره فيستثمرها بحصة من ناتجها ، او يستأجرها بالأجرة .

عندما يكثر عدد الأطفال الناشئين في القرى ، ينتشر بين ذويهم التحدث حول تعليمهم وهم في سن مبكرة ، لأن الطفل اذا بلغ العاشرة مثلا وأصبح مهيئا للمساهمة مع أبيه في العمل لا يستغني عنه أبوه ، مضافا الى أن الطفل نفسه في هذا السن يرى نفسه مسؤولا عن العمل ، ويعد العمل مفخرة له ، ويشعر أنه أصبح في صفوف الشباب ، فلا يتنازل للذهاب الى معلم القرية .!!

وبعد ذلك يتفقون فيما بينهم ثم يجتمعون بالشخص الذي تكون مهنته تعليم الاطفال ، ويتفقون معه على تعليم أطفالهم قراءةَ القرآن الكريم بأجرة معلومة .

فكانوا يتعاهدون له عن كل من يختم القرآن ويجوّده : ليرة عثمانية ذهبا ، يدفعها الموسر عندما يختم ولده القرآن الكريم ، ويدفعها غيره أيامَ البيدر عندما يصبح الفلاح قادراً على بيع بعض الغلات او الأثمار أو غيرها .

وكان من يتولى هذه المهنة في حاريص ، المرحوم الفاضل الشيخ حسن سويد ،

وقد تعلمت عنده ، ثم أخوه الحاج علي سويد ، ثم الشيخ زين مروة ، ثم الشيخ خليل نصور ابن المرحوم الشيخ موسى نصور .

وحدثني الشيخ خليل نصور حفظه الله وكان يتولى هذه المهنة قبل خمسين سنة تقريبا ، قال: استدعاني الشيخ عبدالله عز الدين بتكليف من أهل بلدته كفرا وندبني لتعليم أولادهم ، فاتفقوا على ما يلي : تقديم بيت يصلح لجميع الطلاب أو الاطفال ، ومسكن للشيخ ومن يتعلق به ، وأجرى على الختمة علاوات أخرى منها الخبز ، ففي كل يوم يقدم له مقدار من الخبز ، موزعا على أرباب الأطفال بشكل مستمر ، ومنها مقلى بيض ، او " عَدَّة " بيض يعني دفع عشرين بيضة عندما يصل الطفل الى سورة الضحى ، ويقدم دجاجة اذا وصل الى سورة سبح مثلا ، وتقدم رأس ذبيحة مع توابعها عندما يصل الى سورة عمّ يتسائلون ، وحملة حطب اذا وصل الى سورة تبت يدا ابي لهب الخ ، مضافا الى البيت الذي يسكن فيه الاطفال ، وذلك لأن الشيخ ومن يتعلق به كلهم يكونون مشغولين في تعليم الأطفال كما ستعرفه .

هذه صورة موجزة عن التعليم في بلادنا ، ولعل هذا كان بعد سنة العشرين يوم كانت المدارس للحكومة قليلة جدا .

كَيفيّةُ التَعْلِيم

أول ما يتعلمه الطفل هو حفظ الحروف الهجائية ، استظهاراً ومكتوبة ، فإذا حفظها ، رسمها الشيخ على لوح تنك أو لوح حجر ؛ ثم يمتحن التلميذ كالآتي :

يقول له إقرأها ، فيقرأها طردا ، ثم يضع الشيخ يده على حرف العين ثم يقول: ماهذا ؟ فان عرف نقل يده وأشار الى حرف الدال ، فإذا عرفها نقلها الى النون ، فإذا عرف طلب منه قراءة الحروف معكوسة ، مبتدأ بالياء ومنتهيا بالهمزة ، فإذا عرف كان من أفضل الناجحين .

ثم ينقله للتعلم على الحركات ، فيرسم له الهمزة مفتوحة ومضمومة ومكسورة وساكنة ، فترسم هكذا : أَ أُ إِ أْ ؛ ثم يعلمه النطق بها ، وهكذا سائر الحروف .

وبالطبع إن هذه المرحلة أسهل من سابقتها ، فربما عرفها الطفل الذكي من مرة أو مرتين .

ثم ينقله الى المرتبة الثالثة ، فيرسم له كل واحد من الحروف مقرونا بالألف والواو والياء والهمزة ، على هذا النحو : با بو بي آب ؛ ويعلمه على النطق بها ، فيقول:

باء + ألف = با

باء + واو = بو

باء + ياء = بي

الف + باء = آب

فإذا أتقن ذلك ، رسم له الكلمات التالية المعروفة بأبجد ، وهي هذه : أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّيْ كَلَمُنْ سَعْفَصْ قُرِشَتْ ثَخَذٌ ضَظَغٌ ؛ ثم يكلفه بتهجيتها وتشكيلها ، فاذا قطع هذه المراحل أصبح قادرا على الشروع في قراءة القرآن الكريم مبتدأً بجزء (عمّ) فيقرأ سورة الناس بسهولة ثم الفلق ، فإذا أحسن القراءة هجاء أو شكلا ، أنهى له القرآن الكريم درجاً .

طَريقةُ التَعْليمُ

وأما طريقة التعليم ، فإن الشيخ نفسه يتولى تعليم الطفل الذكي ، وتتولى زوجته وأولاده وبناته تعليم الآخرين ، ثم يتولى الطفل الذكي الحافظ تعليم أخيه أو قريبه من رفقائه ، ومعنى هذا أن كل واحد يتولى تعليم طفل واحد ، ثم يقف الشيخ

أو ولده ويقرأ الدرس ، ويقرأه الطلاب بشكل جماعي وبصوت عال شبه النشيد ، ثم يردده الاطفال أجمع ، وكثير من الطلاب يفعلون ذلك عند انصرافهم من المدرسة ظهرا أو مغربا .

ثم إذا ختم القرآن وأنهاه ، فرح الأستاذ والتلاميذ ، وفرح أرباب الطفل وفرقوا الحلوى .

والجدير بالذكر أن معظم أطفال حاريص يختمون القرآن الكريم وينهون هذه المرحلة بنحو ثلاثة أشهر ، ولذا كتب السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة في ترجمة الشيخ ابراهيم الحاريصي : أن اهلها معروفون بالذكاء .

مَرَاثِيْه
مَدَائِحُهُ
شِعْرُهُ

الفَصْل الأوَّل

في مراثيه

لقد رثي ره بقصائد وخطب كثيرة وصلنا منها شيء ونختار منه ما يحمل صورة معبرة عن مكانته في نفوس الجمهور في ذلك العهد ، وهي ما يلي :

القصيدة الاولى : لولده الشيخ محمد تقي الفقيه ، كاتب هذه الترجمة :

تفديك لو يجدي من الموت الفدا روح معذبة تذوب تنهدا
وتجلدت حتى اذا استشرى الأسى وطغى عليها في الدجى وتمردا
همت بأن تدع التجلد جانبا وتبوح بالمكتوم كيما تبردا
دعت الدموع بحرقة فاذا بها جمدت وكنت أظنها لن تجمدا
يأيها الملأ الكريم ألا استمع حران ينشد ليته ما أنشدا
واعذر اذا ملك اليراع عنانه فلربما نُمل اليراع فعربدا
ترك البكا عمدا ليكتم وجده هيهات لولا وجده ما غردا
الله اذ حمل البريد لنا الندا كم قد اقام من القلوب وأقعدا
احتشد النديُّ وقد ألم به النبا فاذا به حيران لا يجد الصدا
سكتوا قليلا ثم همّوا بالبكا فاذا الدموع كأنها قطر الندى
ثم اعتلت اصواتهم بمناحة من بعد ما شملُ التصبر بُدِّدَا
نبأ لعمر أبيك ما خصَّ أمرءاً بل عمّ انحاء العراق وأنجدا
يأيها القلم الثكول الى هنا قف فالمصاب على النشيد تجددا
عُج بالفضائل فهي أنجع للحشا ودع البكا إن البكا لن ينفدا
عرج على القبر الشريف فإنه قبر كريم قد تضمن سيدا
بالأمس كان البشر يطفح حوله واليوم أمسى للرزايا منتدى
أرض بها أحييت كل فضيلة كيف اغتديت ببطنها متوسدا
أرض لعمر الله تشهد أنه أحيا لياليه بها متهجدا
وبأنه بذل النفيس لضيفه وأغاث ملهوفا وأنعش مجهدا
وبأنه أحيا شريعة أحمد وبأنه قد كان مدرسة الهدى
وبأنه جمع السراة مكررا في كل حادثة اذا احتدم الردى

أأبا العلي وكم نُدبت لمحنة فوُجِدت فيها الباسل المتوقدا
سل يوم تبنين فكم من مهجة أنقذتها من بين أظفار الردى
ومضى السراة وخلفوها طعمة فوقفت وحدك كالحسام مجردا
طاعنت بالرأي الحصيف وقدتها من بعد ما شمل البلاد تبددا
شعب كبا فانهار ثم أقمته قد ود أن يمسي لمصرعك الفدا
إن الأولى كانوا إذا احتدم الردى فزعوا اليك ليأمنوا كيد الردى
وإذا عرتك من الزمان مُلِمّةٌ ملأوا يمينك مع شمالك سؤددا
وقفوا على القبر الشريف ونكسوا برؤوسهم والحزن يطعن بالُمدى
طمِعوا تُبَرِّدُ بالبيان قلوبَهم والمرء منتظر لما قد عُوِّدا
إيهٍ أبا عبد الأمير فإنها حسرات حرّانٍ يرددها الصدى
أنت البقية بعد يوسف للعلى كن للمآثر منعشا ومجددا

القصيد الثانية : فقيد العلماء : للفاضل صاحب التآليف المشهورة ، ابن خالنا الأستاذ الشيخ كامل الحاج علي سليمان ، وهي من القصائد المعبرة عن الفقيد ، وكان الشاعر لا ينفك طيلة حياة الشيخ الوالد عن مجلسه الشريف في الأوقات التي يمكنه فيها ذلك :

ما لدمع جامد في المقل بعد رزء للمعالي جلل
جلجلت اصداؤه في عامل وأصابت منه قلب الجبل
فالورى.. كفٌّ على القلب ارتمت ويد قد أحدقت في المحمل
يا له الله وقد غادرنا علما يزخر بالفضل الجلي
مسحة من رحمة بل عالما من جلال ، قدوة في العمل
أخذ الأخلاق من منبعها عن أبي الأخلاق خير الرسل

يطرق المشكل لا حل له	ثم يجلوه ، وما من مشكل
عيبة للعلم قد كان اذا	قال ينثال بقول منزل
وحديث ساحر للعقل ، بل	آسر يفتن أهل المحفل
آه للفكر ففي سُبحاته	كان يَنهَلّ كذَوْب السلسل
يعرض الأمر على فلسفة	تهدم البُطل وقول المبطل
أنواري رجلا من امة	ام نواري أمة في رجل
قد طوينا علما لمّا يزل	خافقا للأمس ذاك العلم
وفقدنا قلما مصدره اللو	ح بل ما خط فيه القلمُ
أعجيب إن بكينا بطلا	وعلى الأبطال قامت أمم
أم غريب لو تهاوت دمعة	أو اذا غص من الويل فم
لامام ، في الهدى فارقنا	ساعة اشتدت علينا الظلم
لم تهن في عزمة همته	أو ثناه شيبه والهرم
من رآه في مصلاه وقد	جمدت منه عليه قدم
ذا مصلاه .. وهذي أنّة	فيه حتى يومنا تضطرم
علقت عيناه بالأفق فهل	يا ترى أستاره تنعدم
انها تحديقة في الله في	قدرة يَعْيَا لديها الكلم
هو ذا والله لولا رعدة	فيه تمثالٌ بدا أو صنم
قد ترى في خده منحدرا	لست أدري هو دمع أم دم

....

ايها الراحل عظنا ميتا	رب صمت فاق نطق الحكماء
وانطلق رأيا وثب عزما وبع	نفس حر مهرها سفك الدماء
ان قومي أنكروا أحسابهم	ومضوا يستلهمون الغرباء

دخلاء زينوا الأمر لنا إنما نحن وهم ، ذئب وشاء
مزقونا شيعا واهية فأنا ، بل نحن منهم برءاء
كن كما كنت قذى في عينهم وشجى في حلق أهل الكبرياء
فلقد كنت فقيد الزعماء ولقد كنت فقيد العلماء
أودعوا بطن الثرى مستبصرا بهدى الله ، وهدي الأنبياء
حجبوا هيكله الفاني بها غير أن القبر لا يحوى ذكاء
لم يمت ذو أثر في أمة حين تطوي جسمه كف الفناء
كم فقيد بقيت آثاره لبنات هي في صلب البناء
تلهم الابطال في وَثْباتهم ويغني بجِداها الشعراء
قد نفضنا الكف منه سيدا يجمع العزم وطهر المولد
كان برًّا بالألى ضاقت بهم سبلُ التحصيل أو ذات اليد
كَم له من دمعة حائرة للهيفِ من نداه يجتدي
فهو آس لليتامى وأب للايامى وجلا للكَمَد
وهو قلب مُلئت أحناؤه رحمة ما حجبت عن أحد
قد يحلُّ الموت منه عرَضا ثم يبقى جوهرا للأبد
كم له من بسمة تفسيرها في فم الظامي وتهيام الصدي
هو نفس لم أطق تعليلها قد غذاها بسجايا أحمد
وبتقوى حيدر روّضها بوركا من مصدر أو مورد
فابكه يا حُكْمُ إما غَصَبت حق ذي حق يد ، رغم يد
مات ما مات ولكن هدأة لحياة حَفِلت بالسؤدد
بعثِت في سيد يحكي لنا في جوار المرتضى عن سيد

القصيدة الثالثة : للعلامة حجة الاسلام ابن الخال الشيخ ابراهيم سليمان العاملي البياضي: وهي ايضا معبرة ، ولا سيما عن ناحية أخرى من نواحي الفقيد :

أدمى العيون وعاث في الأكباد أن لا ترى عنوان هذا النادي
متبسما مستقبلا أعيانه بطلاقة المرِح الطروب الصادي
تزهو بك الأيام مشرقة وان أذوت فؤادك كثرة الرواد
قد عطل الديوان عن سماره وارتاع في الإصدار والايراد
سلسل حديثك فالقلوب مشوقة لفرائد الاحكام والأوراد
صفحاتك المثلى تألق للورى كتألق المصباح للوفّاد
شعت كضوءالشمس وانتثرت فهل خفَّ الضيا او بح صوت الهادي
هذا الحديث كما عهدت مبلور ماذا جرى حتى استقر الشادي
هل ساءه أن القلوب مريضة أو أن في العينين ذرّ رماد
أو أنهم لم يفقهوا إرشاده فثنى العنان وجد ركب الحادي
سجلتها صحفا تلألأ بالسنا فتغض من مستفحل الإلحاد
وتشد قلب المؤمنين الى الهدى رسمت فكانت منهل المرتاد
نم نومة الليث المصور فقد ونى هذا الدماغ لكثرة الإجهاد
نم نومة العلماء خاضوا لجة التحقيق والتحقيق محض جهاد
ما مات من أسدى جهودا فذة فاقت بكثرتها عن التعداد
الآن قد بدأت حياتك إن تكن قرت بموتك أعين الحساد
فاهنأ بلقيا المصطفى والمرتضى والطهر والحسنين والسجاد
والطيبين المصطفين من الورى سفن النجاة وصفوة الأسياد
لك في العلي وفي التقي خليفتا علم وفي الأنجال والأحفاد
علما تقى ، حلفا ندى ، تِربا هدى فاقا بفضلهما عن الأنداد

الليث مخلوف بليث مثله والشبل شبل عرينة الآساد
في كل نجل منهما بدل له الجد شد به الى الامجاد

القصيدة الرابعة : لشاعر جبل عامل في وقته السيد محمد نجيب فضل الله الحسني العاملي العيناثي : وهي تحمل صورة معبرة عن شعور الناس لدى سماعهم نبأ الوفاة :

مشت ملء آفاق الجزيرة تعصف على الشرق أسلاك بنعيك تهتف
تمشت على الفيحاء والليل جاثم ومرت على الصحراء والصبح مسدف
وجالت بأكناف العراق نواعيا لها البرق خط والمدامع أحرف
عن الجبل العالي استطارت وأعلنت مع الصبح للدنيا بأن مات يوسف
أفاقت من الجلى على الخطب أمة لها من يد الارزاء بالهول مرجف
فلم أرَ إلا باكيا متأسفا ولم أرَ الا ذاكرا يتلهف
وأن وراء الأكمة اليوم أمة لها ذابل منه السنان و مرهف
بدرع العلى عزّى عليّ محمدا ألا إن صنو المشرفي المثقف
هما التقيا في الخطب شرقا ومغربا كما التقيا نجمان (١) والليل مسدف
هما بعده للصالحات بقية من المثل الأعلى ومن عزّ يخلف
وما العلم الا عالم فيه عامل وإلا فإن الجهل في الناس أشرف
ليوسف في الاسلام فضل جهاده يبارك تاريخ عليه ومصحف
تولى قضاء المسلمين فلم يضق بنازلة ذرعا ومن ذاق يعرف

(١) : يشير بذلك الى أن نجله الاكبر الشيخ علي الفقيه كان موجودا في ذلك اليوم في لبنان ونجله الثاني الشيخ محمد تقي كان في العراق .

وطاردها لدّا على الدين شاهرا يجَمِّع من أشتاتها ويؤلف
خطا بيراع الفضل خطوة فاتح مغالق فيها لا يفيد التعسف
حقائق في الايمان كانت عقائدا بمسمعها للكائنات تشنف
به لبس الاسلام حلة يوسف من البشر والفضل الذي ليس يوصف
على كتف العلياء شُيِّع والهدى له الجود نعش ، والفضيلة رفرف
ومن خلقه السامي وسام مهذب ومن ربه الأعلى سجاف مسجف
عزاء به أبنائه الصيد انما يشاطركم فيه العزا متأسف

القصيدة الخامسة : للفاضل الكامل السيد مصطفى مرتضى العاملي والد العلامة المعاصر السيد جعفر مرتضى من ال مرتضى المقيمين في بلدة عيثا الجبل (عيثا الزط) سابقا:

أرسل الزفرة حينا بعد حين وضع الكف على حر الجبين
ساهما من فجأة الرزء الذي ترك الناس جميعا حائرين
شك صرف الدهر فينا سهمه ورمانا منه بالخطب المهين
دك منا جبلا صعب الذرى كان للاسلام كالحصن الحصين
شق منا مهجا جياشة بالجوى تبقى على مر السنين
إن يوما فيه أودى يوسف لم يدع منا حشا غير طعين
ترك الألباب حيرى ولها ما لها من شغل الا الأنين
عثرة للدهر أَلْوَتْ بالهدى ساء صنعا لا لَعًا للعاثرين
ان نقص الارض من أطرافها هو موت العلماء العاملين
ثلمة للدين لا سد لها أو يعيد الناس رب العالمين
قد فقدنا يوم أودى هاديا عالما بالرشد والتقوى يدين

مثل المختار طه بهدى ... وبإقـــــدام أمير المؤمنين
لو بدا لله منه غضب ... اشفقت من خوفه اسد العرين
همة يقصر عنها زحل ... وتقى ليس له فيه قرين
نجدة للدين كانت عنده ... من طغاة الجاحدين الملحدين
إيه يا قلب فكم من لوعة ... بك حلت تدع الصخر يلين
فابعث الأنفاس حرى بالجوى ... تلهب الكون بآهات الحزين
وأثرها في الورى عاصفة ... تبعث الشجوى بكل المسلمين
نادبا من كان في أيامه ... مفزعا للضعفاء البائسين
قائما كان بشرع المصطفى ... وعلى خدمته كان الأمين
وقويا كان في إيمانه ... من أجلاء العباد الصالحين
فقهاء العصر صبرا إنها ... سنة الله جرت في العالمين
ان حكم الموت فينا نافذ ... ليس تثنيه حشود الدارعين
يوسف حي بفردوس البقاء ... في جوار الانبياء المرسلين
رافل في نعم لا تنقضي ... ان هذا لهو الفوز المبين

القصيدة السادسة : للوجيه الفاضل الأديب الشيخ عبد المحسن الظاهر العاملي (١)

وهـي ايضـا تحمـل صـورة معـبرة عـن الفقيـد تتلاقـى مـع بقيـة الصـور الـتي

---

(١) : الشيخ عبد المحسن الظاهر من آل علي الصغير ، وهو من ذرية الشيخ قبلان ، والشيخ قبلان هوشريك ناصيف النصار وعلي الفارس وعباس المحمد في زعامة بلادنا ، وكان له منها حصة الأسد ، فقد كانت له قلعة ميس وقلعة هونين ، ولعلي الفارس قلعة الشقيف ، ولناصيف قلعة تبنين ، وكان غيرها من القلاع لغيرهم من مشايخ البلاد (لاحظ جبل عامل في التاريخ للمؤلف)-

---

= وكان الشيخ قبلان من الشخصيات المرموقة لدى الحكام المجاورين ، وكان يشترك هو وناصيف وظاهر العمر في أكثر الاجتماعات والمشاورات ، واتضح لي من دراستي لهذا العهد أنه كان يتمتع بالعقل والدين والهيبة والأناة ، ويدلك على ذلك ما يلي :

أما ما يشهد بتدينه ، فهو بناؤه – بعد الإتفاق على قسمة البلاد – مسجدا أو تجديدمسجد بليدا مع تجديد القلعتين ، وهو المسجد الأثري الذي لا يزال قائما ،بخلاف سائر الزعماء .

وأما عقله فإنه يظهر من سيرته ، فإن همته كانت معروفة للمحافظة على حدوده مع ظاهر العمروولديه علي وعثمان وسائر زعماء الجولان ، والذين كانوا حسبما أظن يخضعون لظاهر العمروأولاده ، وكان لا يهتم في غير هذه الناحية ، ولذا كنت ألاحظ أنه لا يشترك مع ناصيف وحلفائه في حروبهم الكثيرة ، لأنني لم أجد اسمه إلا بمناسبة الإجتماعات واللقاءات ، ومواجهة الحكام مثل أبي الذهب وغيره من المصريين الذين غزوا عكا ، وفي الوقت نفسه ساهم كثيرا في الحروب التي كانت تقع بين الفلسطينين عندما يستصرخه حلفاؤه منهم .

وأما هيبته وسطوته ، فيكفى في الدلالة عليها ما جرى له مع عباس المحمد ، وعباس العلي ، الذي كان في منتهى الجرأة والشجاعة .

قال الركيني : وفي سنة تاريخها (ظرف) – يعني الف وماية وثمانين هجرية بحساب الجمل – تقدم عباس العلي على الشيخ قبلان ، فجره الى الخلف ، ثم لما فر طاردته خيل الشيخ قبلان فادركته ، وأمر بحبسه في قلعة هونين .

هذا وهو ابن أخ عباس لمحمد ، ومحسوب عليه ، ومحسوب على ناصيف ايضا ، وقوله : ظرف ، وأمر بحبسه ، يعطينا أفضل صورة لمكانته وهيبته واقتداره .

وعاب عليه بعض من تعرض لتاريخ الأحداث في عصره أنه لم يشترك مع ناصيف في مقاومته للجزار ، التي كانت نهايتها القضاء على ناصيف وعلى جبل عامل في ذلك الوقت .

هذا مع أن علي الفارس كان موجودا ولم يشترك ، بل تحصن مع رجاله في قلعة الشقيف ،ولم أجد من عاب عليه ذلك ، وكيف يشترك العاقل في حرب مفاجئة مع الدولة العثمانية ، ولاسيما اذا كان قائدها الجزار الذي قضى على زعامة معظم زعماء الاقطاع ، ولعل ناصيف كان آخر واحد منهم .

حملتها القصائد المتقدمة :

إن كنت تعرف من قضى فمعرف ... شمس الهداية للبرية يوسف
لم ندر أن الشمس يحجبها الثرى ... ويعم ليل بالجهالة مسدف
ما خلت قبل الموت أن يَلَمْلَمَا ... تهفو به ريح المنون فينسف
علما طوته يد الردى عذباته ... بالعدل تخفق فوقنا وترفرف
أن مسنا ضرّ نؤمّ ظلاله ... فيذود عنا ضرّ ما نتخوف
واذا الحوادث أظلمت فبرأيه ... نوب المشاكل رهبة تتكشف
يحنو على البؤساء حتى إنه ... أحنى من الأم الشفوق وأرأف
عذب الموارد للظماء وطالما ... من عذب سلسل لطفه نترشف
متوقد عزما تراه كأنه ... عضب على عنق المشاكل مرهف
يأبى الضراعة أن تلم بأمة ... تجري بها نحو الخنوع ويأنف

....

يده مقبلة البنان فكل من ... لمست أنامله بها يتشرف
جمع التقى والزهد حتى أنه ... قد راح يغبط نهجه المتصوف
فلو أن قوما فيه قالوا أنه ... بَذّ الاوائل حكمة ما أسرفوا
من راح يطلب ما حواه فانه ... يلقى خضما ماؤه لا ينزف
نزلت صروف الحادثات بمن غدت ... كل الأمور برأيه تتصرف
أعظم برزء قد ألم بعامل ... ترك القلوب أسى تشب وتنطفُ
وسرت على أثر الرزية رعشة ... منها قلوب بني البرية ترجف

....

أأبا العلي تركت بين ضلوعنا ... وجدا يشب وزفرة تتصفف
دَستُ القضاء غدا لفقدك شاغرا ... آلى بغير علاك لا يتعرف

صدعت مصيبتك القلوب فأصبحت فيها يخب أسى الفراق ويوجف
فكأنما وَقف عليك دموعها في كل شارقة تفيض فتذرف
جزعا تصعد آهة أنفاسها فتمر في دوح التصبر تعصف
....
طافوا برمسك خاشعين كأنهم بين الحطيم وزمزم يتطوفوا
فلكم جريت بحلبة والقوم قد وقفوا بها ومضيت لا تتوقف
أتعبت بعدك من أتى متطاولا يبغي مداك بجهده يتكلف
لا يستوى من بات طلق عنانه يجري ومن بالجهل أصبح يرسف
ما كل مصقول الغرار مهند كلا ولا حسن القوام مثقف
تتفاوت الفضلاء في منهاجها فيحوز سبقا بينها المتعسف
....
خلفت بعدك للشريعة من بهم شمل الفضائل والعلى يتألف
لولا العلي وصنوه وأخوهما كنا على نهج الورى نتخوف
فهم لنا سلوى بدور هداية يجلى بنورهم الظلام المسدف
هذا العلي أخو الهدى وابن الهدى فعليه افئدة الخلائق تعكف
وكذا ابن يوسف للأنام محمد يحنو على الجادي البئيس ويعطف
علما تراه لدى البيان وعيلما من دره اسماعنا تتشنف
لو قيل من للخلق بعد فقيدهم لسمعت كل الناس باسمك تهتف
لم يلق بين القوم معتمدا لهم يُلقى اليه الامر غيرك يُعرف
قمران في افق الهدى لا زلتما يهدى بنوركما المضل المسرف
وعلى ثرى جدث الهداية مزنة تهمي رضا عفو الاله وتوكف

القصيدة السابعة : للأديب السيد ضياء فضل الله الحسني العاملي العيناتي :

أودى الردى بالسيد المغوار زاكي الأصول مخلد الآثار
أودى بمجتهد البلاد جميعها فمضى بكل قداسة ووقار
خدم البلاد وكان فيها ماثلا في علمه ونزاهة الافكار
أنى اتجهت ترى ليوسف مأتما فبكل عاصمة أتون ناري
يا راحلاً أدى الأمانة حقها في مصره وبقية الأمصار
فسل العراق عن الفقيد وغيرها تجد الفقيد حليف كل فخار
عظمت خسارتنا بمن قد كان في لبنان ملء السمع والأبصار
قد كان كالشيخ المفيد بعصرنا لله ما فعلت يد الأقدار
ان البلاد بحاجة كبرى الى أمثاله لتراكم الاخطار

....

حاريص كانت بيننا دار العلى ما حالُها من بعد رب الدار
كانت بلبنان الجنوب منارة للمتقين وكعبة الزوار
قُمْ للبلاد فقيدها وأمينها عريت ودين الله بعدك عاري
جاهدت في سبل المكارم والنهى وهديتنا برسالة الجبار
ذهب الصباح وقوضت أهل الوفا والدين يشكو قلة الانصار
أنا ما وقفت مؤبنا ومعزيا غير الكرام السادة الأطهار
والآن جئت معزيا علم الهدى بأبي الفضائل سيد الأبرار

وختام هذه القصيد حسن ولكننا تركناه لأنه لا يتعلق فيما نحن بصدده .

هذا وقد أرخ وفاته الأديب الكامل السيد حيدر ابو الحسن العاملي من بلدة معركة ، فقال :

علم الهداية والفضائل يوسف من هذه الدنيا الدنية قد فقد
ومع الأئمة أرخوه وأحمد في جنة الفردوس يوسف قد سعد

وفي سنة ١٣٤٤هج الف وثلاثمأية وأربعة وأربعين هجرية تقريبا ، انتقل الى رحمـة الله تعالى عم المترجم المرحوم الحاج حسن الفقيه ، المعـروف بالحـاج حسـن ابـو ابراهيـم، فنعى ولده ابو نايف البلاد بأجمعها وكانت طريقة النعي حينذاك أن يكلف شـخص في كل منطقة ينعى قرى تلك المنطقة وكان ممن كلف المرحوم العلامة الشيخ محمـد رضـا الزين ، وكان مضمون الكتاب أو البرقية المرسلة اليه (فقدنا عميدنا..) وكـان التوقيـع باسم يوسف ومحمد حسن ، فظن المرحـوم الشـيخ محمـد رضـا الزيـن أن المتوفـى هـو الشيخ الوالد فنعاه في تلك النواحي وقال : أظن المتوفى فلانا ، وكـان ممـن ورده هـذا النعي المرحوم الحاج محمود فرحات وهو وجيه بلدة عربصاليم بـل أحـد وجهـاء تلـك المنطقة في ذلك الوقت ووالد العلامة الشيخ رضا فرحات - الذي صاهرنـا بعـد هـذه الحادثة بسنوات كثيرة - وجد العلامتين الشيخ محمود فرحات والشيخ محمد فرحـات ، فرثاه الحاج محمود بقصيدة طويلة تنم عن حبٍّ واخلاص ومن الصدف انه توفي قبل وفاة الشيخ المترجم بنحوثمان وعشرين سنة ونختار من قصيدته ما يلي :

يا دهر ويحك من غيبت في الترب ... بدرا ترفع فوق الأنجم الشهب
ثلمت للدين أركانا مشيدة ... كانت تطول على العالي من الهضب
يا دهر ويحك كيف اسطعت مصرعه ... هل انت عن يوسف الصديق كنت غبي
شلت يمين الردى كيف استطال على ... اولي الحجى والنهى والمنزل الرحب
لله كم منطق أودعته حكما ... أجلى وأبين مما خط في الكتب
أوضحت كل حديث كان مشتبها ... يروونه مسنداً عن سيد العرب
والحق أوضحته حتى استنار علا ... والدين صيرته في أرفع الرتب
يا يوسف يا منى عيني مضيت وما ... زودتني نظرة أطفي بها لهبي
صوبت سهمك في أقطار عاملة ... فغير أهل النهى والفضل لم تصب
الأنس ولى وأيام الهنا ذهبت ... والعيش بعد فقيد العلم لم يطب

نص النعي بالفقيد المترجم :

انا لله وانا اليه راجعون

ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

مفتي الجمهورية اللبنانية

هيئتا محكمتي استئناف الشرع الاسلامي

علماء الطائفة الاسلامية الجعفرية

الجمعية الخيرية العاملية الاسلامية

هيئة النضال الاجتماعي

الجمعية الخيرية الاسلامية في برج حمود

ابناء الفقيد وأهالي حاريص

ينعون اليكم ببالغ اللوعة والأسى

المغفور له العلامة المجتهد الأكبر

الشيخ يوسف الفقيه

رئيس محكمة التمييز الشرعية الجعفرية سابقاً

انتقل الى الرفيق الأعلى مساء يوم الإثنين الواقع في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٧٧ هج الموافق ١٦ كانون الاول ١٩٥٧م

وسيصلى على جثمانه الطاهر عصر يوم الثلاثاء في الجامع العمري الكبير

التعزية قبل الصلاة في منزل الأستاذ واصف بك البارودي -برج أبي حيدر-

يسير الموكب من مستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية الساعة التاسعة من صباح الأربعاء في ١٨ كانون الأول ١٩٥٧م الى بلدة الفقيد حاريص - الجنوب حيث يوارى جدث الرحمة ، ولكم البقاء

الفصل الثاني :

مَدائِحُهُ

هـذه المدائـح كـانت تـرد بمناسبات خاصـة ، وقـد وصـل الينـا شـطر منهـا ، واحتفظنا به .

منها : قصيدة للعلامة المقدس الشيخ حسين نور الدين العاملي .

ولعله من (قلويه) أو (برجها) ، وكان يقيـم في أواخـر ايامـه في مدينـة جويـا ، نظمها في تقريض كتاب حقائق الايمان الذي ألفه الشيخ الوالد سنة ١٣٤٣هـج وطبع في ذلك الوقت :

أتحتفني بحقائق الايمان — يا عادم الأمثال والأقران
ووصلتني بهدية علمية — هي مثل مهديها عديمة ثاني
وافت فتلك لطائم مسكية — في طيها وضمائم الريحان
قد عم ريا طيبها من بعد أن — قد خصني وسرى لكل مكان
فسرى بها عني الذي بي من جوى — ولواعج الاشواق والأشجان
هي ريح يوسف والكتاب قميصه — في الغايتين معا هما سيان
فبذاك كان جلى العمى عن ناظِرَيْ — يعقوب بعد تطاول الأزمان
وبذا الكتاب وما به من حكمة — يُجلى عمى الألباب والأذهان
فأعرته النظر الصحيح لمنصف — من خاطر خال من الشنآن
فوجدته بحرا تدفق زاخرا — باللؤلؤ المكنون والمرجان
حلو المجاج لوارد وبعذبه — يروى الفؤاد وغلة الظمآن
فرقانُ حقٍ أُحكمت آياته — بدلائل من ساطع البرهان
هذي الحقائق لا مجازات الورى — صينت عن التخليط والهذيان

ومنها : بهذه المناسبة ايضا ، قصيدة للسيد عبد اللطيف فضل الله الحسني العاملي العيناثي :

علا مقامك قدرا هامة الشهب ونلت غايته الشماء من كثب
أوتيت مثل الذي اوتي سميُّك من حسن وعلم ومن خلق ومن أدب
ساويته بصفات حلقت صعدا وزدته أنك لم تتهم و لم تحب(١)
لو أنصف الدهر لم يعدل لعمرأبي ذاعمةٍ فيك من قاص ومقترب
وكنت أنت ولا ثان شريكك في معنى الرياسة من عجم ومن عرب
وكيف يعدل هذا الناس فيك ومن ترى يعادل بين الترب والذهب
فأنت لي صارم أعددت مرهفه أصول فيه على الأيام والنوب(٢)
لا زلت مرجع آمال نؤملها والمرء بالفضل لا بالمال والنشب

وفي سنة ١٣٤٧هج ؛ شكا الشيخ الوالد قدس الله روحه ألما في خاصرته ، وبقي يعانيه نحو شهرين ، وكان المرض قد خفي على الأطباء ، فقرر الأطباء الأجانب وغيرهم فيما بينهم إجراء عملية جراحية له ، وكان الوسيط بينهم وبين المجتمعين من الأعيان بهذه المناسبة هو الدكتور شريف عسيران حفظه الله ، وكان عمه المرحوم الشيخ منير عسيران من جملة الحاضرين ، وبعد الإتفاق على الجهل بالمرض ولزوم

---

(١) هذا من المبالغة المذمومة ، وقد قيل أعذبه اكذبه ، وهو نظير قول القائل :

(ما شئت لا ما شائت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار)

(٢) : عندما استنسخ حفيدي ماجد الفقيه نجل ولدي الشيخ محمد جواد هذه الأبيات ، انتقد هذا البيت قائلا : ما هذا المديح ، أترى كان هذا الشاعر أعظم من الممدوح حتى جعله سيفا له ، وكانت هذه الملاحظة منه ، نظير ملاحظة عبد الملك بن مروان على جرير عندما قال للفرزدق فيه : (هذا ابن عمي في الشآم خليفة لو شئتُ ساقَكم الي ضعينا) فأسكته عبد الملك وقال له ما معناه : لو لم تقل هذا وطلبته مني لفعلت ، لكنك جعلتني عندك شرطيا .

الجرح بتخديره تخديرا موضعيا ، فأجريت له العملية ، ولما فتح المكان تبين أن سبب الألم قرحة في الكبد ، استولت على معظمه ، وقد استخرج منها الطبيب أكثر من كيلوين من القيح والدم .

وحدثني الوالد رحمه الله بهذه المناسبة بحديثين أستحسن ذكرهما :

قال : كنت مرتبكا أشد الارتباك في اثناء العملية، فسمعت الطبيب يتمثل بقول الشاعر :

(فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينا بالاياب مسافر)

فاطمأنت نفسي ثم هنأني بالسلامة .

وقال ايضا : أن الطبيب مد يده مرة الى جهة الجرح ليكشفه ، فقلت : آخ .

فقال : أآلمتك .

فقلت : نعم .

فوضع يده مرة ثانية برفق في ذلك المكان ، وقال : ألست هنا وضعت يدي في المرة الأولى.

فقلت : بلى .

فقال : أنظر ؛ فنظرت فإذا هي بعيدة عن الجرح ؛ وقال : ياأستاذ الوهم له أثره ولكن مثلك ينبغي أن يكون فوق الوهم .

فصرت بعد هذا أتجلد .

وبعد برئه أخذت الوفود تروح وتغدو لتهنئته .

وللمرحوم الفاضل السيد عبد المطلب مرتضى العاملي ابن المرحوم العلامة الشهير السيد جواد مرتضى من عيتا الزط (عيتا الجبل حاليا) ، مقطوعة بهذه المناسبة ، وهي من أجود الشعر ، و لم يصلنا بهذه المناسبة غيرها :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم   فاسلم فقومك ان تسلم لهم سلموا

إن البلاد لفي هم ألم بها ... مما عراك وفي أحشائها ضرم
ترى حياتك لا شيء يعادلها ... فوق البسيطة وزنا أيها العلم
إن يجرحوك فما في الجرح من ألم ... رفقا فقد كان في أحشائها الألم
فأنت يا منعش الآمال مفزعها ... وأنت مفخرها إن تفخر الأمم
وأنت ساعدها في كل نائبة ... فيكم تصول وأنت السيف والقلم

ومنها : للمرحوم العلامة الشيخ محمد رضا الزين

في رسالة منه اليه في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٥٠هج ، الف وثلاثماية وخمسين :

يا ابن الكرام الأمجدين ... وخير أبناء القبائل
أنت المقدم في الورى ... وزعيم أبناء المحافل
إن قايسوك بواحد ... قاسوا الثريا بالجنادل
أهدي إليك تحية ... من دونها نشر الخمائل
رقت كروض زاهر ... من طبعك استرق الشمائل

وله : قصيدة يعاتبه فيها بتاريخ ١٩ المحرم سنة ١٣٥١ هـج ، الف وثلاثماية وواحد وخمسين هجرية :

أصخ لي سميعا أيها الماجد الندب ... فقد آن أن يستل من غمده العضب
ظننت بي الظن المريب ولم يكن ... وحقك لي ذنب فينكرني القلب
مررت بزاهي ربعكم وهو مخصب ... وجزت كأن الربع حل به الجدب
وما كان تركي للزيارة عن قلى ... ولكن بدا ما لا تخف له الهضب

ومنها :

ألم تدر يا ابن الأطيبين بأنني ... أخو شيم لا يستباح له سرب
وأني امرؤ لا ينزل الضيم ساحتي ... من القوم إن نودوا لمكرمـــة هبوا
لها ميم من صيصاء خزرج أصلها ... اشاوسة صيد أساورة غلب

اذا قصرت أسيافهم يوم معرك أطالت قصارى القضب من عزمهم قضب
وإن خمدت نيران قوم لأزمة فنيران قومي دائم الدهر لا تخبوا
حنانيك لا تذهب بحلمك نزعة فعهدي لك الاحسان والخلق الرحب
عتبت وعتبي يعلم الله أنه عتاب خليل ملء ابراده حب
اذا كان ما بين القلوب تواصل فسيان بعدي عن جنابك ، والقرب
وان كنت مذكورا لديك فهذه هي النعمة الكبرى وأنت لها رب
فيا واحد الآحاد هل من سما عُلى علا سمكها الا وانت لها قطب
تدفقتَ بحرَيْ نائلٍ وفضائل فروض الندى والفضل عندكم خصب
سبَرت بني الأيام مثنى وواحدا فالفيتهم جسما وأنت لهم قلب
وما انا الا السهم ترمي به العدى وما انا الا الرمح والصارم العضب
لئن كنت ذا ذنب فعفوك شامل وان كنت ذا عتب فعتبكم عذب
وحسبك مني انـي لك مقيـم شاكر على الاحسان تهجر او تصبو

ومنها : للشاعر الناثر الشهير الشيخ على مهدي شمس الدين العاملي في رسالة منه إليه :

لم أقترف ذنبا أستحق به ما قد أتاني وبعض القول مكذوب
ولا تغيرت عن حال عرفت بها والمرء في الناس مكروه ومحبوب
ولا تكلمت في شيء ألام به وكل ما ينطق الانسان مكتوب
ولا خفرت ذماما من أخي ثقة فان خافر عهد الود مسبوب
بُلغتُ عنك كلاما قد ظلمت به والظلم يا واحد الدنيا هو الحوب
ألست تعلم والاملاك عالمة أني على ذاتك الشماء محسوب
فكيف تسمعني إن صح ما نقلوا ما لو أتى الذئب عاف المأكل الذيب
ماذا أقول وجدي عاثر ويدي جذا ونجم سعودي اليوم مقلوب

أبا علي اليك اليوم أرفعها شكوى فعبدك نهج الحق ملحوب
أهل أتاك بأني عنك مبتعد أم أن قلبي عن مغناك محجوب
ظلمتني والذي حج الحجيج له بكل ما هو لي بالنقل منسوب
حاشاك يا من أدانيه ويبعدني ومن يرنق صفوي وهو مشروب

أستغفر الله أيها المولى أن يعلق بطاهر أذيالك غبار النقل ، ويسيئني وأيم الحق أني أراك عاتبا ، فضلا عن أن اراك غاضبا ، وها أنا أقول :

لئن كان ما بلغت عني فلامني صديقي وشلت من يدي الانامل

ولهذا الشاعر الناثر رسائل كثيرة وقصائد جمة بمناسبات مختلفة ، ترتبط بما نحن فيه ، ومن المؤسف أنني لم أحتفظ من آثاره الخطية الا بهذه الرسالة .

ومنها : للعلامة الشيخ حسين نور الدين في ضمن رسالة منه للمترجَم :

فلباك قلب في يديك زمامه فان شئت تنعيما وان شئت تعذيبا
ونفس رأت فيك المكارم جمعت فما رضيت الا بذاتك محبوبا
كأن عليها كل ود محرم وودك فرض كان في اللوح مكتوبا

ومنها : للأديب الشيخ ابراهيم شمس الدين ابن شاعر عصره الشهير الشيخ محمد حسين شمس الدين :

أتاني أن الليث انجب فانبرى لساني يوليه الثناء مبكرا
ولولا سعال ضاق صدري بوقعه لما أعتضت في نظم القريض عن السرى
فعذرا أبا الأشبال فالعذر واضح ومثلك من يولي الرضا من تعذرا
فبورك مولودا وبورك والدا غدا رغم شأوي مجده سيد الورى
ولا زالت الأشبال في ظل مجده بخير مدى الدنيا وما الصبح أسفرا

وله بمناسبة أخرى :

ياقطب دائرة الكمال ومرجع العاني الأسير

أبديت لطفا زئدا والللطف من شيم الكبير

وله ايضا بمناسبة غيرها :

قد سبرت الأنام فردا ففردا في المعالي فلم أجد لك ندا
خلق الله فيك معنى بديعا حزته دوننا فأصبحت فردا
ياخدين العلياء طفلا وكهلا وكريم الاعراق أبا وجدا
فضلك الجم قد أراني خصالا لست أحصي لها مدى الدهر عدا
أنت روح الكمال لفظا ومعنى ومنيل الأنام جودا ورفدا
أنت غوث الأنام إن عم جدب والبرايا بنور علمك تهدى
خلقك الروض ان سقته غيوم ونداكم كالبحر جزرا ومدا

ومنها :

فقت كل الأنام فضلا وعلما وبلغت العلياء سعيا وجدا
ذكرك اليوم في الشآم ومصر ناشر في العراق عطرا وندا
من يباريك يوسف في المعالي والمعالي أضحت لذاتك عبدا
كل من رام منك ادراك شأو لم ينله الا عناء وكدّا

وله : معزيا للشيخ بفقده ولده (سليمان) المتوفي سنة ١٣٥١ هـج ، ونختار منها ما يلي :

جاورت سكان القبور ورحلت بالعيد الكبير
وتركت أعيننا أسى تبكيك بالدمع الغزير
يا زهرة الورد التي كانت ليوسف كالعبير
يستافها عند المساء وفي الظهيرة والبكور
يا يوسف انت الملاذ اليوم في الأمر الخطير
ولنا السلوّ عن الفقيد بشبلك الفذ الغيور

ذاك العلي ومن له في المجد منزلة البدور
وكذا التقي أخا الندى من فاق بالعلم الغزير
وسما الى أوج السما وخطى على القمر المنير
من مثله بين الورى وهو المجرب في الأمور
كم موقف قد كان فيه يسطو كالليث الهصور
ومحمد الحسن الذي فيه السجايا كالنمير
وبجعفر بدر الدجى يختال كالغصن النظير
آل الفقيه لأنتم كهف الى العاني الفقير

وتوجد بهذه المناسبة عدة قصائد لشعراء فطريين ننقل منها مايلي :

قصيدة للشاعر الفطري الشيخ علي حسين وهبة العاملي من بلدة (محرونا) وهي :

فقال لسان الحال صبرا على الأذى فلا مهرب مما به الله قاضيا
ففي آله الغرّ الميامين سلوة كرام لهم في العلم أعلى المعاليا
فكل فقيه عالم وابن عالم مجيب على الفتوى بغير توانيا
فيا علما الأعلام والعيلم الذي بغير رضى الرحمن لست بقاضيا
اذا لم أكن باك مواس ليوسف فما كنت خلا صادق الوعد وافيا

وله قصيدة ثانية يقول فيها :

سليمان غدرن بك الليالي مرضت و لم يصادفك الشفاء
لقد زعم الطبيب دواه يشفي ومع حكم المهيمن لا دواء

ومنها :

ففيك وفي بنيك لنا سلوّ ومثلك من يكون به العزاء
وقيتم كل نازلة وضيم ودمتم والأنام لكم فداء

وللشاعر الفطري التاجر المعروف المرحوم الشيخ سليم برجي العاملي : من بلدة (الرمادية- قضاء صور) قصائد كثيرة منها :

صبرا أيا قطب الشريعة بعده فالموت حتم ما له من فادي
واسلم ودم يا كهفنا ولك البقا يا ملجأ القصاد والورّاد
أنت الصبور على الخطوب بهمة تردي الأسود الشوس يوم جلاد
كم فل منك الرأي جيش حوادث والبيض ما سلت من الأغماد

وحدثني هذا الشاعر رحمه الله أنه أنشد الملك عبد الله ابن الملك الحسين في قصره في عمان قصيدته التي يقول فيها :

تدري الفوارس أنه قطب الوغى والصافنات بأنه خيالها

قال : لما سمع الملك عبد الله هذا البيت وقف مستحسنا ، وكان ثمة عدة شعراء ، وأثنى عليه قائلا : انه يقول هذا عن طبع لا عن تطبع !

وللحاج علي أفندي عبد الله مفتي مرجعيون : مؤرخا ولادة سليمان نجل المترجم ، وقد توفي يافعا ، وكان قد ولد في بيروت في المصيطبة ، وكان الشاعر ضيفا تلك الليلة على الشيخ الوالد :

أذكى فخار قد بدت تزهو بأبراج التهاني
أم أنجبت ذات العفاف سليلة الشرف المصان
ذا غرة من نوره الزاهي استمد الفرقدان
لأجل حبر فاضل سامي المفاخر والمكان
قل فيه يوسف عفة قل فيه سحبان البيان
قل يا خدين المكرمات وفاقدا بالفضل ثاني
يهنيك نجل مفاخر فيه تغايرت المعاني
وشيُ الجمال لقد كساه فجل حسنا عن مداني

صف يا مؤرخ وَشيه   هذا سليمان الزمان

١٣٤٧هج

وللوجيه التقي الشاعر الفطري الحاج محمود فرحات والد العلامة الشيخ رضا فرحات:

الآن سالمنا الزمان الغادي   وصفا وقابلنا بكل وداد
والعيد عيد الفطر عاد على الورى   يزهو ليوسف سيد الأمجاد
ووجوده فينا بكل سلامة   هو عندنا من أكبر الأعياد

وللعلامة السيد محمد صفي الدين العاملي من (دير قانون) :

أتذكر أننا برحاب مولى   تفرد بالعلى فعلا وقولا
فحزنا في ربا حاريص أنسا   يعادل من لطيف الدهر حولا

وللعالم الفاضل المرحوم الشيخ محمود عباس العاملي العيثروني

وقد جاء مع جماعة لزيارته فلم يجده في البيت ، فترك هذه القصيدة :

قصدنا عميد الفضل والجود والندى   لنجني ثمار الأنس أو نربح الغدا
عهدناه بحرا بالمكارم مزبدا   ومن أم مغناه يبل به الصدى
وتجلى هموم القلب عنه وتذهب

علمنا بمن قد حل وسط رحابه   وفاز بقرب من رفيع جنابه
فسرنا اليه مسرعين لبابه   لنحضى بذاك البدر قبل ذهابه
ونجني ثمار الفضل منه ونكسب

وذاك حليف الفضل من وده صفا   وعمن غدا ينحوه بالود ما غفا
وفي برده لف المكارم والوفا   عنيت به بحر المكارم يوسفا
وفي من سواه لست بالود أرغب

عرفت به بحرا من العلم زاخرا   وَشِمْت به بدرا على الأفق زاهرا

فكم قد جنى للمسلمين مفاخرا وأحيا لهم في العالمين مآثرا
تدوم مع الأيام تتلى وتكتب
لقد أوضح المنهاج للدين والهدى فكان لأهل الفضل بالفضل سيدا
حقائقه تتلى وتروى على المدى وتلك تسر الصحب أو ترغم العدى
بآيات حق للنبين تنسب
أبان بها للناظرين الطرائفا وأبدى بها للناظرين الحقائقا
وكان بما يرضي المهيمن ناطقا فلا زال للفضل العميم معانقا
ولم تلهه عنه سعاد وزينب
ربحنا ونلنا من ودادك يوسف أمورا حوت يا بحر ما ليس يوصف
فلا زلت مولى بالفضائل تعرف ولا زلت بحرا والندى منك يغرف
مدى الدهر في أمن كما أنت ترغب

للفاضل الشيخ صفي الدين سلامة (١) مهنئا ابن عمنا المرحوم محمد الحاج حسن الفقيه المعروف بأبي نايف، ومادحاً الشيخ الوالد ، ولعل هذه القصيدة بمناسبة زواجه الشقيقة الحاجة زهرة الفقيه ، المعروفة بالحاجة أم نايف الفقيه :

لا بسعدى وجدى ولا بالرباب لا ولا في كواعب اتراب

---

(١) : الشيخ صفي الدين ابن الشيخ محمد سلامي ، كان من سكان (حداثا) وكان من الفطنة على جانب عظيم ، فكان يصلح الساعات وكان بناءا ونجارا ، واشترك مع ابن عمنا المرحوم أبا نايف ، وابن خالتنا المرحوم الحاج عباس ، على معمل طحن (بابور طحن) وأعتقد أنه أخذ الثلث لقاء بناء المحل وادارة المعمل ، كانوا يقولون أنه صنع (سماوراً) من (التنك) وضع له خطا يسير عليه كما يسير القطار ويقف أمام الشارب ريثما يأخذ حاجته ، وسمعت منه أو عنه : أن القاضي الشاعر الفكاهي الشيخ علي مهدي شمس الدين اشتراه منه بساعة وحمله على كتفه وخرج من النبطية وهو راكب على فرسه ، يفعل ذلك اعتزازا وتفكها ؛ وهذا العمل يدل على تفوق الفكر العاملي وآل سلامة ينسبون الى قبيلة عربية تسمى السلامات في بادية العراق .

لا ولا مطربي أغر غرير لا ولا مسكري كؤوس شراب
بل غرامي بحب فذ ذكي طيب الأصل أروعي الجناب
معدن اللطف والمكارم مَنْ مِنْ ندى كفه فيض ثاقبات السحاب
قمري خَلقا ويسكر خُلقا لم يفه ناطقا بغير الصواب
أن ينادى محمد لم تخله بسوى باسم سخي مهاب
ان تبدى بدا بطلعة بدر أو دعاه الداعي فليث بغاب
كم من الحاسدين نزعة عرق صيرتهم في حسرة واكتئاب
زاد في قربه ليوسف فخرا وسما نسبة على الأنساب
كيف لا وهو آية الله في الخلق ومقصٌّ وساوس المرتاب
حلية الدهر هامة الفخر حامي حوزة الدين قدوة المحراب
فهو فكاك مشكلات البرايا وهو حلال غامضات الكتاب
بين كفيه للعفات نمير وسحاب ينهل بعد سحاب
ان أقل يوسف العزيز فما أخطأت قولي ولا عدمت صوابي
قلما يجهل الأنام سناه فهو شمس لم تستتر بحجاب
يا هماما تطأطؤ الهام منه خجلا وهو روضة الألباب
لم تزل في الأنام حصنا حصينا والى الوافدين رحب الجناب

وكتب له بعض اصدقائه يعزيه :

يا يوسف الصديق صبرا على ما قد جرى ليس بمردود
كل امرء يشرب كأس الردى لأجل قد خط معدود
فاسلم ودم أيا عميد العلى في فضلك السامي وفي الجود
ان عدَّ بالفضل فتى غيركم فمثلكم ليس بموجود

وللشيخ عبد الباسط الحر أبيات :

أمولاي اني قد قصدتك واثقا بأنك للراجين أكرم مقصود
فوجهك منه بارق البشر لامع ويمناك في يوم الندى ديمة الجود
اذا ضل من قد بات يلتمس القرى فمن نارك الكبرى بجيّهل نودي
بفضلك أمسى كل جيد مطوق وقد جئت ابغيه فطوق به جيدي

وللمرحوم الشيخ قاسم محي الدين في رسالة أرسلها من النجف الى بعض أصدقائه في لبنان :

وعلى امام الفقه يوسف حجة الـ ـإسلام من ساوى الرضي المرتضى
ذاك الذي ملأ الصدور بفضله حنقا فحركها عليه وحرضا

وفي سنة ١٣٥١هـ ج الف وثلاثماية واحدى وخمسين هجرية ، كان اقتران المؤلف بكريمة العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الزين ، وقد نظم جماعة من الإخوان والأصدقاء قصائد للتهنئة بهذه المناسبة :

منها : قصيدة موشحة للعلامة الحجة السيد حسين يوسف مكي العاملي ، وهي من الجيدات الأبكار :

يا نهر كم تجري على تلك الصخور الجامدة
تضحي بك الأمواج ثائرةً وتمسي راكدة
لا أنت يعجزك المسير ولا تَبلّ جلامدة
درس يعلمنا الثبات وعبرة لم تُسطَرِ

....

تعلو ضفافك روضة غناء تبسم زاهرة
تحنو عليك غصونها جذلانة متصاغرة
لغز يعلمنا التواضع لو نحلُّ عبائره
فتخف غلواء القوي وغلظة المتكبرِ

كم جدول أرسلته بحدائقٍ متضاحكة
أثمارها اختلفت بها وجذورها متشابكة
رمز الى أن النفوس اصولها متشابكة
لا يفخر الرجل القوي على الضعيف المعسرِ

....

يا نهر مالك لا أسيغ شرابك العذب النميرْ
الماء حول بيوتنا وقلوبنا تصلى سعيرْ
والفاتحون منعَّمون على ضفافِكَ في القصورْ
وابن البلاد مبعَّد عن خيرها المتكثرِ

....

بالأمس كانت دَوْلة ترعى الممالك والدولْ
وتذود عن غاياتها أسد العرينة بالأسلْ
كانت تحج لها الملوك وتستجير بها الدولْ
واليوم أضحت آلة للغالب المستعمرِ

....

أبَنِي العروبةِ شمّروا وتفيأوا ظل الأسلْ
ذودوا عن المجد الذي شادت معالمه الأولْ
وابنوا على ذاك الأساس وشيدوا تلك القُللْ
لم يُجْدِنا فخر بهم إن لم نسر بالأثرِ

....

يا زهرة النشئ الذي لمعت بُرُوق علومهِ
جمع الكمال ملخصا لجديده وقديمهِ

سر في سبيل المجد لا — يثنيك عزم خصيمهِ
وانهض بشعبك للعلا — عجلا ولا تتأخرِ

....

هذا التقي قد ارتقى — قمرا يضيء لنا السبيلْ
لا يخشى من ظلم الحياة — ولا يضل بنا الدليلْ
بدر قد اقترنت به — شمس الفضيلة في القبيلْ
فلنا الهَنَا وليوسفٍ — كل الهنا والمفخرِ

....

رب المآثر في البلاد — ومنهض الشعب الضعيفْ
بالأمس في صرخاته — في معهد العُلما الشريفْ
قاد الجموع بأسرها — ودعى الى الرأي الحصيفْ
رجل بألفٍ في البلاد — وقد أقول بأكثرِ

....

علمُ الهدى شمس العلى — بدر الفضائل ذو القلمْ
رجل التقى والزهد والـ — ـحلم جواد لا يذمْ
ومروج الدين الحنيف — وكاشف عنه الظلمْ
حبر خضم علمه — يُزري بفيض الأبحرِ

....

يهنيك يا خير الورى — بالفاضل الفذ التقي
واخيه من يجلى به — عنا ظلام الغسقِ
ذاك العلي بقدره — وبفضله لم يسبقِ
فضل به اعترف العدو — وميزة لم تنكرِ

أخلاقه عرف الكبا في كل واد يأرجُ
في كفه نهر جرى وبوجهه يتموجُ
نور الكمال على أسرَّةِ وجهِهِ يتوهجُ
كالشمس وهي عن العـ ـيون بعيدة لم تُستَرِ

وللعلامة الشيخ سليمان آل سليمان البياضي موشحة بهذه المناسبة وهي :

جدول البستان فيهِ نغمات فاسمعيهِ

....

شقَّ أضلاع الثرى وفراها بحسامهْ
وسرى بين القرى فانتشت من عذب جامهْ
فنمت فيه الحياة بعد ما كانت رفاة

....

وانظري الطير صفوفا تتغنى بضفافهْ
تحسب الزهر كؤوسا مترعات من سلافهْ
فتعب الطل خمرا وتشم الزهر عطرا

....

وانظري الأفق الجميلا كيف يكسوه السحاب
حلة تسبي العقولا من بخار وضباب
ثم يعلوها الهواء فيخلّيها هباء

....

بين هاتيك الروابي والبطاح الزاهرت
غادة لو تدري ما بي هان ما بي من هِنات
ليتها تحمل قلبي لتقاسي نار حبي

وانظري الزهر تَثَنّى باسما فوق الغصون
وحمام البشر غنى فمحا عنا الهموم
ملأ الجو صياحا فامتلت نفسي ارتياحا

....

بزفاف ابن الفقيه ذلك الشهم الهمام
يا ربوع المجد تيهي فلقد عمَّ السلام
ومشت كل الرفاق تحت أعلام الوفاق

....

يوسف الصديق يا من كان ما بين الأنام
مرجع الأمة ألقت لمعاليه الزمام
قبس من نوره يجلـ ـي دياجير الظلام

....

وهو للدين عماد وبه الدين يفاخر
روت الأقلام عنه وروت عنه المحابر
بحر علم لا يغيض ولإعداه يغيض

....

ملأ الأفاق نشرا ذكره والخافقَيْن
وشأى عزاً وقدرا فوق هام الفرقدَيْن
خطَّ للإيام سفرا
آية من بعد أخرى

وقد عوتب شاعر النجف الشهير الدكتور الشيخ عبد الرزاق محي الدين النجفي وكان وزيرا بلا وزاة على تركه للتهنئة بهذ المناسبة ، فاعتذر بأنه اكتفى بهاتين

القصيدتين ، وكان صديقا حميما للمؤلف في ذلك الوقت .

وللفاضل السيد عبد الحسن فضل الله الحسني العاملي العيناثي قصيدة بهــذه المناسبة ، وهي من الشعر المطبوع :

هل بعد أن ملك الغرام عناني وقضى الهوى للعين بالهملان
أصغي لعذل العاذلين وأنتهي عن زفرتي وتشوقي وحناني
يا لائمي في الحب حسبك فاتّئد فالطرف طرفي والجنان جناني
أنت الخلي من الصبابة والجوى وفؤاد غيرك في المحبة عاني
دع عنك لومي ما الملام بنافع فأساس حبي محكم البنيان
ان الذي بعث الغرام لمهجتي ظبي له بين الضلوع مخاني
إن يبدُ في كِلل الخدور تخاله بدرا بدا في صورة الإنسان
واذا مشى فوق الثرى مترفقا خلت النسيم يهز غصن البان
أصمى فؤادي اولا فتحملت نفسي فسدد ثانيا ورماني
فبقيت مكلوم الفؤاد معذبا ومعذبي في غبطة وأمان
يا من أحل دمي بغير جناية أسرفت في قتلي وفي هجراني
رحماك هل بعد الصدود تعطف أم هل لنا بعد البعاد تداني
قد طال ما جرعتني غصص البلا فتعال بعد البين نلتقيان
فيزول ما في القلب من ألم الجوى ونقول من بعد النسيب تهاني
حيث البسيطة بالرياض تزينت وزهت حبورا في لقى البدران
قمر الدجى زفت اليه بأبرك الأ وقات يوحى فالتقى القمران
يا صاحبي أدر المدامة واسقني فلقد صفا عيشي وراق زماني
قم غنني هزجا بعرس محمد بدر الكمال وسيد الأقران
من سار للعليا بهمّة ضيغم ماضي العزيمة لا بقلب جبان

حتى اذا بلغ الأماني لم يدع ... فخرا لمفتخر من الثقلان
مدت له العلياء كف مسالم ... فمشى بها يشدوا اليه بناني
لا بُدع ان فاق التقيُّ بني الورى ... والى السّهى أن همّ بالطيران
فأبوه سيدُ عامل وزعيمها ... ومجيرها من طارق الحدثان
فلو اعتلى فوق المنابر خاطبا ... لسمعت ما لم تسمع الأذنان
للسانه فصل الخطاب اذا احتبى ... دَسْتَ العلى في محشد الأقران
ولراحتيه البذل إن سئل العطا ... والبيض إن يتقابل الجمعان
يا حجة الاسلام بل يا كعبة الـ ... ـأيتام بل يا منبع الإحسان
فلقد بنيت من المكارم كعبة ... نعم البنا إذ أنت نعم الباني
أمعزز الدين الحنيف انا الذي ... في وصف ذاتك قد وقفت لساني
هذي المعاني طوع أمرك فاحتكم ... فيها فما لك في الشريعة ثاني

ومنها :أبيات للعلامة الشيخ محمد رضا الزين بمناسبة ولادة ولدي الشيخ محمد رضا الفقيه وهو سبطه وسميه :

وان وليدا بين أم نجيبة ... وفحل كريم لهو أعظم حازم
لقد أرضعت أم المكارم درها ... لخير ربيب في حجور الأكارم
يشب فتلفيه على الخير ناشئا ... وفيه من الجدين حظ المساهم
فمن جده رب الفصاحة يوسف ... بهاءٌ وقارٍ في مهابة حاكم
ومن جده ذاك الرضا حسن سمته ... وخلق له يزري بلطف النسائم
أقر به عينيك بارئ شكله ... وعاش بظل في ظلالك دائم
ودمت الى العلياء كهفا وموئلا ... تلوذ بك الهلاّك يا خير عاصم

وله ايضا في بعض رسائله اليه بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٥١ هج :

أمثل من أخلاقك الزهر ما أرى ... قليلا لها قولي أرى الأنجم الزهرا

وأما السجايا الغر فهي بدائع من اللطف تنقاد القلوب لها قسرا
وغير بعيد أن يقال لمثلها هي السحرلولا أنها تُبرئ السحرا
ومن سحرت أخلاقك الزهر قلبه رأى دونها الروضات في عينه قفرا
طلاقة وجه في سكينة حازم فلا جاوزت حلما ولا جاوزت كبرا

ومنها : للعلامة السيد عباس ابو الحسن العـاملي سـنة ١٣٥١ هـج قصيـدة موجهة للمؤلف تبلغ ثلاثين بيتا ، اخترنا منها ما يلي :

لا غرو أن شاهدت من ألطافكم غرّ الفضائل
فلأنت من تعزى لمن أضحى أمير بني الفضائل
لو كنت تشهد جوده الطا مي لخلت الغيث هاطل
هو يوسف الثاني عُلا أضحى ومصباحا لعامل
تعظيمه بين الورى كالفرض ما بين النوافل
تزهو المحافل بهجة بوجوده تزهو المحافل
تعنو فطاحلة الأنام لفضله تعنو الفطاحل
إمَّا تخاصم قومُه يُورِدْهُمُ عذبَ المناهل
فحكيت والدك الزكي عُلا وفي غرر الفضائل
والفرع فيه لا محالة كل ما في الأصل حاصل
أنت الأغر بحومة الميـ ـدان ان جال البواسل
يبقى المقابل لطفه في فرحة يبقى المقابل
ويفي بمحض ولائه لصديقه الخل المواصل
أفعاله أقواله ويزينه حسن الفضائل

وللمؤلف مهنئا ومؤرخا ولادة (حسن) الولد البكر لأخيه الشيخ علي الفقيـه ، وقد توفي صغيرا :

يا يوسف الصديق　　يا من غاية العليا بلغ
بحفيدك اهنأ انني　　أرخته قمرا بزغ

ومما أحفظه من قصيدة للشيخ صالح نظمي المصري ، نظمها على لساني يوم كنت تلميذا عنده ، بمناسبة اطلاق المرحوم عمنا أبا وجيه الحاج محمد علي الفقيه من السجن ، وكان قد اعتقله الإفرنسيون بتهمة إيواء العصابات وتسليحهم ، وذلك في سنة ١٩٢٠ م تقريبا ، مطلعها :

كم من البارود يبدو صاعقا　　لوجوه القوم يرمي بالشرر
خلت عمي فوق سرحانٍ غضوب　　لاعبت يمناه صِلاً أرقما
يجتلي الهيجاء نشوانا طروب　　وبعد الخوض فيها مغنما

ومنها :

يا بني الفقيه دمتم في سرور　　وسعود وعلاء وغنى
بان عجزي واعترافي عن قصور　　مدحكم لو كنت كُلّي ألسُنا
انا لا أسطيع أن أملي البحور　　جوهرا أو ألبس الشمسَ السنَا

الفصل الثالث :

شِعْرُهُ

كان يتذوق الشعر ويجيده ، ولا يزاوله ، نعم كان يتكرر منه نظم البيت والبيتين والثلاثة في ساعات الانشراح والإرتياح ، انسجاما مع المناسبة السانحة ، و لم ينظم قصيدة قط الا في المناسبة المُلِحّة .

ويستطيع القارئ أن يعرف رأيه في الشعر من الحديث الآتي :

في سنة ألف وثلاثماية وثلاثة وخمسين هجرية أرسلت اليه رسالة من النجف الأشرف ، ومن الصدف أن فقراتها أجمع كانت على الأوزان الشعرية غير أنها ليست من بحر واحد ولا على قافية واحدة ، فارتحت لذلك ، وأشرت الى هذه الظاهرة العفوية في آخر الرسالة طمعا لادخال السرور عليه .

فأرسل الي رسالة يقول فيها : أنا ما أرسلتك الى العراق لتكون شاعراً وانما أرسلتك لتكون عالما ، وقد حرّمت عليك نظم الشعر !!

وقد امتثلت أمره ورأيت عليه الخير الكثير ، لأن ذلك كان سببا في تطور حياتي العلمية ، لأن الشعر يستغوي الشاعر ويستهويه ، ثم يستأثر بشطر من وقته فينفقه من دون ثمن .

وكان (ره) يعجبه من الشعر الشعر المتضمن للحثّ على الكرم والعفة والمنعة ، وكان يأمرنا باستظهار بعضه ، وقد كَتب قصيدة السمَوأل على باب مكتبته ، والتي يقول فيها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا   فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

الى آخر القصيدة ..

وكان يعجبه مقطوعة لعبد الرحمن قليلات هي :

مرحى ضيوف ما لهم عدٌّ فاستقبلوهم أيها الولد

والله لو لم يبق غيركم لنحرتكم وأضالعي وقد

اللحم والخبز الطري لهم ولنا فتاة الخبز والثرد

يا عبد قم واعلف ركائبهم وامدد سماط الزاد يا زيد

ووجدتُ أبياتاً بخطه ، و لم أعرف قائلها ، وهي من أروع الشعر وأظن أنها له والبيت الأخير يشهد بأنها من نظم فَقيه :

عجبا لمن يرجو المحامد وهو يمنع ما لديه

ولباسط للمجد عينا كيف لم يبسط يديه

لم لا أحب الضيف أو أرتاح من كرم اليه

والضيف يأكل رزقه عندي ويشكرني عليه

وقال في حدود سنة ١٣٤٤هج وأحفظ منها ما يلي :

علمتني يادهر علمتني كيف اتقائي منك سوء الفعال

وجُرْتَ بالحكم فنبهتني كيف اذا جرت تكون الرجال

بمكرك السيء أفهمتني أن لا وفا منك على كل حال

رأيتني حرا فخادعتني تروم اذلالي وهذا محال

عرفتني يا دهر عرفتني ما أنت والناس وما الاحتيال

وقال مؤرخاً ولادة وَلدي الشيخ محمد رضا وكنت قد تأخرت في إنجاب الذكور ، وكان ذلك بعدما ورَدته عدة تواريخ له ، ولا أعرف له تاريخا غيره وهو من أروع التواريخ :

بشرتني بالرضا الميمون مطلعه نجل التقي الذي طابت خلائقه
زهت ببشراك نفس بعدما ذبلت ورانها بعد رنق العيش رائقه
حسب الرضا أنه في ظِل والده ينمو مع العلم والتقوى ترافقه
كم غمرة عن فؤادي بالرضا انقشعت أرخته قمراً يرعاه خالقه

هذا وكنت في اوائل هجرتي للنجف وأنا مشغول في دراسة النحو ، أطمح للتأليف ، فتوجهت لشرح أرجوزة ابن مالك ، المعروفة بألفية ابن مالك ، والى جميع ما عندي من الشعر المتعلق بالوالد ، فجمعته في كراسة وسميتها (الأثر الخالد في ما قاله ومُدِح به سيدي الوالد) ثم طلبتها فلم أجدها ، ولا أعرف له الا عدة قصائد في الرثاء وعدة مقاطيع ، وسأذكر ما علق منها في ذاكرتي ان شاء الله تعالى :

منها : قصيدته في رثاء الزعيم كامل الأسعد المتوفى في ١٧ شوال سنة ألف وثلاثماية وثلاثة وأربعين هجرية (١) ، وقيل أنها كانت من أجود ما رثي به ؛ وهي هذه :

أكامل يا عصمة المستجير اذا الخطب يوما عرى وادلهم
لقد كنت صلا تذيق العدى اذا ماكروك زعافا وسم
وقد كنت ليثاً تسيم الردى هواناً اذا نحو ناديك أمّ
علامَ مددت اليه يداً وأسلمته النفس طوعا ولم
أعِفت المقام بدار الهوان فأسرعت للخلد دار النعم
أظنُّ الردى قد أتى سائلا فجُدت بها يا خدين الكرم
فأنت ابنُ وائل ما قلت قط لراجي نوالك الا نعم

(١)هذا المقدار من هذه القصيدة أخذناه من مجموعة الشيخ عبد المحسن الظاهر سلمه الله ، وقد تقدمت الاشارة الى نسبه في الفصل الاول القصيدة الثالثة .

فقدناك غوثاً ثقيل العثار وغيثاً مريعاً اذا الجدب عمّ
فقدناك بدراً اذا أظلمت دياجي الخطوب تجلي الظلم
فقدناك كهفا اذا ما عدَت علينا عوادي الزمان الأصم
فقدناك عضباً صقيلاً به تحل عصام عواصي الإزم

....

وقد ثل فقدك عرش الفخار وحطم صرح العلى فانحطم
وقرّح للمجد أجفانه وأورى بقلب المعالي ضرم
فويل الردى أويدري الردى بما قد جناه وما قد ألم
فقد فل من عامل عضبها ومقدامها في اشتداد الإزم
ودكّ من العزّ طوداً أشم وجفف للجود بحراً خضم
ولفّ المكارم في بردها وأودعها في خلال الرجم

....

فمن يرتجى بعد للنائبات ودفع الهموم وكشف الغمم
ومن للهوف ومن للضيوف ومن للسيوف ومن للقلم
ومن يمتطي النجب الصافنات لدفع العوادي وكشف الضيم
فلا بدع أن زلزلت عامل فطود علاها هوى وانهدم
ولا بدع أما اسلنا القلوب من العين دمعا له ينسجم

....

فلا عامل بعده عامل ولا خيم العز بعد خيم
فها هي دكناء لا تنثني وقتاً عن الحزن ولا تبتسم
وكانت تضاحك نجم السما سرورا وتزري بروض الأكم
فصبراً بني المجد من وائل فللموت انشا الاله النسم

وأنتم نجوم سماء العلى ... وشمل العلى فيكم ينتظم
فان غاب بدر بدت منكم ... بدور بها تستضيء الأمم
بمحمودكم عزت المكرمات ... وترعى بعبد اللطيف الذمم
لكم تنثني الهمم الساميات ... وعنكم روينا حديث الكرم
أساع الى المجد أقصر فما ... أرى المجد الا لهم قد قسم
وحيا الاله ضريح الفقيد ... بوابل عفو عليه انسجم

ومنها : قصيدة يرثي بها أستاذه الأول العلامة السيد حيدر مرتضى العاملي من بلدة (عيتا) ، وفيها يصف شعوره ، لأنه كان في عيادته فرآه في حالة مريحة ، ففارقه الى حاريص ، وبمجرد وصوله اليها تبعه الناعي ينعاه ، فكان لنعيه صدمة ، فعاد الى عيثا عن طريق آخر ، وجعل يسأل من يراه في الطريق عن صحة الخبر ، ولا أحفظ منها سوى قوله :

النوح نوحي والحنين حنيني ... والدمع ما أجراه غير عيوني
طرق النعي مسامعي وحشاشتي ... ذهبت تلف سهولها بحزون
وتناشد الركبان هل ظفرت به ... أيدي المنون بعضبها المسنون
حتى اذا رأت السرير وحوله ... فتيان فهر من بني ياسين
مدت اليه يد الوداد وأنشدت ... يا دهر كيف اغتلت حيدر دوني
يا قبر كيف وسعت زاخر علمه ... والكون ضاق بعلمه المكنون
فسل الليالي السود هل طرق الكرى ... فيها وإن طالت علي عيوني
لا والذي هو عالم سري وما ... تخفي الضمائر من حديثي شجوني
لا والذي خلق السماحة والتقى ... في حيدرٍ من عالى التكوين

ومنها : قصيدة في رثاء المرحوم العلامة الشيخ علي مروة العاملي ، كان يقيم في بلدة (حداثا) وهو والد زوجة الشيخ الوالد زينب مروة ، ولا أحفظ منها الا بيتين

وهما :

ذريني وشأني إنني مغرم صب — وأحشائي الحرّى بأيدي النوى نهب
فمن ناشد لي في الضعون حشاشة — تحوم على الأكوار ما جعجع الركب
وما هي الا نفس حر تطايرت — نزوعا الى إلف بها عذب الحب
فيا نار وجدي بالضلوع تحكمي — فهذا على المجد قد ضمه الترب

الى قوله :

أظن الردى استجداه نفسا زكية — فجاد بها والجود من مثله دأب

الى قوله :

وقد كان لي من دون أهلي وصحبتي — ودوداً اذا ما خابني الأهل والصحب

ومما أستحسن ذكره ، انه عندما أنشد المنشد هذه القصيدة في ذلك الحفل أنشده هكذا (تحوم على الأكوار ما خيم الركب) فاستعاده بعض العلماء الحضور ، ولا أظنه الا الشيخ عبد الحسين صادق وأبدل لفظ (خيم) ب(جعجع) وعلت ضجة ، ثم عدت الى الماضي بذاكرتي ، وتأملت في الصورة المنطبعة في ذاكرتي في ذلك العهد ، فوجدت أن لي من العمر نحو ثمانية سنين ، ولاحظت صورة المرحوم الشيخ عبد الحسين قبل مدة في حسينية النبطية ، فوجدتها تنطبق مع تلك الصورة ، وتيقنت بأن استبدال (خيم) ب(جعجع) لا يليق الا به ، وأتخطر أن لفظ البدوي والبداوة طافت في ذلك المحفل .

ومنها : قصيدة في رثاء ابن عمه المرحوم الشيخ محمود الفقيه (١) وأجود ما فيها قوله :

---

(١) كان المرحوم الشيخ محمود الفقيه فتى مرموقا ، وقد تخلف بولد واحد وعدة بنات ، ثم توفي ولده حسن في أفريقيا وأعقب ولدا واحدا اسمه محمود ، وبنتا واحدة ، وتزوج محمود ابنة عمه الحاج نايف الفقيه وأعقب منها ، وهما فعلا في حاريص.

نهاري بكاء كله وعويل ... وليلي مذ بان الحبيب طويلُ
وحزني عليهم سرمد ومدامعي ... دما ابدا في الوجنتين تسيلُ
وقائلة هلا صبرت فإنما ... يراد الفتى للصبر وهو جميلُ
فقلت لها كفي فإن مصابنا ... بمن قد فقدنا يا أميم جليلُ
فقدت خليلاً ليس لي بعد فقده ... وان طال عمري في الأنام خليلُ
أخي وجناحي وابن عمي وساعدي ... وسيفي الذي قد كنت فيه أصولُ
له الحزم دون الناس والحلم والحجى ... وقل له بين الأنام مثيلُ
فهلا تَرَيْن النوح مني مَعيرة ... أم النوح من مثلي عليه قليلُ
فما انا في الوافين ان لم اذب ... أسى عليه ومالي للفخار سبيلُ
سأبكيك يا محمود ما ذرَّ شارق ... وإن نال مني لائم وعذولُ
وتلك عيوني لا يمر بها الكرى ... ولا أكحلتها بعد فقدها ميلُ
ولا طاب لي عيش ولا لذ مشرب ... ولا راقني ظبي أغر كحيلُ
ولا ضحكت سني ولا بتُّ في هنىً ... ولا هزّني نفح الربا وشمولُ
فيا حسرتي لا ينقضي النوح والبكا ... عليك وإن طال الزمان يطولُ
ويا ليتي خدي دون خدك في الثرى ... عفيرا وغالتني قبيلك غولُ
ولم أرَ يوما بارزتك منونه ... فغالتك منها أسهم ونصولُ
فها أنا حالفت السهاد معذبٌ ... قرين الأسى مَضنيْ الفؤاد عليلُ
أقلب طرفي في الديار لعلني ... أراكم فعاد الطرف وهو كليلُ
وملت الى نحو القبور مخاطباً ... ولكنَّ مالي للجواب سبيلُ
أحبائي مالي في المعيشة مأرب ... بل العيش من بعد الحبيب وبيلُ
سوى أنني أنعاكم لذكركم ... يُبرد عن قلبي جوىً وغليلُ
الى الله أشكو أنني أن ذكرته ... أخيَّل روحي أنها ستزولُ

وان أنس لا أنسى ليال تصرمت ... وحولي منهم شيّب وكهولُ
وربعي بهم زاه وعيني قريرة ... أرددها ما بينهم وأجيلُ
اولئك أحبابي وأهلي وجيرتي ... ومن ليس لي من بعدهن بديلُ
مضوا فمضى أنسي وجلت مصيبتي ... وكل مصاب بالحبيب جليلُ
فيا حبذا أرض تلف جسومهم ... وحبَّ مقام بينهم وحلولُ
سلام عليهم من كئيب متيم ... له كل يوم ندبة وعويلُ

ومنها : قصيدة يرثي بها والده وعمه الحاج حسن ، أحفظ منها أبياتا وهي :

وقفت على دار الأحبة وقفة ... وفيها علا نوح النوائح واللطم
فناشدتها يا دار أين أحبتي ... فقالت مضوا عني وما لي بهم علم
فطارت شجىً نفسي وحامت لعلها ... ترى أثراً منهم به ينجلي الغم
فعادت على يأس وبين ضلوعها ... جوى ضاق عن تحديده الكيف والكم
وكانا اذا مرَّا بلغوٍ حسبتهم ... لحِلمهم بُكم وما بهم بُكم

وله : من أبيات يستدعي بها العلامة المرحوم الشيخ علي مروة العاملي :

أترغب عنا يا أخا المجد إننا ... ملكنا زمام المجد بين الورى طرا
خطبنا له أبكاره فانثنت ... الينا تجر الذيل باسمة ثغرا
فرحنا وما فينا سوى الفيض والندى ... وان لنا بين الورى النهي والأمرا

ومنها : جوابه لبعض أهل العلم وقد عتب عليه وعاتبه :

أمحمد هلا كبحت جناحك ... ووفرت عرضي من لئيم مقالك
لو كنت تعلم حالتي لعذرتني ... وعلمت أنك جاهل فرحمتك
لكن شرعة أحمد ومقاله ... احمل أخاك عليك تقضى لالك

وفي سنة ١٣٥١هج جرى عقد زواجي على كريمة العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الزين ، واقتصرت الدعوة على شطر من العلماء والأعيان ، وقام بها الزعيم

المرحوم يوسف بك الزين، وكان العلامة الشيخ عبد الحسين صادق ممن تخلف عن الحضور ، وكتب معتذرا للشيخ الوالد (رحمهما الله) :

يا يوسفٌ في جماله　　خالفت أفعال كسرى
أردت جبر كسير　　فزدته منك كسرا
اليك دعني ومصري　　واختر لنفسك مصرا

فأجابه بقوله :

مولاي ان كان مني　　ما لا تحب فعذرا
الله يعلم اني　　ما رمت جبرا وكسرا
لكنما ذاك حظي　　فأسأل الله عذرا

وفي سنة ١٩٣٣م في ٢ شباط ، وردتني رسالة من المرحوم الشيخ محمد رضا الزين يذكر فيها أن الشيخ الوالد أبرق له مهنئا بعيد الفطر بقوله :

يا من به يستنزل القطر　　واليه يعزى الفضل والبر
لا زلت في الأعياد مغتبطا　　ما لاح برق أو أضا بدر

وأبرق للزعيم يوسف بك الزين بالمناسبة نفسها - وكان في ذلك اليوم هو الزعيم الوحيد المطاع - بقوله :

يا يوسف أيامنا سعدت　　بوجودكم وبك ازدهى القطر
فبقاؤكم أضحى السرور لنا　　والعيد لا الأضحى ولا الفطر

ثم ان المرحوم الشيخ محمد رضا شطّر البيتين المرسلين اليه وخمسهما وأرجعهما اليه فقال :

يامن به يستنزل القطر　　والى نداه ينسب اليسر
واليه من أفواهنا الشكر　　واليه يعزى الفضل والبر
لا زلت في الأعياد مغتبطا　　والدهر عبدك والندى غمر

وتدوم بالعلياء مقترنا ما لاح برق أو أضا بدر

وأما التخميس فهو :

يا من يضيق بفضله الحصر وينوء من أفضاله الدهر
ويفوح من أخلاقه النشر يا من به يستنزل القطر
واليه يعزى الفضل والبر

العلم في أبياتكم هبطا لا زال فيك الدين مرتبطا
تهدي الأنام وتأمن الغلطا لا زلت في الاعياد مغتبطا
ما لاح برق أو أضا بدر

ومن المقاطيع ، تشطير ثلاثة أبيات نظمها بعض الفلسطينين وتداول تشطيرها جماعة من شعرائنا ، ولعل أفضلها تشطير الشيخ الوالد (ره) وهو ما يلي :

أما الأبيات فهي :

قالوا تحب أبا بكر فقلت لهم لم لا أحب الذي أرجوه يشفع لي
نعم ومن مذهبي أني أفضله على الأمام مبيد المعتدين علي
وان تفضيله وهو الجدير به قد كان من قِبل الرحمن لا قِبلي

وأنت ترى أن هذا الشاعر لم يقم دليلا على ما يدعيه ، وأما تشطير الشيخ (ره) فهو هذا (١) :

قالوا تحب أبا بكر فقلت لهم أني لفي حيرة في الأمر أو وجل

---

(١) وكأن الأبيات الثلاثة خلقت لهذا التشطير الذي حولها الى هذا الواقع الواضح ، وقيل إن التشطير لما بلغ الفلسطيني تندم وتمنى أنه لم ينطقها ، ويشير الوالد(ره) بآية النفس الى قوله تعالى ﴿ **قل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ ال عمران الاية٦١ وبإجماع أهل السير والتفسير أن النبي (ص) خرج للمباهلة هو وعلي والحسنان وفاطمة ، وأن عليا هو المقصود بالنفس ، والذي يكون هو نفس رسول الله (ص) كيف يفضل عليه غيره وهل =

لكنما حيدر ترجى شفاعته | لم لا أحب الذي أرجوه يشفع لي
نعم ومن مذهبي أني أفضله | وآية النفس في التنزيل تشهد لي
ولا أرى بعدها فضلا الى أحد | على الأمام مبيد المعتدين علي
وان تفضيله وهو الجدير به | أبانه يوم خم خاتم الرسل
كما أبان الوِلى إذ قال معتذرا | قد كان من قِبل الرحمن لا قِبلي

عندما طبع كتاب (حقائق الإيمان) أغضب بعض ما فيه مشائخ السنة المتعصبين ، فقرروا اغتياله ، وكانت بقايا العهد العثماني البغيض لا تزال مطبوعة في نفوسهم ، وبينما كان في قرية (صديقين) أعلمه بذلك بعض المخلصين ، فقام وامتطى فرسه وتوجه الى بلدته ، وكان قد أزعجه ذلك ، فتوجه الى الله سبحانه ، واستغاث بالنبي(ص) وأهل بيته ، وفي أثناء الطريق أنشأ هذه الأبيات ، فاطمأنت نفسه ، وقد حدثنا بذلك الشيخ اسماعيل البغدادي عن أبيه الشيخ عباس وهو على منبر الحسينية ، فقال :

كان أبي يرافق الشيخ في الطريق فاستظل بشجرة من الخرنوب ، ثم قال له : ياشيخ عباس هل معك قلم ، قال : نعم ، فأخذه وكتب الأبيات التالية ، ثم قال له : إنهم لن يقدروا علي بعد اليوم :

فمن تكن بأبي السبطين عصمته | فالله يعصمه من كل جبار
ومن تكن يا أمير المؤمنين له | يرد على الله في أمن من النار
ومن تولاك يا مولى الأنام فقد | تولى مولى خلا من وصمة العار

=تفضيله عليه حينئذ الا تفضيل على رسول الله (ص) ، ولا يرضى بهذا أحد من المسلمين ، والشطر الأخير يكاد يكون نفس كلام النبي (ص) الذي قاله يوم غدير خم عندما أوقف الحجيج في ذلك الموضع وأبلغهم بولاية علي عليه السلام امتثالا لقوله تعالى ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وا لله يعصمك من الناس** ﴾المائدة الاية ٦٧.

والله مولاه والنص الجلي به　　يوم الغدير أتى عن خير مختار

وقال أيضا :

نحن اذا ما عم خطب أو دجى　　ليل وخفنا نكبة من حاسد

لذنا بموسى الكاظم بن الصادق بن　　الباقر بن الساجد

ابن الحسين بن علي بن أبي　　طالب بن شيبة المحامد

ونظر الى بعض جلسائه يوما فرآه في غمرة ، فقال مرتجلا :

فكرت أو لم تفكر　　فللأمور مدبر

ولا يكون سوى ما　　في اللوح من قبل سطر

إن كنت لله عبدا　　فوله الأمر واصبر

فالصبر مفتاح خير　　لكل عبد مفكر

وله مشطرا ، والأصل ينسب لأمير المؤمنين (ع) في رثاء عمار بن ياسر :

(فما ظبية تسبي الظباء بطرفها)　　قد اتخذت بطن الغوير لها حجرا

ولا غادة هيفاء حرنا بوصفها　　(اذا انبعثت خلنا بأجفانها سحرا)

(بأحسن ممن خضب السيف وجهه)　　بطاعة خير الخلق مولى الورى طرا

كعمار في صفين أجرى مسيلها　　(دما في سبيل الله حتى قضى صبرا)

وله ايضا مشطرا ، والأصل ينسب لأمير المؤمنين (ع) :

(كل من تلقاه يشكو دهره)　　وإليه الضر يعزى والمحن

أصبح الدهر ولا خل له　　(ليت شعري هذه الدنيا لمن)

(إنما الدنيا لمن طلقها)　　واتقى فيها فظيعات الفتن

وارتضى ما فعل الله به　　(وارتضى منها بقوت وكفن)

وله أيام صباه أبيات قد أرسلها الى خطيبته الشريفة "زهراء" :

ألا فاسمحيلي كل يوم بنظرة　　فان بها يا ميُّ يحلو لنا الود

ولا تقتليني بالصدود فإنني شجي ألوف الوصل يقتله الصد
ألست أنا الصب الذي تعرفينه أذا زدته هجرا به يزدد الوجد
فما كان أحلانا اذ الليل سِترنا بذي البان من نجد وقد لفّنا البرد

وله مداعبا أصغر بنيه المرحوم المظلوم العلامة المجاهد الشيخ عبد العزيز الفقيه ، الذي اغتاله حساده المارقون :

يا عزيزي قل هو الله أحد قائم في نفسه الله الصمد
أنشأ الأحيا كما شاء فلا والد يعزى إليه أو ولد
هكذا الله تعالى شأنه كامل في نفسه من غير حد
يا عزيزي أطلب العلم وجد واتق الله تكن نعم الولد

وطلب الشيخ فلان حاطوم من الشيخ الوالد أن يتوسط له في وظيفة مع جميل بك شهاب وكان يشغل منصبا عاليا ، فأعطاه بطاقة وأوصاه به ، وقال له : تستأذن عليه وتدخل وتقف بالباب ثم تخاطبه بجرأة وشجاعة ، فإنه يستوظفك ، ثم زوّدَه بثلاث أبيات من الشعر لمخاطبته بها ، نظمها على لسانه ، ففعل ونال الوظيفة ، وهذه هي الأبيات :

إن الشهابي إذا أمحلت أعوامنا تمرّغُنا كفه
أو كشّر الدهر لأبنائه عن نابه يؤنسنا لطفه
وأنت أولى يا جميلٌ بما يضوع ما بين الورى عرفه

وودعه أحد المسافرين الى العراق ، وقال له : ما توصي ؟ فأجابه على عفو الخاطر : قل للشيخ محمد تقي يقول لك والدك :

بعدنا عن الأحباب فابتعدوا عنا فليت لنا منهم كما لهم منا

فلما وردني كنت عاجزا عن زيارته فأتممته وأرجعته اليه وهو :

ومالوا علينا بالملامة جهدهم على أننا عن حبهم قط ما ملنا

أثاروا على القلب الكئيب عصابة ... من الحزن لكن ليته يحمل الحزنا
تذكرت اذ لم يكتس الجنح ريشه ... وقد كنت تكسوه المحبة والأمنا
تذكرت حتى ذبت الا بقية ... كمثل بقايا رنة العود إن أنّا
واعمل لتسعد أخراك مجتهدا ... فلا ينال المنى من ملّ أو سئم

وقد حذفنا منها عدة أبيات ...

وكتب إليه الفاضل الشيخ شحاذي الغساني من بلدة برعشيت وهو من المشايخ المعروفين، السؤال الآتي ، وأظن أن جماعة من الفضلاء رتبوا هذه المسائل ووجهوها الى عدد من العلماء ، إختبارا وتمييزا ، وهذا نص السؤال :

ما قولكم في رجل كبير ... باع متاعا لابنه الصغير
لكن فضوليا تولى الأجنبي ... قبوله نيابة عن الصبي
وبائع المتاع في الحال وهب ... جميع ما في ذمة الطفل وجب
وقد تولاه الفضولي قابلا ... حراً رشيداً ذا بلوغ عاقلا
ثم قضى الطفل بحال الصغر ... بعد أبيه لم يفز بالظفر
ولم يكن إجازة محققة ... منه على البيع بإذن مطلقة
وبائع الصفقة في حال المرض ... باع ولكن فيه للموت غمض
فهل مضى البيع لطفل هالك ... أم يبقى مقروناً بملك المالك
فإن أجزنا البيع للطفل فقد ... علينا إشكال من الحكم ورد
في منع موهوب بغير العين ... حكماً إلاهيا بغير مين
فهل اذا كان مديناً جائز ... والمشتري شرعاً لهذا حائز
أرجو جوابي من ولاة الأمر ... مفصلا يأتي بغير النثر

فأجابه الشيخ (ره) :

بيع الرشيد الوالد الكبير ... يجوز قطعا لابنه الصغير

وإن خلا القابل عن توكيل　　منه يكن قبوله فضولي
لكن منه تطلب الإجازة　　وليس للطفل بها إجازة
ويكفي في قبولها ما قد وقع　　من هبة منه برأي يتبع
فإنها كاشفة عن الرضا　　بما أتاه والإجازة الرضا
فارجع الى المشهور في الفضولي　　عن النبي تذعنن بقولي
فالبيع لا إشكال في صحته　　والطفل لا اشتغال في ذمته
إذ هبة الدين الى المديون　　صحت بقول الصادق المأمون
فلا أرى وجها لترك العمل　　فيه ومن خالفه لم يعدل
وهي من الأصل على الصحيح　　لا الثلث للاصل وللصحيح
إذ المريض عندنا وإن قضى　　مثل الصحيح للصحيح المرتضى
تصح منه سائر المعاملة　　ومن أبى ذلك فانصر عاذله
وآية الوفاء بالعقود　　كغيرها دلّ على المقصود
وما به سألت لم يهذب　　ولم يفِ في مقصد ومطلب
وإنه نظم بغير فحص　　لم يخلُ من تعسف وفحص

وكتب اليه الشيخ شحاذي الغساني مستفتياً ايضا:

نفسي تتوق الى الجماع وقد أتى　　شهر الصيام وقد فعلت بليلتي
لكن مع علمي بأني عاجز　　عن غسل ما فرض الإله لعلتي
أيسوغ لي هذا بشرع محمد　　أم لا فأفتوني بذلك قُدوتي

فأجابه الوالد :

إن الذي شَرَعَ الجماع أباحه　　لك يا وُقيتَ بمثل تلك الحالةِ
ودليلنا إطلاقه في ليلة الصيا　　مِ والتقييد لمّا يثبتِ

هذا وقول المصطفى يكفيك و جه الأرض عشر سنين يعضد حجتي
وعليك في الليل التيمم إن يكن وجب الصيام عليك فافهم غايتي

وفي ٣محرم نهار الأحد سنة ١٣٥٤ هج أرسلت إليه مستعينا به هذه القصيدة :

أقول فيصطك سمع الزمان وتصغي العوالي وتصغي الخذم
فلي قلم ان مشى صامتا على الطرس نظم درّ الكلم
فإن يجر بالخير تجر النعم وإن يجر بالشر تجر النقم
وينثر حين التهاني الورود ويقذف وقت الحماس الحمم
ولكنما الدهر تبت يداه يميت الوجود ويحيي العدم
اذا ما علينا اعتدى ظالما فبشره بالخير مهما ظلم
فلو ظفرت فيه كفاي ما رأى منهما غير نفح الكرم
أقابله إن يسيء باسما (ضاحكا) ومثلي اذا الدهر ساء ابتسم
فإن أبي خير من تعلمون له شيم بوركت من شيم
له وقفات فسل عاملا فما جاهل مثل من قد علم
لقد فغر الموت فيها فماً فسلها فقد شق للموت فم
وأرجَعَهم عندما شُرِّدوا وأمَّنهم عندما الخوف عم
وأرجع أموالهم عنوة ولولاه كانت لمن قد حكم
ونجّى من الموت آباءهم ولولاه ذاق الصغار اليتم
يجود إذا أحفظته العدا ببيض وخيل ونقع ودم
فإن شاء ثل عروش الطغاة وجمّع إن شاء شمل الأمم

ومنها :

ملاذي إذا اشتدت النائبات ودمدم خطب البلا واحتدم
أبثك ضاقت بي الكائنات وليل العنا بالشقاء ادلهم

توالت عليّ يد الحادثات على الطود لو تتوالى انهدم
ومثلي جلد على النائبات ولكنما كم حسام ثلم
تنكّر لي الدهر والمخلصون فقابلتهم بالإبا والشمم
تذوب حنانا على الجامدات فكيف لمن كان لحما ودم
أترضى يبيت أبو جعفر وأنت أبوه يقاسي الألم
ويمشي ويهفو ببعض الطريق حياء وأنت إمام الكرم
أقاربك الصيد لو يعلمون لهزوا العوالي وهزوا العلم
ودم سالما سيدي إنما دوامك عندي تمام النعم

فأجابني بالقصيدة التالية ، وكأنه فهم من قصيدتي الجزع وعدم التوكل على الله تعالى – جزاه الله خير الجزاء – :

يا مدعي العلم لم لا تستنير به والعلم نور يزيل الغي والظلما
أليس علمك خير منه جهلك إذ قد يعذر المرء فيما لم يكن علما

ومنها :

أما علمت بأن الله أقسم ان يعاقب المجرم الجاني بما اجترما

ومنها :

أم هل أصمك صوت من زعانفة راموا التفهم ممن لم يكن فهما
فالعلم عندهم ما فك من ربق الأديان أو باين الأخلاق والشيما
لا الناس عندهم ناس اذا اعتصموا بالله واعتنقوا الدين الذي رقما
فإن يكن ذاك فاسمع ما أقول فكم أبرأت في صدق قولي الغي والصمما
فارمق بطرفك هذا الكون معتبرا يبدُ لك الحق مثل الصبح مبتسما
أما ترى الشمس تجري لا قرار لها جريا به ازدان هذا الكون وانتظما
قد خط بارؤها منذ القديم لها خطا فما برحت عما لها رسما

وانظر بنفسك مما قد خلقت ترى عجائبا ضاق عن تحديدها الحكما
وكم قطعت من الأكوان مرحلة حتى تمثلت شخصا كيسا علما

وفي المقطع الآتي تصوير.. وإبداع .. وإيمان .. ويقين :

فمن تراب الى ماء تحدر من زوجين ثم على مكث أحيل دما
لمضغة لعظام شكلت عجبا نظما وهندسة جل الذي نظما
ولفها من نسيج اللحم ملحفة لو لم تلف لَثُلَّ العظم وانثلما
كل أعدت لنفع قد أنيط بها إذا تأدّى به مجموعها نعُما
وأرسل النفس فيه فازدهت وبدت خلقا كريما فسبحان الذي كرما
وأنت في كل ذي الأدوار ممتهن تساق قسرا فلا تدري بِمَ ولِمَ
بل كنت كنزا بذي الأكوان منطويا لولا الذي سير الأفلاك ما نجما
فاذكر بذلك ما لله من نعم عليك واشكره كي لا تحرم النعما
واحذر هواك فما أشقى الأولى هلكوا إلا اتباع الهوى إذ فيهم احتكما
سيان في العدل من جارى هواه ومن بجهله عبد الأوثان والصنما
فارجع لرشدك واخرج من مغامرة الاهواء من قبل أن تردى وتخترما
وخذ من النفر الماضين موعظة فاحسم بها خطر الآمال والنهما
وتب لربك مما قد جنيت فمن أناب لله يلق العفو والكرما
واغسل ذنوبك في فيض الدموع فما تبقى ذنوب عليها الدمع قد سجما
وقم بجنح الدجى لله مبتهلا واشك اليه شجى في النفس مضطرما
واطرق بكف الرجا أبواب رحمته فما رجاه امروء الا وقد رحما
واسأل تنل كل ما أملت من نعم فالله لا يمنع المعروف من ظلما
واعمل لتسعد في أخراك مجتهدا فلا ينال المنى من ملّ أو سئما

ونام بعد صلاة الظهر على عادته ، فرأى نفسه فيما يراه النائم مشغولا

بالمناجات بأبيات من نظمه فانتبه وهو يحفظ منها هذا المصراع : " أُبتُ من سفرة المعاصي اليك " ، ثم نظم قصيدة وضمنها هذا المصراع فقال :

يا إلهي أضلني الجهل حتى دلني لطفك الخفي عليك
طالما قد مرحت في الأرض لهوا لا أراعي إلاًّ ولا أتقيك
اي إلهي وما رأيت جفاء لا ولا سمتني الهوان لديك
بل ولا رعتني بمنعي مما أبتغي منك أو اؤمل فيك
فتباركت من إلاه كريم وتعاليت سيدا ومليكا
قد تجاوزت كل قيد ووصف ما عسى أن يقول من يطريك
شخصت نحوك العوالم طرا مسلمات اليك طوع يديك
يا مليك الوجود يا من له الأمر سميعا من كل من يدعوك
إن أكن قد عصيت دهرا فأني أبتُ من سفرة المعاصي اليك
أمتطي صهوة الرجا ولعمري فاز بالغنم كل من يرتجيك
ها أنا مسلم اليك زمامي خذ بنفسي إن شئت ما يرضيك
إن تعذب فقد عدلت وإلا طالما قد رحمت من يعصيك

وفي سنة (١٣٥٣) ذهبنا نهار العطلة الى جسر الكوفة ، مع الأخ السيد حسين مكي ، فنظمت أبياتا من الشعر وأرسلتها للعلامة الشيخ محمد رضا الزين ، فشطرها وأرجعها الي ، ثم شطرها الشيخ محمود عباس العاملي من عيثرون ، واليك الأصل :

بين هذي الجداول المنسابة وعيون الحدائق الخلابه
هبطت للثرى غصون الدوالي ثاكلات تشم منه ترابه
كل غصن يحنو عليه ويرجو منه عطفا بأن يعيد اهابه
إن فصل الشتاء ولّى وجاءت نسيمات الربيع من كل غابة

فذكرت الذي اهتز له شوقا جرس القلب والدموع المذابة
أصبح الحب في الدياجي نديمي فسقاني من دن خمر الصبابة

ثم اتصلَت بالشيخ الوالد ، فشطرها وحوّلها الى عرفانية ، ثم لما وردتني جميع التشاطير شطرتها واحتفظت من تشطير الشيخ الوالد بتشطير البيت الثاني والخامس والسادس لشدة ملائمته للأصل ، وهو هذا :

بين هذي الجداول المنسابة صور الوحي والهوى والصبابة
طفح الشعر من عيون الغواني وعيون الحدائق الخلابة
هبطت للثرى غصون الدوالي (حاسرات تبدو عليها الكآبة)
(أذهبت زهوها الليالي فباتت) ثاكلات تشم منه ترابه
كل غصن يحنو عليه ويرجو منه عطفا لان يعيد شبابه(١)
إن فصل الشتاء ولّى وجاءت من طيور الرياض ألف عصابة
تتغنى والشعر قد رتلته نسيمات الربيع من كل غابة
اصبح الحب في الدياجي نديمي (وحبيبتي قيثارتي والربابة)
(وتجددت بالهيام زمانا) فسقاني من دن خمر الصبابة

في سنة ١٣٥١هج شرف سيادة الوالد وكنت بخدمته لدار الزعيم يوسف بك الزين ، ثم آب الى بيروت في ١٩ رمضان وبقيت عند بيت عمي العلامة الشيخ محمد رضا الزين ، فكتب الي في ٢٤ رمضان كتابا وفيه هذه القصيدة :

بني بعدك عني كظ الفؤاد وأزه
وهز أسلاك شوقي فاجتاح صبري وبزه
وانت لاه بنُعمى في حي رهط أعزه

---

(١) البيت الثالث لم يشطر والبيت الخامس لم يشطر ولم يذكر في التشطير.

ما بين دور تسامت فخرا وطَولا وعزه
ما زارهم قط شخص الا ونال المعزه

....

بني قف واتل عني حديث حر شريفِ
قل يوسف الزين غوث في كل خطب لهيفِ
وفي المجيعات غيث لكل عان لهيفِ
وفي الملمات ليث يضرى لنصر الضعيفِ
وان عصته المواضي يمضي بعزم عنيفِ

....

فما دعاه مروع في الكون الا استفزه
ولا به اعتز يوما طريد الا أعزه
ولا عدا قط عاد عليه الا و......
بني بلغه عني حديث حر شريفِ
واضرع الى الله مثلي بأن يخلِّد عزه

وله أبيات في الرد على بعض الطبيعية نشرت في جريدة بيروتية ، وأبيات ذلك الرجل من هذه القافية وأذكر منها :

صدقوا ياقوم ان صدقتموا جملا قد لج في سم الخياط

فأجابه الوالد :

ايها الخابط في ظلماء لا يهتدي فيها سبيلا من خبط
عج الى منهج أرباب الحجى وقل الحق ودع عنك الشطط
ما ترى الكون فمن أبدعه محكما جاء على خير نمط
ما ترى الشمس فمن جللها وبها الموجود في الكون ربط

ما حياة الحي ما السر الذي لفّها في بعض أجسام فقط
ان يكن في الحي سر الكهربا فلمَ بعد اقتراب عنه شط
ما شباب المرء ما شيَّبه وهو في دهر بسيط ما اختلط
اترى مرّ عليه زمن لم يكن مرّ عليه قبل قط
ما حواسُ اودعت بالراس من كل حيوان وما ذاك السفط
ايجيز العقل مهما دق أن مثلها يوجد عفوا او غلط
لا يجيز العقل ان يوجدها غير مختار له العلم انبسط
ولقد يكفيك برهانا على حكمة الصانع ما فيك انضبط
أيها الانسان ما ادراك ما ضمه الكون وما عنه انفرط
ياسقيم العقل هل ادركت ما بين جنبيك وما تلك الخطط

وله قصيدة كلها حكم ونصائح ، نظمها بمناسبة ليلة ليلاء مرت عليه أثناء الحرب العامة الأولى لضيق الحال ، فلم يكن يملك في تلك الليلة زيتا لمصباحه فلم يتمكن من المطالعة والدراسة ، فاوى الى فراشه منزعجا متقلبا وفاجأه ضوء سطع في الغرفة فاذا هو ضوء القمر الذي اشرق، فبعث ذلك في نفسه الامل و حصلت له حالة من الروحانية ، فنظم هذه القصيدة واعظا فيها نفسه مخاطبا اياها وفي صبيحة تلك الليلة رأى الفرج حيث وفد عليه قوم من بلدة صديقين يحملون له غِلّة من الحبوب وغيرها ، والقصيدة هذه :

وقائلة قلَّ مالي فَقَل لذاك يقيني وصبري أفل
فرحت وعيشي رنق فهل لديك دواء فقلت أجل
بأني خبير بدرياقها وما عنه تنشأ تلك العلل
تخذت هواكِ الاها وقد بذلت لنفسك مهما تسل
وهمْتِ بدنيا وبئس الهِيام وأصبحت عن غيرها في شغل

فطال لذلك منك الامل وقلَّ لربك منك العمل
فبالطبع لا بد أن تجزعي اذا فات نفسك حلو العسل
وهذا لعمري داء عضال سريع النكال بأهل الكسل
وان الدواء بأن تمزجي رحيق التأسي بقصر الأمل
وحللي ذاك بروح اليقين بلطف إلاهك مهما فعل
لطيف اذا ما ابتلى عبده حباه بأفضل مما احتمل
ولطّفي ذاك بما الاتكال فما خاب عبد عليه اتكل
وحلّي الجميع بروح الرضا بحكم الاهك مهما حصل
فذلك معجون أهل التقى به قد تقوَّى الهداة الأول
فعالجي دائك فيه فما يصادفه الداء الا ارتحل
وهلا اتخذت الاه السماء عمادا وجانبتِ ليت وعل
وخوفتِ نفسك في بطشه فمن خاف بطش القدير اعتدل
وخالفتها بالذي تشتهيه فما تشتهيه طعامُ الزلل
فلا تحزنين لما قد يفوت ولا تجزعين لما قد نزل
فذلك اكسير أهل النهى وفيه السعادة يا من عقل

وله قصيدة في رثاء والده وعمه ، علي الفقيه والحاج حسن الفقيه ، منها :

فطارت شجى نفسي وحامت لعلها ترى أثرا منهم به ينجلي الهمُّ
فعادت على يأس وبين ضلوعها جوىً ضاق عن تحديده الكيف والكمُّ
وجانبني من بعدهم طيب الكرى وهذي الليالي الدهم تشهد والنجمُ
وإن شئت إيضاحاً فسل طائر اللوى أهل هاجه الا حنينيَ والنظمُ
فيا لوعة في القلب شب ضرامها الى حيث لا صبر هناك ولا حلمُ
خذي كبدي الحرَّى فقد فتّها الاسى ولم يبق منها في الحقيقة الا اسمُ

فمن مبلغ عني الكريمين والدي وعمي بأن مالي سوى ندبهم همٌّ
وأي دموعٍ لا تراقُ لوالد كريم وعمٍّ زانه الفضل والحلمُ
وهم للتقى والدين قطب وللعلا دعائم بل هم روحها وهي الجسمُ
أُبات أبَوا الا الحياة بعزة فعاشوا كراماً لم يشن عرضهم لؤمُ
كراما اذا مروا بلغو حسبتهم لحلمهم بكم وحاشاهم البكمُ
وإن سمعوا خيرا صغوا لاستماعه ولكن عن الفحشاء أذانهم صمٌّ
وكانوا اذا ما امسك المزن غيثه غياثا لمن قد نابه الفقر والعدمُ
وتا لله ما تلك الحياة لأهلها سوى دسم قد دس في جوفه السمُّ
وما الموت الا منهلٌ مرَّ طعمه وكل من الأحياء فيه له سهمُ
فرحماك يا ربي لنفس أنلتها من الجود ما لم يحصه الفكر والفهمُ

وله قصيدة أرسلها الى أمين بك نخلة ابن رشيد بك نخلة ، وهما من أدباء عصرهما اللامعين ، وكانا مخلصين له ، وكانت نساؤهما محجبات، مع أنهما من النصارى وهما ينتسبان الى بني هاشم ؛ منها :

إن تسمني هجرا أقل ذا دلال منك يا صاح لا قلا وجفاء
أو تُنلني وصلا به تنعش القلب قلت هكذا يكون الوفاء
فأراني راض على كل حال منك فافعل من بعده ما تشاء
غير أني من رقَّ طبعا ومالي جلد يحمل الجفا أو عزاء
شَقِيَت في هواك نفسي ولكن لذة العاشق العنا والشقاء
يا أمينا لكن على غير قلبي أنت داء لمهجتي ودواء
وسأحبو بروض حبك ولدي ثروة ريعها الوِلا والوفاء
أنتما في لبنان نور ولكن بدره أنت والرشيد ذُكاء
ذاك مَن ذلّت الأسود لديه وبمعناه تاهت الشعراء

كبش لبنان موضع الشأن منه   مَن له الحلم والحجى والسخاء

وأني أورد هنا ما قاله الوالد (ره) على لساني ولسان إخوتي :

قال على لساني، وكنت يافعا ، مخاطبا عمي أبا وجيه الحاج محمد علي الفقيه :

أبا وجيه لماذا أنت تنساني   ألست لي عمداً يا خير إنسان

عجل بوصلي فما لي عنك يا سندي   صبر وهيهات عنك اليوم سلواني

أنا ابو جعفر والناس تعرفني   أني الذكي ومالي في الورى ثاني

وقد عشقت التقى والعلم عن صغر   وبارحُ الوجد أضناني وأعياني

وليس ذلك بُدعا من سليل عُلاً   ربَّاه يوسف ذو البرهان والشان

وقال على لساني ايضا ، وقد أرسلته لأخي العليُّ وكا مهاجرا للنجف في طلب العلم ، وكانت غايته(ره) ا، يتعلم اخي الشعر :

حننت اليك يا عضدي   حنين الواله الكمد

وأقلقني رسيس الوجد   بين القلب والكبد

وأوقفني أليم نواك   بين الهم والنكد

ورحت تسيل مثل السيل   دمعا غير منجمد

وقال على لسان أخي محمد حسن :

بنفسي عليا ابن أمي ووالدي   ومعتمدي دون الورى في الشدائد

أخي وعزيزي دون أهلي وصحبتي   وعزي ومالي في الأنام وساعدي

أبا حسن لا زلت عزا ومعتمدا   لآل الفقيه الأكرمين الأماجد

وعزاه صديق له واستشهد ببيت ، فأجابه الوالد(ره) وجعل البيت مطلع قصيدته ، **منها** :

(فيا حسرتي مالي سوى النوح سلوة   فان نُحْتُ لا لوم عليَّ ولا عتب)

فسحّي دما يا عين من بعد فقده   وذب كمدا أو مت اذ شئت يا قلب

وله أبيات ، لا نستحضر مناسبتها :

ألا خبروا عني بأني متيم ... ولي مدمع من لوعة البعد فواري
اذا ما تذكرت الحمى زادني جوىً ... وهيج لي وجدا على الوجد تذكاري
حننت حنين اليعملات الى الحمى ... ونُحْتِ على أيام حَزْوَى وذي قار
زمانٌ به كنا قريرين مثلما ... يشاء الهوى والروض يزهو بأزهار
فبدد شملي واستبد بحكمه ... فمن لي بدهر جائر الحكم غدار
فلا وجدُ يعقوبٍ ولا حزنُ آدم ... ولا نارُ ابراهيم تحكي لظى ناري
وهيهات مني الصبر والإلف موْدَعٌ ... على الرغم مني بين تربٍ وأحجارِ
وتلك حمامات اللِوى غاب عنها إلفها ... فناحت عليه في عشيٍّ وإبكارِ

وله من قصيدة كتب بها الى السيد عبد الحسين نور الدين النباطي :

فبي من جوىً ما بي ولو أن بعضه ... أصيب به رَضْوَىٰ لأصبح خاويا
أيحسب أحبابي بأني نسيتهم ... لطول التنائي أو جفى البعد ما بيا
اذن ليس لي في المجد خلٌّ ولا أنا ... أُعَدُّ بيوم الحشر خِلاً مصافيا
فها أنا صبٌّ لا أزال متيما ... ولي مقلة تذري الدموع الجواريا
ولا صبر لي حتى ألاقي أحبتي ... وذاك لعمري بغيتي ومنائيا

الى قوله :

وما أُمُّ خِشف ظل يوما وليلة ... بمهمهة البيداء ظمآن صاديا
تهيم فلا تدري الى أين تنتهي ... مولّهة حرَّى تجوب الفيافيا
أضرَّ بها حرُّ الهجير فلم تجد ... لغلتها من بارد الماء شافيا
ولما دنت من طفلها انعطفت له ... فألقته ملهوف الجوانح طاويا
بأشوق مني يوم شدوا حمولهم ... ونادى مناد الحي أن لا تلاقيا

هذا ما حضرنا من شعره ، وأما المفقود منه الذي نعرفه فهو ما يلي :

وله تشطير قصيدة للمرحوم السيد حسن محمود الأمين العاملي وجهها الى الشريف حسين وبنيه سنة ١٩١٩م تقريبا ومطلعها :

ساسة الملك أنتم ورجاله والیکم مآبه ومآله

وله تشطير أبيات لحسان شاعر النبي(ص) وهي في مدح النبي (ص) .

وله تشطير أبيات قصيدة لبعض شعراء الأندلسيين مشهورة ومطلعها :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان

وتشطير بيتين للسيد جواد مرتضى وهما :

خطبت المعالي وهي بكر فنلتها وما كل من رام المعاني ينالها

خلوت بها والناس في رقدة الدجى نيام ولم يطرق اليهم خيالها

بقي في ترجمة الشيخ الوالد رحمه الله موارد كان ينبغي التعرض لها :

أولها : حوصر في منزله في حاريص ليلا مرتين ونهبت أمواله المتواضعة .

ثانيها : كراماته وهي كثيرة ، منها ماذكرناه في كتابنا حجر وطين ج٢ ص٢٠١

ثالثها : بعض ميزات قضائه بين الخصوم .

رابعها : مواقف خاصة له تعطي صورة عنه وعن الناس .

قد تمت ترجمة الشيخ يوسف الفقيه بعون الله والحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ منها في ١٩٨٩/٣/٢٢م الموافق ١٤ شعبان ١٤٠٩ هج وكان الفراغ من اعادة تبيضها وتهيئها للطبع مساء السبت ١٩٩٤/١٢/١٧م الموافق ١٤ رجب ١٤١٥ هج

(٢)

لَمْحَةٌ

من سِيرة

الأُستَاذ آيَة الله الأوحَدِيّ

السيِّد مُحْسِن الطَبَاطَبَائي الحَكيْم

النَجَفِي

نَقَلنَاه برمَّتِه من كِتَابنَا

(جَامِعَة النَجَف في عَصرِهَا الحَاضِر)

المطبوع حوالي سَنة ١٣٧١ هـ



صورة السيد محسن الحكيم أخذت سنة ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد : فهذه لمحة من سيرة الأستاذ آية الله الأوحدي السيد محسن الطباطبائي الحكيم النجفي دامت بركاته ، نقدمها للعالم الاسلامي تلبية للرغبة الملحة ، واستجابة للطلبات الكثيرة ، التي يوجهها الناس بين حين وآخر متسائلين عن القوى التي يملكها السيد الحكيم ، وعن الأهداف الخيرة التي يسعى اليها ، وعن الأعمال الاسلامية والإنسانية التي حققها .

نقدمها لهم إشباعاً لرغبتهم ، راجين أن نفتح أمامهم آفاق الحياة وأن تنعش في نفوسهم ميت الآمل ، فإن سيرة أمثاله تكشف لنا عما أعده الله سبحانه وتعالى لأوليائه في العاجل ، من المكانة والصيانة ، والمساعدة والمساندة ومن الفوز في المساعي والنجاح في النهاية .

يسير السيد في ركب الشخصيات العالمية الحاكمة ، مع أنه لا يملك واحدا من مليون مما يملكه الحاكمون ! لأن الواحد منهم يترأس دولة ، ويتصرف في مقدرات قارة أو قطر على الأقل !

واذا التفتنا مرة أخرى وجدناه يملك قوة روحية هائلة ، ووجدناهم لا يملكون واحدا من مليون مما يملكه من هذه القوة !

ثم اذا التفتنا اليه واليهم مرة ثالثة ، وجدناهم يرتفعون بسرعة وينخفضون بسرعة ، تتلاعب بهم الأحداث ويسيرهم التأريخ .

ووجدناه ركيزة اجتماعية ثابتة ، يزداد مع توالي الأحداث صمودا وصلابة وشموخا وارتفاعا !

ذلك أن طغيان المادة مصيره التلاشي والزوال ، مهما عظم واستطال ، وان صوت الروح يدوي أبدا : ونور الحق يمزّق الظلام ، لان الحق يحفظ نفسه ، والأصلح لا بد من بقائه ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ الرعد آية ١٩ (١) .

أخيرا نقدم هذه السطور الى النفوس الخيرة التي تتطلع لأمثالها ، وهي في الوقت نفسه تشبع رغبة الآخرين ، الذين رافقوا القافلة ، وتطلعوا الى الحياة وغمرهم حب الاطلاع ، فوقفوا على مفترق الطريق ، يتحرون الأصلح .

وقبل ذلك كله نقدمه لمن خرج من النجف الأشرف قبل أن يحيط بحقيقتها وبحقيقة الرئيس الديني ، نقدمه لهم ليستنيروا به وينتفعوا فيه .

---

(١) الجفاء : ما رمى به السيل وألقاه من الزبد ، مجمع البحرين .

شعور وتمهيد

نحن في عصر ضاعت فيه القيم ، وطغت فيه المادة واستفحلت فيه الدعايات الكاذبة ، وأصبح كسب الثقة العامة قائما على المقاييس المغلوطة .

ولولا ثلة من أمثال آية الله الحكيم ، ممن تمت بهم الحجة واتضح بهم لاحب المحجة ، لانطمست معالم الحق ، وتسامت صروح الباطل ، وعاد البشر الى جاهليتهم الأولى .

ولكنه وأمثاله من السابقين والباقين ، أدّوا بقايا الرسالة المقدسة الى آحاد ممن شملتهم العناية الإلهية ، فهم يترسمون خطاهم الرفيعة ، ويحتذون أمثلتهم القيمة .

وهكذا شاء الله سبحانه أن تبقى دولة الحق خالدة ، ويد الباطل مغلولة ، وكلمة الله هي العليا .

وأنا ..

لما لمحت نعيم الآخرة باشراقة من تعاليمه ، ولمست السعادة بقبسات من سنا روحانيته ، ورأيت فيه مثلا أعلى ، وأنموذجا يحتذى ، وطابعا مشبعا بالكمال ، وسيرة تشبه سيرة الأنبياء والنقباء ، وجدت فيه إنسانا اكتملت فيه الإنسانية ، فانقادت له أسراب القلوب من مختلف القبائل ، ومتنائيات الشعوب .. انقادوا له فاذا أمرهم ائتمروا ، واذا زجرهم انزجروا ، لا يسوقهم الى ذلك الا وازع الخير ، ولا يحفزهم الا الإيمان بأنه خير إنسان للإنسان ، وذلك لأنهم رأوا فيه روحانية مباركة ، وقدسية رفيعة تحمل الخير اليهم وتحملهم على الخير ، فعلى ولائه انعقدت القلوب ، لانه قلبها النابض ، فكان واحدا في أمة ، جمع أمة على ولاء واحد .

لما كان ذلك كله ، وتسامع الناس به ، وتشوقوا اليه ، قدمت اليهم قبسا من أنوار فجره اللامع المستطير ، رجاء أن تستنير به نفوسهم وطمعا أن يؤجج شعلة الخير في قلوبهم ، فأكون قد خدمت الانسانية بالتحدث عن هذا الانسان ، ويكون هو محسنا في التحدث عنه ، كما كان محسنا في أفعاله وأقواله ، ويكون بعد ذلك من معناه ما يملأ اسمه المبارك الميمون .

و لم أستأذنه في نشر رسالتي هذه ، فإنها وإن كانت سراً خفيا وكنزا مطويا ، الا أنه لا يبخل بانفاق هذا الكنز على المعوزين ، ولا يشح بايصال السر الى أهله .

ولادته ونشأته

استهل آية الله الحكيم في غرة شوال سنة ١٣٠٦هـج الف وثلاثماية وستة للهجرة ، في النجف الأشرف ، وهو ثاني ثلاثة أخوة ، أكبرهم السيد محمود الحكيم وأصغرهم السيد هاشم الحكيم (١).

---

(١) توفي العلامة السيد هاشم في الرابع من رجب سنة ١٣٧٤ الف وثلاثماية وأربع وسبعين هجرية ، ودفن في بلدته بنت جبيل ، إحدى حواضر جبل عامل ، وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا تقياً ، سليم الذات ، طاهر الضمير .

وتوفي العلامة السيد محمود (ره) في ستة ربيع الثاني سنة ١٣٧٥هجرية في النجف الأشرف ، ودفن في غرفة في الصحن الشريف في الجانب الغربي ، وكان معروفا بالفضل والتقوى، وكان له تشييع حافل ، وأقيمت له عدة فواتح ، أولها باسم السيد الحكيم دامت بركاته ، ثم همت كل طائفة من الناس أن تقيم له فاتحة باسمها ، ولكن آية الله الحكيم يعلم تأثير هذه التقاليد على سير الحركة العلمية والأعمال العامة لذلك أمر خطيب الفاتحة الأولى الشيخ محمد علي اليعقوبي بالتنويه على المنبر بالإكتفاء بفاتحة واحدة وبلزوم متابعة الدراسة والإستمرار على العمل ، وكان العامليون يرغبون في إقامة فاتحة كغيرهم ، ولما بلغهم ذلك توقفوا ، ثم في ليلة الأربعاء بين صلاة المغرب والعشاء جالت في نفسي فكرة تجميد الفواتح ، فكلفت من كان معي كل من يرونه من العامليين للإجتماع صباحا ، وكتمت الفكرة ، فحضر كل من بلغه الخبر ، فأشرنا للفكرة التي اجتمعنا من أجلها ، ثم اجتمعوا ليلة الخميس في دارنا أيضا للتعزية التي نقيمها في كل ليلة خميس ، فلم أجد الجو ملائما لإيضاح الغاية ، فتغيبت ، ثم رجعت في وقت متأخر ، فوجدتهم منتظرين ، فقررنا الإجتماع صباح الخميس، فاجتمعوا ، فتكلمت في المواضيع الآتية :

أ - قيمة الحب وأثره ، وقيمة الشفقة التبادلة .

ب- الحث على بذلها من الجميع للجميع .

ج - ملخص عن انطباعات العامليين وعن تغلب الروحية عليهم وعن استقلاليتهم ، وعن=

ولم يعلم والده بولادته الا بعد حين ، لأنه كان إذ ذاك غائبا في بلاد عاملة (١) ثم رجع والده الى وطنه النجف الأشرف ، وأقام فيها عشرة أشهر ، وكانت هذه الأشهر هي كل المدة التي تمتع فيها الوالد بولده والولد بوالده ، وبعدها اسأنف والده السفر من النجف الى بيت الله الحرام سنة ١٣١٠هج الف وثلاثماية وعشرة هجرية ، ومنه الى عاملة ، وفيها انتقل الى جوار ربه سنة ١٣١٢هج (٢) وكانت هذه

= نزاهتهم ، وكان حديثا مسهبا .

د- ثم شرعنا في الحث على لزوم حفظ النظام والروحانية ولزوم استمرار الثقة والأمانة المتبادلة .

هـ- ثم شرحنا حناية الفواتح إقتصاديا من حيث الوقت والمال والمعنى ومثلها مواكب الإستقبال والتوديع ، وكثير من الكماليات ، ثم عرضنا عليهم فكرة إرصاد المبالغ التي تصرف في الفواتح للمشاريع الخيرية .

وبعد ذلك أصدرنا منشورا بتاريخ ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٧٥هج ووجهناه للجماهير وطلبنا منهم إرصاد نفقات الفواتح الى مشاريع دينية إنسانية ، وقد لاقى ذلك إستحسانا عاما ، ثم صممنا على جعل ما جمعناه من المال للفاتحة نواة لمدرسة دينية ، وماهي إلا مدة يسيرة الا وهي مدرسة واسعة آهلة بالطلاب .

(١) عاملة :هي لبنان الجنوبي ، وأهلها ينتسبون الى عاملة بن سبأ وبه سميت ، وللتوسع في هذا الموضوع راجع (جبل عامل في التاريخ) للمؤلف ص٨١ الطبعة الثانية .

(٢) والده هو العلامة السيد مهدي الحكيم ، وكان سبب هجرتة الى جبل عامل ما ذكره العلامة الأمين في أعيان الشيعة في ترجمة السيد اسماعيل الصدر ، هو أن العلامة الشيخ موسى شرارة العاملي لما حضرته الوفاة رجح أن يستدعى من بعده أحد اثنين : السيد اسماعيل الصدر أو السيد مهدي الحكيم ، فطلبوا أحدهما من مرجع الشيعة آية الله الشيرازي ، فكلفهما فاعتذر الأول وقبل الثاني ، ووالدته هي بنت الشيخ جعفر الشيخ عبد النبي صاحب تكملة الرجال =

الأحداث تبشر بمستقبله السعيد ، فإنه نشأ تحت ظل اليتم وترعرع في أحضان الاستقلال ، شأن عظماء البشر من نبي وشاعر وسلطان ، فكان اليتم أول بشير يحمل أنباء مستقبله المشرق ، ويحدث عن نبله المحلق ، ونبل اليتم لا ينكره التاريخ ولا يجهله العرافون (١) .

وبعد وفاة والده وهو إذاك ابن سبع سنين ، شرع في قراءة القرآن الكريم (٢) على النهج المتعارف في ذلك الزمان في كيفية تعلم القراءة ، فأنهاه في ستة أشهر .

نشأته الدراسية

ثم ابتدأ في دراسة علم النحو وهو في التاسعة من عمره ، وقد صعب عليه تفهم النحو في أول أمره ، ثم بعد نحو من سنتين تفتحت آفاقه ، وله رسالة في الإستثناء ، تعتبر أطروحة عالية مفعمة بما يرتبط بهذا المبحث ، فتولى تربيته العلمية أخوه الأكبر السيد محمود الحكيم ، فدرس عليه المقدمات الى (القوانين) ودرس بقية الكتب على جملة من الفضلاء منهم الشيخ صادق بن الحاج مسعود البهبهاني، ومنهم العلامة الشيخ صادق الجواهري (٣) ثم حضر درس أوحديّ وقته في التدريس الملا

= وربما عبر عنه السيد دامت بركاته في المستمسك بقوله : (جدنا) .

(١) العريف : كأمير ، بمعنى فاعل ، والعرافة عمله ، وعَرُف فلان (بالضم) عَرافة (بالفتح) صار عريفا ، والعَرّافة : نوع من الكهانة والفراسة تستعمل لاكتشاف الأنساب والمسروق والمستقبل ، وقيل العريف يخبر عن الماضي والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل .

(٢) كان النهج المتعارف في تعلم القراءة هو تعلم قراءة القرآن الكريم ، يبتدئون أولا في تعلم الحروف ، ثم في تعلم الشكل ، ثم في السور الصغار ، والنجفيون لا يُنهون القراءة في المدة المذكورة ، بل ينهونها بأكثر منها بكثير ، ولعل طريقتهم التي كانوا يألفونها ، فيها صعوبة .

(٣) هو أخو العلامة الفقيه الشيخ علي باقر الجواهري .

كاظم الخراساني (١) صاحب كتاب (كفاية الأصول) - والكفاية هي الكتاب الذي يدرس اليوم في الجامعات الدينية كالنجف وقم وغيرهما - حضر عليه نحوا من ثلاث سنوات فقها وأصولا (خارجا) ، وتتلمذ من بعده على تلميذ الأخند الأغا ضياء الدين العراقي ، فكان حضوره في درسه بعد وفاة الأخند سنة ١٣٢٩هـ في مسجد مدرسة القطب المعروف اليوم بمسجد مدرسة الخليلي مع عدد من الطلاب لايصل

---

(١) توفي الأخند رحمه الله تعالى سنة ١٣٢٩هـ ألف وثلاثماية وتسع وعشرين هجرية ، وهو أعظم مدرّس عرَفَته النجف الأشرف في هذا القرن ، فقد ناف عدد الحضور تحت منبره على ألف طالب ، وحدثنا أستاذنا الحجة الحمامي (أن أحدهم أحصاهم فكان عددهم ألفا ومئتين) ، وقال : إنه كان يسمعهم أجمع لأن صوته كان صافيا نفّاذاً وليس بجهوري ، وأن وفاته كانت فجأة بعدما صلى صلاة الليل ، وحدثنا الأستاذ الحكيم مد ظله : أنه كان يدرّس قبل وفاته في مباحث الإستصحاب ، والتحدث عن تحقيقه وتدقيقه وشخصيته يستدعي كتابا بمفرده ، فإنه كان يعظم طلاب العلم ويرى أن لهم فضلا على الناس وأنه يجب تمييزهم في المآكل والمشرب والملبس ، وكان في منتهى الترف والعزة ، وقد أفتى بالجهاد وهدد الشاه ببرقيته التي يقول فيها : إتق رعاف قلم أنزل عبد الحميد عن عرشه !

وكان عصره عصر انقلابات ، وقد كان من نتائج (المشروطة) و(المستبدة) المعروفة تحكم رضا شاه بهلوي في ايران ، فبعدما حكم باسم العدل وباسم الدين ، أصبح من ألد الخصوم للدين ورجاله ، وما أشبه الحاضر بالغابر ، فليعتبر المفكرون وليسيروا وئيدا .

والكفاية آخر كتاب أصولي اتخذ للتدريس ، وقد جمع فيه علم الأصول بقسميه وبوب المطالب الأصولية وهذبها من الفضول ، نعم أسلوبه ليس جاريا على موازين اللغة العربية ، ومن ثم قد يصعب فهمه ، فإن عبارته أضيق من معناه أحيانا ، ومن ثم قيل :(لولا تلامذته لم يعرف مقصوده) وكان تلميذه المحقق الآغا ضياء يقول :(لا يعرفه الا من خوطب به) ولا يعني العبارات طبعا ، وانما يعني المباني التي ترتكز عليها نظريات الكتاب ، وقد أسهب في المشتق وفي مقدمة الواجب وفي احتماع الأمر والنهي إسهابا لا يتناسب مع طبع الكتاب .

عددهم الى العشرة ، و لم يتذوق درسه ولغته في ذلك الوقت ، وقد حضر عليه في الأصول دورتين ، وقد كتب الدورة الثانية كاملة وشرع في الثالثة ، وحضر عليه مكاسب الشيخ الأنصاري قدس سره ، وكتاب الرهن وجملة من كتب المعاملات .

وفي سنة ١٣٤٢هـ انفصل عن درس الآغا ضياء (١) ولكن نسبة التلمذة بقيت محفوظة ، وكان الآغا ضياء (ره) يكبر هذه النسبة ، ولا يزال السيد (دامت بركاته) يعترف بها .

كما أنه تتلمذ على المرحوم الشيخ علي باقر الجواهري بعد عودته من الجهاد سنة ١٣٣٣هـ ، في الفقه ما يقرب من خمس سنوات ،وانفصل عنه قبل وفاته بيسير ، وذلك في سنة ١٣٣٩هـ تقريبا ، وبعد وفاته تتلمذ على المرحوم الميرزا محمد حسين النائيني الغروي، وتتلمذ على المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي مبتغيا من وراء التلمذ عليه الحصول على تربية روحية عالية ، فان المعاشرة وطول الصحبة أفضل وسيلة للانطباعات الرفيعة ، والدرس والمذاكرة من أفضل أنواع المعاشرة الموصلة الى

---

(١) توفي الآغا ضياء رحمه الله تعالى صبح الثنين في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٦٦هـ ودفن في غرفة من غرف الصحن الشريف في النجف الأشرف في الغرفة الثانية عن يمين الخارج من باب الفرج ، وهو الباب الذي يقع في الجهة الغربية ، وكان آخر أيامه أشهر المدرسين في الأصول ولم يكن له حظ في مرجعية التقليد، فقد رجع آحاد من الناس في التقليد الى السيد الحكيم بعد وفاة النائيني مع وجود السيد أبو الحسن والآغا ضياء وأضرابهم ، وهو معروف بالتحقيق والتدقيق في الأصول ، والسيد الحكيم يُفضِّل أصوله وتحقيقاته فيه على تحقيقات النائيني ، ويقول : (ان النائيني يبني نتائجه على مقدمات مسلمة عنده ولا يبرهن عليها ، فترى كأنها ضرورية ، مع أنها نظرية ، بخلاف الآغا ضياء) وقد تتبعت هذه الناحية فيما ينسب للنائيني (ره) في تقرير دروسه فجدتها كذلك ، وقد باحثت الفروع الستينية قريبا ، وكنت ألاحظ (الفروع الستينية) المسماة (غوالي اللئالي) للآغا ضياء فوجدتها جيدة ووجدته يعتمد على تفكيره ويعوزه الاستقراء .

هـذه الغايـة المقدسـة ، لكـثرة الأحـوال الـتي تمـر علـى الأسـتاذ وتلاميـذه واختـلاف المناسبات والدواعي للإرشاد والتنبيه ، فيتجلى الخلق العالي في أقواله وأفعاله ونصائحه ، وفي القصص والشواهد وضرب الأمثال التي تميل اليها النفوس ويقتنـع بهـا الضمـير ويستملحها السامعون ، فاتصل السيد الحكيم به وأخذ عنه .

وفي سـنة ١٣٣٢ هـج ، عندمـا قـاد السـيد الحبوبـي رحمـه الله تعـالى جمهـور المسلمين في العراق في جبهة الناصرية ، ضد الاحتلال الإنكليزي ، استصفى الحبوبـي السيد الحكيم لنفسه وصحبه معه وأولاه ثقته واتخـذه وزيـرا ، ورَكَـن اليـه ، وأعطـاه كل ما له من الصلاحيات ، فتولى السيد الحكيم إدارة شؤون الجهاد والمجاهدين بحنكة ونشاط .

أَثَرُ تَعَدُّد الأسَاتِذَة

ربما كان لتعدد الأساتذة أثر كبير في تلويـن مواهبـه العاليـة ، وتكويـن روحـه العلمية ، فإن البيئات الـتي تنقـل فيهـا وإن كـانت علميـة ودينيـة خالصـة ، وكـانت تشتمل على روحية عالية ، إلا أنها ذات ألوان متخالفة طبعاً ، فإن لكـل مـن هـؤلاء الأساتذة نهجاً يستقل به ، وأسلوباً يتمشى عليه ، وقد نشاهد ذلك في جميع طبقـات البشر، فاذا تتبعنا سيرة عـالِمَين أو مدرسـين او فيلسـوفين او تـاجرين او عـاملين ... وجدنا لكل واحد منهما مزية عن الآخر من ناحية من النواحي ، ومسلكا ومنهاجـا وطابعا يستقل به ، وهكذا العلماء أيضا .

وقد نشأ عند السيد الحكيم من تفـاعل هـذه العنـاصر الغنيـة تفكـير اسـتقلالي متفوق ، فكان له مع ذلـك ذوق معتـدل في اسـتخلاص المطـالب العلميـة ، وتفكـير عصامي موزون في تنقيحها وترتيبها وتبويبها والدخول فيها والخروج منها وإرجاعها الى مبانيها ، وأصبح بعد ذلك كلـه أحـد العظمـاء المحلقـين الذيـن قلّمـا ينتـج القـرن الواحد أكثر من واحد منهم .

خُطْوَة أخرَى

وفي سنة ١٣٣٣ هـ ، بعد عودته من الجهاد توجه للدرس والتدرس ، فشرع لأول مرة في تدريس الكفاية والرسائل (١) سطحاً (٢) وأول درة فقهية باحثها خارجا كانت سنة ١٣٣٨هـ، بعنوان التبصرة (٣) وقد شرح جملة من كتبها أثناء التدريس .

---

(١) الرسائل كتاب يبحث في الأصول العملية ، يشتمل على جملة مهمة من مباحث القطع والظن والشك ، وهو من مؤلفات أوحدي زمانه الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله المتوفي سنة ١٢٨١ هـ ، وتاريخ وفاته (ظهر الفساد) .

(٢) التدريس في حامعة النجف نوعان : سطح، وخارج ؛ الدرس السطحي : اسم لدراسة التلميذ في الكتب ، وسميت سطحية لأنه لا يطلب فيها أكثر من فهم ما في الكتاب ، والذي يفهم الكتاب ويحفظ مضامينه يسمى محصلا ومشتغلا ولا يسمى فاضلا ولا عالما ، ولا متجزيا ولا مجتهدا .

والدرس الخارج : اسم للدراسة بدون كتاب ، وهي عبارة عن محاضرات علمية عالية في الفقه والأصول وغيرهما ، يلقيها الأستاذ بدون كتاب ولا كتابة ، يشرع فيها من أول مسائل العلم ، وتنتهي الدورة بإنهاء تمام مسائل ذلك العلم ، ويسوغ للتلاميذ مطالبة الاستاذ بالبرهان الكامل على كل ما يقوله ، فالأستاذ لا بد وأن يكون مستعدا ومتسلحاً بأعظم سلاح من قوة التفكير ، وسعة الإستقراء ، ودقة الملاحظة والإستقصاء ، وهي دروس ارتجالية ، إلا أنها محضرة من ذي قبل ، ولا يتيسر ذلك إلا لمن زاول تدريس كتب السطوح مدة ، ودوَّن ملاحاظاته وملاحظات أساتذته ، ومن درَّس خارجا بدون ذلك ، يعرض نفسه لاستخفاف فضلاء الطلاب منه .

(٣) التبصرة :كتاب يحتوي الفقه من أوله الى آخره ، صغير الحجم موجز العبارة ، يحتوي فروعا كثيرة جداً ، وهو من مؤلفات الحسن بن يوسف المطهر المعروف بالعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ ولقب بالعلامة لما أوتيه من فضل ونباهة وتحقيق وتدقيق وإحاطة ، وله مؤلفات =

وفي نفس السنة شرع لأول مرة في تدريس الكفاية خارجا ، فحضر عليه جملة من المشتغلين في الجزء الثاني من الكفاية ، وفي أثناء تدريسه وضع الجزء الثاني من تعليقته عليه .

ثم بعد إتمامه باحث الجزء الأول منها ، ووضع الجزء الأول من تعليقته عليه ، واتصلت الدورات ..

ثم كتب تعليقة ثانية على الكفاية تختلف عن سابقتها ، والنسخة المطبوعة (حقائق الأصول) طبعت على النسخة الثانية ، ودخل فيها من النسخة الأولى عدة أوراق في آخر الجز الثاني فقط .

وقد استنسخ تعليقته على الكفاية قبل طبعها عدد من المشتغلين من تلامذته وغيرهم .

ثم شرع في تدريس العروة الوثقى (١) في سنة ١٣٤٧هـ ، فباحث فيها درسين :

أحدهما ، في أولها في مسائل التقليد والاجتهاد .

وثانيهما : في صلاة الآيات .

وكان يكتب الدرسين ، واستمر في تدريس العروة الى نهاية كتاب الخمس ، وقد تكرر منه تدريسها ، وأكمل شرحها ، وكان بلا اسم ، فكان يعبر عنه بمختصر شرح العروة الوثقى ، ثم لما قدمه للطبع سمي مستند الفتوى ، ثم غير

= كثيرة جدا ، حتى قيل : لو وزعت مؤلفاته على أيام حياته منذ بلوغه ، لكان له في كل يوم كرّاس .

(١) العروة الوثقى: تأليف فقيه عصره السيد كاظم اليزدي الطباطبائي ، وقد انتهت اليه رئاسة المذهب في وقته ، وكانت في أيامه الفتنة الكبرى في ايران (المشروطة والمستبدة) وكان مع الآخند صاحب الكفاية على طرفي نقيض في الرأي .

(مدظله) اسمه وسماه (منستمسك العروة الوثقى) وقد أتمه أثناء تدريسه وأوقات فراغه ، وقد طبع مرتين ، واستمر في شرح بقية مسائل العروة مما بعد الخمس حتى الساعة ، وكان قد علق على هامشها تعليقات وجيزة ، تشير الى أكثر مباني مسائلها .

ومن تاريخ الانتهاء من أجزاء المستمسك ، تعْرِف أنه لم يُكتب مرتبا ، وكان يلاحظ المطلب عند تكرر المباحثة ، فيغير فيه تغييرا يسيرا الا ما شذ ، فيعلق على الهوامش ما يحتاجه ، ويضرب بالقلم على ما لايرتضيه ، وآخر ملاحظة كانت له عند تقديمه للمطبعة ، فأضاف اليه أمرين هامين :

أولهما : نسبة الروايات لمن صدرت عنه من المعصومين عليهم السلام ، لانه عندما ألفه كان يكتبه تذكرة لنفسه ، وكان يسميه مختصر شرح العروة ، وكان اذا استدل برواية ينعتها بنعتها فيقول مثلا : في الصحيح او في صحيح زرارة اختصارا ، وبعد الملاحظة صار يقول : في صحيح زرارة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام .

ثانيهما : ملاحظة الكتب التي كان ينسب أقوال ذويها لهم ، فانه كان ينسبها اعتمادا على (مفتاح الكرامة) وكتاب (جواهر الكلام) ، فكان يقول : عن كذا وعن كذا .. وبعد الملاحظة أبدل لفظ (عن) بلفظ (في) ، فبينما كان يقول : عن المدارك والروض والرياض ، أصبح يقول : في المدارك والروض والرياض ، والكتاب الذي لا تتهيأ له ملاحظته يبقى مقترنا بلفظ (عن) ، ونحن عندما نلاحظ المسألة الواحدة في المستمسك ، نجد السيد راجع فيها نحوا من عشرة كتب أو أزيد .

والتتبع والاستقراء أمر متعب ، ويعرف ذلك من ابتلى به وزاوله ، وإقدام السيد على ذلك في حال ابتلائه بالرئاسة وتواصل أشغال الناس عنده ليلا ونهارا وثباته على ذلك ، يدل على ما أوتيه من عزم وحزم ونشاط .

والذي يلفت النظر ، انه ما كان يؤلف المستمسك للطبع ، وانما كان يؤلفه تذكرة لنفسه وصونا لنتائج تتبعه ، ومحافظة على ثمرات تفكيره .

وقد استنسخت جملة من أبواب المستمسك المهمة أو أجزائه قبل طبعه ، والنسخ المخطوطة المتقدمة تختلف عن المتأخرة باختلاف دورات البحث ، ومثل المستمسك حاشية الكفاية والمكاسب ، فإن لكل منها نسختان أولى وثانية بقلمه .

وقد باحث المكاسب (١) لعدة أشخاص متفرقين في عدة دروس ، وألف

(١) المكاسب : من أجلّ مؤلفات أوحدي عصره الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله تعالى ، يتضمن جملة من القواعد المهمة السيالة المتعلقة في البيع وسائر المعاملات وغيرها ، وهو بمنزلة أطروحات عالية يقدمها أعظم متخصص لأعاظم المتخصصين ، لذلك تجدها تشيه حولات عامة في الفقه وقواعده ، مع إحاطة تامة وإيجاز في المطالب واستقراء تام ..نعم كان المتبع في عصر المؤلف الاهتمام بأقوال المؤلفين ، ولعل سبب الاهتمام هو المحافظة على تحصيل الاجماع ، لذلك ينقل عبارات الأعلام ويتأولها ويؤلف بينها ، وهذا عندي أعظم عيب في هذا الكتاب الشريف .

والمكاسب اليوم هي الكتاب الذي يدرس سطحاً في الصفوف العالية في النجف وغيرها من الجامعات الدينية مثل قم وكربلاء وخراسان وأصفهان وسامراء ومدارس أفغانستان وغيرها .. وللشيخ مرتضى الأنصاري كتاب الرسائل في الأصول العملية ولا يزال يدرس حتى الساعة ، وله كتاب الطهارة ، وقد كتب تلامذته دروسه أثناء حضورهم عليه ، فطبعت الأصول اللفظية بقلم أحدهم وسميت (التقريرات) ولا أعرف وجود التقريرات قبل هذا التاريخ ، وكتب آخرون بعض الكتب الأخرى ككتاب (القضاء) و(اللباس المشكوك) أثناء حضورهم عليه ، ونبهوا على ذلك ، وقد اتبع الفضلاء هذه السيرة حتى شاعت التقريرات في هذه الأيام .

والاهتمام في تقرير البحث أوقف حركة التفكير وبَذْل الجهد في التتبع ، فان الفاضل اذا اهتم في إحصاء ما يقدمه له الاستاذ دون ما سواه ، دبَّ الجمود الفكري فيه ووقفت عنده حركة التطور والإبتكار . والشيخ مرتضى الأنصاري كان معروفا بالزهد ، ولا يزال حديثاً كريماً على ألسنة أهل الفضل والصلاح ، مع أنه مضى على وفاته نحو من قرن ، فقد توفي (ره) في النجف سنة ١٢٨١هج ودفن في إحدى غرف الصحن الشريف على يمين الخارج من الباب القبلي ، وتاريخ وفاته (ظهر الفساد).

الجزء الثاني من تعليقته عليها أثناء تدريسها للمرحوم الشيخ ناجي الحلي ، وألف الجزء الأول من تعليقته عليها أثناء تدريسه للعلامة الشيخ حسين مشكور الحولاوي.

ثم باحثها إجابة لالتماسنا مع مساعدة بعض الإخوان ، فشرع من أول تعريف البيع ، وبقي فيها الى أول الخيارات عدة سنوات ، فقد شرعنا في مبحث الفضولي يوم الأحد ١٣ شوال سنة ١٣٦٠هـ ، وانتهينا من شرطية العلم بالعوضين نهار الأحد ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ ، ثم ابتلي بالأمور العامة فترك ، ثم باحث أصالة اللزوم ، وشطرا من خيار المجلس في درس خاص في منزله ، ثم تراكمت عليه الأعمال فتركه ، وكان هذا آخر عهدنا بتدريسه إياها الى هذا اليوم ، وقد كتب تعليقته الثانية عليها أثناء حضورنا عنده ، وقد طبعت وسميت (نهج الفقاهة) .

وقد التمست منه أن يكتب المكاسب مستقلة ، وذلك بأن يذكر العنوان ، ثم يحرر المسألة ، لتكون ناسخة في بابها لما تقدمها ، كما نسخت الكفاية ما تقدمها من كتب الأصول ، فإن أشهر كتب التدريس قبل الكفاية (القوانين) و(الفصول) وقد نالت (القوانين) حظاً وافراً ، فكثر التعليق عليها حتى ضاق وقت المشتغلين عن استقرائها فضلا عن استقصائها ، فلما جاءت (الكفاية) عقيب هذا حلت مكانها .

و(المكاسب) نالت نفس الحظ وكثر عليها التعليق حتى أصبح الفقيه لا يجد وقتا لملاحظة جميع ما علق عليها مضافا الى ما فيها من هنات في الأسلوب مع دقة المطالب وكثرة التحقيق والإيجاز المخل أحياناً.

لذلك كله التمست من السيد أن ينفرد عن القافلة وأن لا يتابعهم بمثل :" قوله (ره)" ثم يشرح العبارة ويهتم في مرجع الضمير وفي توجيه العبارة وتصحيحها ، مضافا الى العناية في المطالب العلمية ، فإن عود الضمير فيه فائدة ، وتصحيح العبارة فيه دفاع عن المؤلف ، ولكنه لا يثبت له العصمة مهما كان عظيما في العلم ، وهذا العمل وإن كان ثمينا ولكن الوقت أثمن منه ، وصرف همة الطالب الى المطالب أولى

وأجدر من انفاقها في توجيه العبارات ، فأجاب السيد الأستاذ لذلك ، وغيَّر الأسلوب ، وأصبح يقول : قوله(ره) : ثم يحرر المطلب مستقلا كأنه لا يرتبط بمكاسب الشيخ الأنصاري (قدس سره) ثم لما طبع ما طبع منه سماه(نهج الفقاهة) ويلاحظ أن أسلوب التأليف في أوله غير أسلوبه بعد كراريس ، وأسلوبه في آخره يبدو كأنه مستقل تماما .

وكان العلامتان السيد سعيد الحكيم والشيخ حسين مشكور والعلامة المرحوم الشيخ حسن البهبهاني يتباحثون في المستمسك بعد تأليفه أثناء حضور درس السيد ، وذلك قبل طبع المستمسك بمدة طويلة تناهز العشرين سنة .

أوَل جمَاعَة عقدت للسيد الحَكيم(مدظله)

أول جماعة عقدت للسيد الحكيم(مدظله) في النجف الأشرف سنة ١٣٤٦ هـ وقد كان يصلي جماعة في مسجد الهندي حال غياب أشهر أهل الزهد والصلاح الشيخ علي القمي(١)

ثم بعد وفاة آية الله النائيني (ره) سنة ١٣٥٥هـ دعي للإمامة في المكان الذي كان يؤم النائيني فيه المؤمنين في الصحن الشريف في الجهة الجنوبية عن يسار الخارج من الباب القبلي ، فأمَّ الناس مغربا في الليلة الثانية من وفاة النائيني(ره) .

أسفَارُهُ

لم يخرج السيد من النجف لغير المشاهد وما جاورها إلا للجهاد سنة ١٣٣٢هـ

---

(١) توفي في آخر جمادى الثانية سنة ١٣٧١هـ تقريبا بعد مرض أقعده عدة سنين في داره ، وله كرامات كثيرة ، وأحواله تتناقلها الناس في مجالسهم .

وجبل عامل سنة ١٣٥٠هـ وسنة ١٣٥٣ هـ ، وذلك على أثر استيلاء الضعف على جسمه لكثرة جهوده وأتعابه حتى قال له أحد الأطباء : إنك حمَّلت جسمك من المتاعب أضعاف ما يتحمله ، ولا دواء لك إلا الراحة والرياضة .

وكان ذهابه الى جبل عامل بصحبة الوجيه التقي الحاج حسن بزي العاملي (ره) بدعوة منه ، فلبث فيها في السفرة الأولى من آخر ذي الحجة سنة ١٣٥٠هـ الى شوال ١٣٥١هـ ، ثم سافر اليها مرة أخرى في سنة ١٣٥٣هـ في صفر ، ورجع في نصف رجب ، وقد كتب تعليقة على ملحقات (العروة) أثناء وجوده في جبل عامل في (بنت جبيل) .

تَقْلِيدُهُ

بعد عودته من جبل عامل توجهت الأنظار اليه وحامت الآمال عليه ، فلم يستطع مغادرة النجف ، واشتغل بالتدريس ، وكان معدودا من الطبقة الثانية من المدرسين ومعتمداً عليه عند الخاصة من سكان النجف وبعض أهالي بغداد.

وفي سنة ١٣٥٥هـ بعد وفاة النائيني (ره) رجع اليه جملة من النجفيين والبغداديين في التقليد (١) فكانوا يراجعونه في أحكام دينهم وفي أمورهم المالية مع وجود المرجع الشهير السيد أبو الحسن (ره) .

وكان يُدَرِّس عند مباحثته الفقه والأصول سطحا في اليوم خمسة دروس الى ستة ، وكان يدرس ثلاثة دروس خارجا ، وأول حضورنا عنده كان يدرس (العروة) في مقبرة السيد محمد سعيد الحبوبي في قضاء الفوائت ، ولم يكن يباحث درسا غيره

---

(١) التقليد هو أخذ الأحكام الشرعية عمن ثبت احتهاده ، فغير المجتهد يعتمد في معرفة الأحكام على فتاوى المجتهد في مقام عمله ويسمى حينئذ مقلداً ، وقد فسر التقليد بتفسيرين ، أحدهما : أنه الالتزام بفتوى الغير ، وثانيهما : أنه العمل بما يوافق فتوى المجتهد اعتمادا عليه، وأما مجرد الموافقة بلا استناد ولا إلتزام فلا يسمى تقليدا .

بحسب الظاهر .

ثم طلبنا منه درس (مكاسب) خارجا ، فشرع فيه من أول تعريف البيع ، ووقف عنه في خيار المجلس في سنة ١٣٦٣هـ لتوالي الأعمال والأشغال ، وقد طلبنا درس أصول بإلحاح ، فاعتذر بضيق الوقت وكثرة الأشغال واختلاف مذاهب الأساتذة وصعوبة معالجة أفكار الطلاب بعد متابعتهم لأساتذتهم ، وأنه لا يجد في نفسه قوة ولا جلدا على ذلك .

مَناهِجَهُ في الدَرسِ والتَدريْس ومَنْهَجه العِلمِي

للسيد الأستاذ سيرة خاصة وأسلوب ربما يتفرد به في تحصيل العلوم ، وربما يفهمه القارئ من مطاوي الأحاديث الآتية ، فإن فيها عرضا ضافياً ، وصورة طبق الأصل لسيرة عظيم متفوق يتواضع لله سبحانه بقدر ما يحيطه الله من أنواع العظمة والجلال ..

وما سنقدمه في هذه الساعة فيه مادة خصبة يستغلها الباحث القدير ويستخرج منها بقدر مواهبه .

قال لي مرة : (**مراتب الإشتغال ثلاثة :**

أولها : مرتبة التلقي وهي الإيمان بصحة ما يراه في الكتاب والإعتقاد بما يقوله الاستاذ .

ثانيها : مرتبة التشكيك في ذلك والمطالبة بالبرهان .

ثالثها : الجزم بعد الإجتهاد في البحث والتنقيب).

وقال لي مرة أخرى : (**لا يصل الإنسان الى النتائج حتى يشكك فيها .. وإنما العثرات والأخطاء نتيجة الإستسلام الى حسن الظن بما يقوله العظماء من المدرسين والمؤلفين) .**

وقال لي مرة ثالثة : (**عندما كنت أعلق على الكفاية ، كنت اذا مررت بشبهة علمية ، يخيل الي ان الشيخ محمد حسين الأصفهاني (١) يسألني عن إقامة البرهان على صحة ما أدعيه فأجيبه ، ثم يستمر في النقاش نقضا وحلاً ، وأستمر أنا في الدفاع**) .

وقال : (**وكنت اذا مررت بعبارة مغلقة في عبارات الكفاية ، يخيل الي أن فلانا وهو أحد تلامذته من النجفيين يسألني عن خفايا العبارة ومرجع ضمائرها ، فأشرحها له أثناء الكتابة كأنني في الدرس وكأنني أخاطبه لأقنعه**) .

وقال للعلامة السيد هاشم معروف العاملي (٢) عند مغادرته النجف الأشرف وهو يوصيه :(**إياك والمسلّمات ولا سيما في غير العبادات من أبواب الفقه ، فإن كثيرا من المشهورات عند الناس والطلاب ، وكثيرا من المرتكزات في الأذهان اذا راجعها الفاضل في مظانها ، وتأمل فيها وجدها لا واقع لها يعتمد عليه ولا أصل تستند اليه**) .

---

(١) المرحوم الأصفهاني : أحد معاصري السيد دامت بركاته ، كان معروفا بدقة النظر وكانت الآمال متجهة اليه ، ولكن لم يكتب له البقاء فقد توفي فجأة في الخامس من ذي الحجة سنة ١٣٦٦هـ في أيام فاتحة الآغا ضياء ، وما ذكرناه آنفا يدل على أنه كان يتذاكر معه كثيرا ، وحدثني من أثق به : أنه (رض) كان جالسا الى جنب المرحوم الشيخ محمد رضا ياسين في فاتحة الآغا ضياء ، فتذاكرا في أمر الدرس والإشتغال ، فقال المرحوم الأصفهاني : إني أشعر بتوجه المسؤولية عليّ وسأستعد للقيام بها ! ثم ذهب بعد انتهاء المجلس ، فأصبح ميتا في فراشه رحمه الله برحمته ونفعنا بهذه العظات البالغة .

(٢) العلامة السيد هاشم معروف أحد تلامذة السيد الحكيم وهو يتمتع بثروة كافية من الفضل والذوق وحرية الفكر والصراحة والاعتراف بالحق ، وهو أحد نبلاء العامليين الذين لا يستسلمون للتقليد ، وقد كنا عقدنا جلسة لوداعه ، حضرها السيد الحكيم وجرى فيها هذا الحديث .

وقال لتلاميذه مرات في مجلس الدرس : **(ينبغي لكـم تدوين مـا تسـمعونه ، فإنـه تربيـة لكـم ، وربمـا انتفعتـم بـه بعـد حـين عندمـا تصبحـون أسـاتذة وعندمـا تستقلون بالنظر ، ولتكن كتابتكم قربة الى ا لله سبحانه فانها عبادة تثابون عليها ، أنا لا أقول لكم : كل مـا أقولـه لكـم حـق ، العصمـة لله سبحانه ولرسـوله (ص) ولأوليائه ، ولكنـي أقـول لكـم انكـم لا تسـتطيعون اليـوم أن تميزوه ، فـادخروه عندكم الى حين ، وعندئذ تعرفون أنه حق أو باطل)**

وقال مرات : **(لا ينبغي لمن يكتب دروسه أن يكتبها لتطبع ، بـل ينبغـي أن يكتبها لانها عمل مقدس ولانها عبادة شريفة يؤجر عليها ويثاب بها اذا فعلهـا لله سبحانه طالبا رضاه ، يكتبها لان الكتابة عمـل يسـاعده علـى الاحتفـاظ بـالفوائد العلمية ويعين على التأمل فيها ويوجب بعد ذلك تفوقه وتقدمه).**

وكان (مدظله) اذا مرَّت بنا المعضلة العلمية يأمرنا بالإلتجاء الى الله سبحانه في حلها مستشهدا بقول الإمام المنتظر(عجل الله فرجه) في دعاء الافتتاح فيقول:(***اللهـم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم***) .

وقال : **(اذا عرضت لي شبهة فيما دونته وأنا متوسد في فراشـي أخـاف أن يدركني الأجل وفي كتبي ما لا أعتقد صحته فأقوم من فراشي فأصلحه ثـم أعـود)**

وقال لبعض تلامذته : **(اني عندما مشغولا بشـرح (العـروة) لا أخـرج مـن المسألة حتى أكاد أحلف أن ما اخترته هو تكليفي الذي يدينني ا لله سبحانه به).**

وكان مرة يدرسنا في المسجد الواقع في السـاباط مـن جهـة الـرأس الشـريف ، وكان عددنا يومئذ يقارب الثلاثين طالبا ، وأكثرهم من أهل الفضل ، فذكـر مسـألة وأوضحها ، ثم أعادها مرة أخرى ، فلم يعترضه أحد .

ثم أجال نظره في الجميع وقال : **(هل ترون خللا في هذا المطلب)** .

فأجبنا :**(بأنه مطلب متين لا خلل فيه)** .

وأظن أنه أعاده علينا مرة أخرى واستفهم منا عن صحته وفساده ، فأجبنا بصحته وجراياته على الموازين العلمية .

وبعد موافقة الطلاب على اختلاف مراتبهم في الفضل تأفف تأففاً شديداًوتذمر تذمراً بيناً ، ثم قال : (**من المؤسف أن الناس تنظر الى من قال لا الى ما قيل !**) .

ثم قال : (**كنت مرة في مجلس عرس لبعض أرحامي ، فجرت مذاكرة علمية حول هذا الموضوع ، فتكلمت بهذا الكلام نفسه ، فكان جزائي ممن قررت بمحضره هذا المطلب التبكيت والتحقير والاستخفاف ، وخجلت أمام هذا الملأ من أرحامي خجلا شديداً ، وكان في المجلس من يستطيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكنت أنتظر منه أن يخفف ما بي من الحياء فلم يفعل ! وكل ذلك لأن سني ومكانتي في ذلك اليوم لا يساعدان على الاهتمام برأيي العلمي اذا كان على خلاف مرتكزاتهم أو على خلاف معلوماتهم أو خلاف رأي المشهور**) (١) .

وهو كثيرا ما ينقل في أثناء الدرس أرآء بعض أعيان العلماء الذين ليس لهم تأليف مطبوع أو متداول ، ويعظمهم ، فكان ينقل أحيانا عن الميرزا علي الشيرازي نجل المرحوم الشيرازي الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي ، وينقل أحيانا عن الشيرازي الكبير وينقل عن غيرهم كالشيخ علي باقر وأضرابه ، مع أن هؤلاء لم يعرف لهم تأليف وذلك يدلنا على أنه كان يتلقى نظريات هؤلاء الأعاظم بواسطة المذاكرة وأنه كان يهتم بالإستقراء التام من طريق السماع والمطالعة .

---

(١) هذه الكلمات كلها منقولة بالمعنى ، وهي مضامين أحاديثه التي كان يكررها بأساليب مختلفة وعبارات متفاوتة بتقريبات مشبعة ، نقلناها لأنها تشير الى سيرته الخاصة به في تحصيله ودروسه وتدريسه ومباحثاته مع أنداده ومع من هو أعلى منه طبقة .

في هذا الحديث عرض مصغر يحكي عن واقع رفيع يدلنا على الأساليب العالية التي كان السيد (مدظله) يستنمي بها معلوماته ويستجلي بها دقائق النظريات ، ويدلنا أيضا على أنه لم يخضع لناموس التقليد ، و لم يلن لعوامل المحاكاة ، ويدلنا ايضا على انه يتمتع بإرادة متينة ورأي حصيف يحفزانه الى معالى الأمور ويجعلانه لا يدخر وسعا في تمحيص الحقائق وتثبيت النظريات .

ويدلنا ايضا على انه لا يأبه بالنسب ولا يكترث بالاضافات ولا تخدعه الاصباغ والألقاب ، وانه ينظر الى ما قيل لا الى من قال !

انه لا يقدر النظرية على حساب من صدرت منه وان حاز صاحبها أسمى النعوت وتتوج بأعلى الألقاب !

نعم اذا نسبت لنبي أو وصي ينظرها أولا من ناحية الصدور ، ثم من ناحية الإمكان وعدم المخالفة لضروري العقل .

وهو في الوقت نفسه يذكر العلماء والمفكرين باسلوب رفيع ، يحوطهم فيه بالإجلال والإعظام ، ثم يعلق على نظرياتهم باسلوب هادئ متواضع ، فكأنه الشهيد الثاني وكأنهم الشهيد الأول (١) انه ينكر الصغرى او الكبرى ، او ينقض على النتيجة او يعارضها ، وبعد الإسهاب في المناقشة وتحكيمها ، يقول : **(ولعلنا لم نفهم مراده او لم نعرف منه غير هذا ، أو لعله يريد غير ما ذكرناه).**

انه بهذا وأمثاله يعتذر عن العلماء الذين يناقش نظرياتهم ثم يدعو لهم بالمغفرة والرضوان ، وقد يقول :**(جزاه ا لله خيرا فقد أتعب نفسه)** !

---

(١) استشهد الأول سنة ٧٨٦ هـ وعمره اثنان وخمسون سنة ، واستشهد الثاني سنة ٩٥٦ هـ وعمره أربع وخمسون سنة ، ومن عجيب الإتفاق أن يُعنى الثاني بكتب الأول فيشرحها ويحققها ويعلق عليها ، ثم يكون لهما لقب الشهيد الأول والثاني مع كثرة من قتل من أضرابهم .

ولا أعرف عالما يحترم العلماء في قرارة نفسه وفي ظاهره بقدر ما يحترمهم السيد الحكيم ، وبقدر ما يحترم الشهيد الثاني الشهيد الأول بل وسائر العلماء .

ان السيد (مد ظله) يعتقد أن العلماء على اختلاف مذاهبهم العلمية والدينية غير معصومين ، وهذه العقيدة كأنها واحدة من مقدمات الإستنتاج ، فهي تسايرها وتزاملها في كل حين ، ولعلها هي التي جعلته يتسنم سلم الإبداع ويطير على مدارج التفوق والابتكار .

في سَاحَة الجِهَاد (١)

اندلعت نار الحرب العظمى فاستدار خطرها حتى احتوى الكون ، وطاف الرعب في القلوب ، وهبت السلطة العثمانية للدفاع عن البلاد التي تسيطر عليها ، ونشطت كما ينشط المريض المحتضر ، واشتدت كما يشتد لهب السراج عند نضوب زيته ، فأعلنت النفير العام ، وعزمت على أن تزج كل من يستطيع حمل السلاح في ساحة الحرب ، فشملت قسوة الحرب ذوي الأعمار من المعيلين ومن طلاب العلم الديني وغيرهم .

كانت سنة ١٣٣٢هـ وكان ذلك كله ، وكان النفير العام ، فاستدعت السلطة طلاب العلم الديني الى بغداد للتدريب لكي يتمرنوا المران الكافي ويصبحوا بعد ذلك ضباطا في الجيش العثماني .

فأحاط الخطر بالمشمولين كما يحيط السجن بالأبرياء ، وأصبح السيد الحكيم مشمولا للقانون ولم يجد من القانون مخرجا ، ولا من القائمين عليه هوادة !

وهنا راحت والدته تنشد جاراتها وتستعلم عن المشمولين ، ولما تبينت الخبر

---

(١) كان الخروج الى الجهاد سنة ١٣٣٢ هـ في شهر ذي الحجة في عصر يوم الغدير الثامن عشر منه ، خرجوا الى الكوفة ومنها الى الشنافية .

تبدلت أسرةٌ وجهها ، فقد تجهمت لها الحياة مرة أخرى ، فبالأمس البعيد فقدت ربَّ البيت وابتلت بالأيتام ، واليوم دارت رحى الحرب الزبون وصرَّت بأنيابها ، وتريد أن تصطلم فرخها الغالي !

يا لك من نبأ مريع !! يصطدم به قلب الأم الحنون !

عاد الى البيت وعادت أمه والتقت نظرتان ، نظرة الأم وابنها ، تلك تحمل العاطفة الريانة الهامدة وهذه تحمل الشعور بواجب الأم المقدس ، إنه صمم أن يكتم عنها الأنباء الموحشة ، وكان تصميم الأم على ذلك أسبق من تصميمه ، ولكن كلا منهما كان يلمس خواطر الآخر ، ويشترك معه في أحاسيسه ، فقد قرأت الأم في جبين ولدها سطور الكآبة التي اعتادت أن تقرأها في مثل هذه الحالات ، وأما كآبة الأم فكانت أكثر وضوحا وأشد جلاء ، جمعهتا الندوة المتواضعة :

فقالت الأم : بني ماذا علمت ؟ وماذا عملت ؟

أماه لا تفكري .

وكيف لا أفكر ؟!

هل استعلمت الأخبار ؟ بني لعل الله يعمي عنك أبصار الظالمين .

حديث يشبه حديثا تتبادله الأم مع ابنها بين حين وحين ، بقيا على هذا الحالة نحوا من ستة أشهر ، فكان يطوف الأندية ، يتحسس الأخبار ، فيجد أمامه أشباح الأنباء الموحشة واقفة بالمرصاد .

كان يسمع هذه الأنباء الموحشة ويعود للبيت عازما على كتمانها ، فيجد أمه قد استقتها من مواطن أخرى .

كان يعود وقد أنهكه التعب وأجهده الهم ، فيجلس على الأرض وقد أرسل قدميه ، يحاول إبعاد الألم عنهما بإرسالهما ، فتنظر الأم الى ولدها والدموع تطوف في مقلتها ، وربما مدت اليه يدها تتلمسه وكأنها تريد التزود منه ، وتحاول تبريد قلبها

اللاهب ، فتزيده ألما على ألمه ، وهي تقول : بني ..ما ربيتك للظالمين ولا سهرت عليك الليالي للغاشمين ، بني .. انهم يريدون تضييع تعبي !

بني .. كيف أراك بعيدا عني ! وكيف أصبر على فراقك , وكيف يجري عليك ما يجري ولا يكون بمرأى مني ، وكيف أصبر ولا أسمع عنك خبرا ، ولا أعرف لك أثرا .. بني .. بني !!

ولا يجد الفتى طريقا لتخفيف المصيبة المنتظرة الا بتكثير المصيبة الحاضرة ، فيشاطرها آلامها وتشاطره آلامه ، فتتلاقى أحزان وأحزان ودموع ودموع ، ثم ابتهالات وانقطاعات الى الله ، وروحانية تسمو بالضعيف فتحلق به الى مطامع الأقوياء ويعقبها النصر المحتم .

أسباب إعلان الجهاد

دخل الجيش البريطاني حلق (الفاو) - مدخل شط العرب - واستشرى الشر وحمي الوطيس ، وأحدق الخطر ، وزعزع العثمانيون في العراق ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، فاستغاثوا بالنجف الأشرف ، والنجف قلب العراق ، والعراق جؤجؤ البلاد الاسلامية وجمرة العرب ، واستنصروا بزعماء الدين في النجف ، وزعماء الدين فيها هم حماة الإسلام وقطب الرحى ، وقادة الفكر الحافظون للشريعة والقائمون على النواميس الرفيعة ، والذابون عن بيضة الإسلام .

وإذا بشيخ من شيوخ الهاشميين ، فتيٌّ في عزيمته ، متوسط في منصبه الروحاني ، مديد القامة ، أبيض مشرب بحمرة ، ترف الثياب ، يهيب به الواجب فيهب - بعد استقصاء الموازين الشرعية - ويهتف بوجوب الدفاع (١) عن إخوانه المسلمين ولزوم

---

(١) الجهاد عندنا قسمان : غزو : وهو من وظائف سلطان المسلمين الجامع للشرائط . ودفاع : وهو لا يختص به ، وهذا هو الذي حكم به السيد الحبوبي وعلماء النجف رحمهم الله تعالى ، وعلماء الشيعة شديدوا الاحتياط في الدماء ، ثم في الأعراض ثم في الأموال .

حفظ بيضة الإسلام ، ذلك هو السيد محمد سعيد الحبوبي ، الذي لبى نداء الله والواجب ، وهتف بالصفوة البقية والبقية الصالحة ، فاهتز الندي المحتشد ، ورنَّ صداه في الأندية الأخرى ، وتدفقت الموجات الأثيرية من أفواه الى قلوب ، ومن قلوب الى أقلام ، فلباه نظراؤه ومن هم أعلى منه منصبا ، وتبعهم سائر الطبقات .

وما اكتفى الحبوبي بإعلان كلمته الفاصلة ، وبإنشاء الحكم الذي لا يرد (١) بل طفق يتسنم ذروة الأعواد ويستوي على قمم المنابر ، فيستولي على شعور الخاصة ، ويثور الجماهير ، ويتخذ بعد ذلك من القلوب جندا ومن الحق سلاحا ، ومن الإيمان بالله سبحانه درعا !! واذا به مثال تطوف حوله الناس خافضة الأبصار مشرئبة البصائر مؤمنة به كل الإيمان .

ثم توجه السيد الحبوبي الى جبهة الناصرية بصفته أحد علماء النجف المبرزين ليقود الجبهة ، وطلب السيد الحكيم من السلطة ، فسمحت له به - وصحبه بصفته كاتبا يركن اليه وأمينا يعتمد عليه - فكانت أمور السيد الحبوبي كلها بيده ، فهو المستشار وهو المنفذ وهو الذي يدوِّن الرسائل .

---

(١) الفرق بين الحكم والفتيا : أن الفتيا هي بيان الحكم الكلي ، وأما تشخيص موارده الجزئية فهي لا تختص بالمجتهد ، وأما الحكم : فهو إنشاء حكم جزئي في واقعة جزئية ، وهو ثابت في مورد الخصومة بالضرورة ، وثابت في الهلال وفي باب الجهاد ، والفتيا حجة في حق المجتهد نفسه ، وفي حق من يقلده ، ولا يجب على المجتهد الآخر متابعته ، بل ربما يحرم ، كما اذا كان يرى أن ما أفتى به غيره غير مشروع مثلا ، وبعبارة أوضح : دليل التقليد لا يشمل العالم ، ومقتضى الأصل عدم مشروعيته في حقه لعدم حجيته .

وأما الحكم : فانه ينفذ على كل أحد مجتهدا كان أو محتاطا او مقلدا ، مقلدا لمن حكم أو لغيره من المجتهدين ، هذا كله اذا كان الحاكم جامعا للشرائط المعتبرة في الحاكم من الإجتهاد والعدالة وغيرهما .

إن اعتماد السيد الحبوبي عليه وانتصاره في أفكاره وأرآئه ، ونزاهته الصريحة وحسبه الكريم ، كانت كلها شواهد على سموه وكفاءته ، وكان الحبوبي قد عرفه كذلك من قبل ، فاستصفاه واعتمد عليه ، وعرفه الناس كذلك بعد ذلك اليوم ، فآمنوا به وركنوا اليه وتحدثوا به ، ولم تزل الأفواه تتناقلها كلما مرَّ حديث الجهاد وحديث حركة الحبوبي !

قيل له مرة : لو اشتريت جوادا لتستعمله وقت الحاجة ؟

وكان المال الذي تبذله السلطة أو يتبرع به المتبرعون أو يقَدَّم للحبوبي باسم الحقوق ، لا يكاد يصرف الا بنظره أو اطلاعه ، فنفقات المجاهدين ورحلات الزعماء وتسليح العزل ، والنفقات السرية والعلنية ، تكاد تكون كلها بيده ، وتحت تصرفه ، وكان غرض هذا الناصح الاحتفاظ بشيء من المال للسيد بهذا الأسلوب لينتفع به السيد في وقت آخر ، ورأى أنه لا يقنعه الا بهذا الأسلوب .

فقال السيد الحكيم : (**ما أصنع بالجواد ؟ وهذه خيول المجاهدين من الزعماء وغيرهم كلها تحت تصرفي**) .

ثم كشف للناصح عن نيته وأفهمه أنه قد عرف مقصوده .

فقال : (**لو كنت أملك شيئا من المال لأنفقته على المجاهدين ، لأن الواجب الديني يقضي بذلك في مثل هذا اليوم**) .

ونازع أستاذه الحبوبي في مسألة وتصلّب في الجدل ، فقيل للحبوبي في ذلك فقال : (انه أعلم مني ولكني لو قلت ذلك للناس لم يقبلوه مني لصغر سنه) .

ولما وقعت الهزيمة وفرَّ المجاهدون واختل النظام وسادت الفوضى ، ثبت السيدان الحبوبي والحكيم وثلة من الأبرار المساميح بالنفوس في اليوم العصيب ، ولم يكن همُّ الثابتين معهما الا أن يهيبوا بالسيدين ليتحركا من مركزهما ، ولكنهم حاولوا عبثا ، وكانت القنابل تتطاير في الفضاء وتثير الرمول حول المضارب ، وهما لا يريان الفرار

- والحال هذه - إلا فراراً من الزحف (١) .

وأخيراً استقر الرأي على أن يذهب السيد الحكيم الى القائد العثماني ليستوضح الموقف ، فأراد فرساً ، فلم يسمح لـه أحد الحاضرين بجواده لعظم الخطب وتبلبل الأفكار - وكان كل واحد من المجاهدين بين ممتطٍ صهوة جواده مستعد للفرار ، وبين آخذ بشكيمته منتظرا أمر السيد بفراق الجبهة - فترجل الشيخ رحوم الظالمي عن فرسه وقدمها للسيد ، فتعجب منه بعض الحاضرين وعاتبه على ذلك ، لأن السخاء بالجواد في مثل تلك الساعة سخاء بالنفس ، فقال :(**لا أبالي اذا سلم هذا السيد وهلكت ، لأن وجوده أنفع من وجودي ، وسيأتي يوم يقود فيه العراق**) .

وكانت هذه النبوءة نبوءة مقدسة ، لا تستكثر على عربي صميم ، فالعربي يقرأ في ملامح الصور جمل المستقبل الغامض ، ولا تستكثر على مؤمن برّ ، فإن المؤمن ينظر بعين الله .

فامتطى الحكيم صهوة الجواد وتخطى بين الجثث المبعثرة والأشلاء المحطمة الموزعة ، والمطاعين المتململين ، وتحت دمدمة المدافع وأزيز البنادق ، حتى انتهى الى مضرب القائد ، فوجد حوله جملة مضارب مبعثرة هنا وهناك ، ووجد الحجّاب على مراتبهم ، وقد أحاطت مضاربهم بمضرب القائد شبه الهلال الذي يهم طرفاه بالتلاقي، فوجده على أتم حال وأكمل اتزان يكتب ويدون ، ويضع الخطط .

فقال القائد : ما فعل المجاهدون ؟!

فقال السيد الحكيم : تفرقوا لانه شاع بينهم أنه قد قتل القائد وقتل جميع الضباط حتى لم يبق من يقود اثنين !

---

(١) الفرار من الزحف : هو الفرار من ساحة الجهاد ، وهو من المحرمات الكبائر ، وقد نهى الله تعالى عنه في كتابه العزيز .

فأخرج له القائد ما عنده من المعلومات ، فاذا بالإشاعات لا تقوم على أساس ، وانما هي غلطة أو خديعة ، أدَّت الى الهزيمة .

قال لي السيد مرة : (**ما عرفت الخوف الا مرة**) وذكر قصة ذهابه للقائد .

بقي الحكيم في صحبة أستاذه حتى آخر ساعة من حياته ، فقد حُمَّ الحبوبي في الناصرية على أثر الإنفعال النفسي الذي ألم به عندما ظهرت امارات انتصار الجيوش البريطانية ، وأودى بحياته ، وقد كان خاتمه بيد السيد الحكيم ، لأنه هو الذي يتولى التوقيعات والأوامر ، فلما لفظ الحبوبي نفسه الأخير ، نهض السيد الحكيم الى السراة والزعماء وعزّاهم بالفقيد الغالي ، ثم أخرج خاتمه وأراهم اياه وعرضه عليهم ، ثم دقه في هاون من حديد بمطرقة من حديد وكسره ثم رماه في مكان سحيق .

إن هذا الصنيع في الخاتم الأثري الثمين رمز الأمانة ، وإنه يدل على ترقب الحوادث والنظر الى المستقبل ، فإنه صنع ذلك مخافة استعمال الخاتم بعد وفاة السيد الحبوبي ، فإن الورقة المختومة به ، تشبه مرسوما من قائد ، أو حوالة من مصرف .

ربما يستعرض السيد الحكيم نعم الله عليه ، ويرددها في مقام الشكر ، أو يستشهد بها أمام خاصته ، فتكون قصة حافلة بالعظات .

قال لي أكثر من مرة : (**كنت وأنا في النجف أخشى من ضابط التجنيد ، وبعد هذا أصبح القائد العثماني الذي هو أعلى منه بمراتب لا يتمكن من الدخول عليّ الا مستأذنا**) .

وقال : (**أرسل الي قائد الجبهة مرة يترجى أن أذكره بخير عند اجتماعي بالقائد الأعلى فلان ، الذي جاء يتفقد الجبهة**) .

وقال لي : (**ركبت الجواد مرة فأخذ بالركاب عدد من سراة الزعماء الحاضرين ، فلم يوجب ذلك في نفسي الا خوف الله وخشيته ، حتى أني بعد مفارقتهم ربما دمعت عيناي ، لأني لا أرى نفسي تستحق أقل قليل من هذا عند الله**

وعند الناس) .

هذه سيرة كان يقصها بإسهاب في مقام الشكر تارة ، وفي مقام إقناع خاصته أخرى ، ينهاهم عن الإغترار بالدنيا ، وعن الإعتزاز بغير الله ، وربما أعادها ليعرفهم عواقب الصبر ، والإلتجاء لله سبحانه ، ويريهم نتيجة التواضع والتصاغر في جنب الله سبحانه ، ويلمسهم آثار التضحية والإخلاص ، ويعرفه أنه يجب على الإنسان أن يراقب الله سبحانه في أوقات النعم مخافة أن تكون استدراجاً واختباراً .

ما أشبه هذه السيرة بسيرة الأنبياء !

ففي قصص ابراهيم(ع) : أنه عندما أعلمه الله سبحانه أنه متخذ في الأرض خليلاً.. سأل الله سبحانه أن يعرفه به .

فأوحى اليه : وما تريد بذلك ؟

فقال الخليل ابراهيم : أريد أن أخدمه بقية عمري !

وفي حديث علي أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) : انه كان في أول أمره كانما يسمع قائلا يقول له (يارسول الله) فكان يخشع ويتطامن استصغاراً لنفسه وتعظيما لشأن الرسالة وإكباراًلله جلّ وعلا .

وفي حديث فتح مكة : ان رسول الله (ص) دخلها مطأطئا رأسه واضعاً عثنونه على قربوس الناقة ، وانه لما انتهى الى البيت الحرام ، أخذ بعضادتي الباب قائلا : لا إله الا الله وحده وحده أنجز وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

خُطُوط الرِحْلَة الى الجِهَاد

كان المسير الى الجهاد عصر يوم الغدير ١٨ ذي الحجة سنة١٣٣٢ هـ ألف وثلاثماية واثنتين وثلاثين هجرية ، من (**النجف الأشرف**) الى (**الكوفة**) ثم الى (**الشنافية**) ، فأقاموا فيها أياماً لتحريض الناس على الجهاد ، وخرج معهم جمع كبير

منها برئاسة السيد هادي مكوطر ، ثم توجهوا الى (**السماوة**)وحرضوا أهلها على الجهاد ، فخرج معهم خلق كثير منها ، ثم الى (**الناصرية**) وهناك اجتمعت العشائر : عشائر (**الغراف**) وعشائر (**المجرة ، قاطبة**) وأهالي الناصرية وأهالي (**سوق الشيوخ**) ، ثم ساروا الى مركز الجبهة (**الشعيبة**) .

وفي أول الحركة كان القائد العام (**جاويد باشا**) ولما وصلوا الى الناصرية استبدلوه بـ(**نوري الدين باشا**) وقبل حرب الشعيبة بقليل استبدلوه بـ(**عسكري بك**) فخرج في حرب (**القرنة**) وجيء به مجروحا الى الشعيبة ، محمولا على الخشب .

كَيف يُفكِرو كيفَ يَرتَأي

يبتكر السيد الحكيم الرأي في ساعة الحاجة ، ويجيده الى حد بعيد ، ويتجدد معه منه ما لم يكن تنبه له ساعة إعداده ، أو ساعة استعداده لتقديمه ، فكأنه يخلق للظرف ما يريده ، وقلما هيأ الرأي كله قبل الأوان ، واذا هيأه قبل أوانه ، فكثيرا ما يعدل عنه وقت الإشتوار أو ساعة الإيجاب .

ومن أجل ذلك كله ، تجد فكره ينبوعا يتدفق ويتجدد تبعا للحاجة ، ولا يحيد عن المرمى ، ولا يخطيء الهدف ولا يعتمد الخطط المرسومة التي ترمز الى كيفية الإتجاه في الغد .

إنه يفكر ويُعِدّ الخطة ، ولكنه لا يرى نهاية التفكير ، وهذا معنى قولنا إنه لايعتمد على الخطط التي رسمها لنفسه ، أو رسمها ذوو الرأي والفكر ، المعتمدين في تجاربهم الكثيرة ودراساتهم الواسعة وأقيستهم المُحكمة .

إنه لايعتمدعليها ، على أساس الإيمان بالله سبحانه والوثوق به ، وانه سيهيء له من أمره رشدا ، وسيوفقه لدواء الداء ، ولأنه لا ينفعه التدبير ، ولا يجديه الإجهاد في التفكير اذا لم تساعده القوة الالهية ، ثم تكون تجاربه الكثيرة برهانه على رسوخ هذا

الإيمان وتوطيد هذه العقيدة ، وكثيرا ما يستشهد بأحوال السلف الصالح ، مدللاً بذلك على نجاح المخلصين لله سبحانه ، المتكلين عليه ، المنقطعين اليه ، وشعاره الوحيد : **الإخلاص لله ، وإعلاء كلمة الحق ، وتعزيز الدين وترويجه ، ووجوب العمل ، لأن الله أمر بالعمل** ، ولكن الخطة التي توصله الى هذه الأهداف ليست مدبرة تدبيراً نهائيا .. بل يبقيها على بساط الدرس ، خاضعة للتأمل ، ويتركها الى وقتها لتكون وليدة الحاجة ، وبنت وقتها ، إيمانا بتسديد الله سبحانه ، وطمعا بملاءمة النظرية للظرف .

وهذا عندي منتهى السموّ في التفكير .

كثير من المفكرين يفكرون في المثل العليا ، ثم يهيئون النظريات الصالحة ، ولكنها تكون معكوسة عليهم وعلى المجتمع ، وذلك لأن أصحابها يطبقونها في محيط لم تخلق له ، ولم يخلق لها .

فمثلهم مثل الطبيب الذي يقدم لمريضه أفضل ما عنده من الأغذية ، وتكون معدته لا تقوى على هضمه ، فهو يفسد منه أكثر مما يصلح، وربما أودى بحياته .

فكأن هؤلاء خلقوا ليفكروا ولم يخلقوا ليعملوا .

ومن أجل هذا ، نجد أكثر قادة الفكر في إخفاق مستمر .

أما السيد الحكيم (دام ظله) فهو اذا احتشدت الندوة المتواضعة بالمفكرين ، وتهيئوا للاشتوار - وهم عددٌ نزرٌ حين اجتماعهم دون العشرة وهم يتبادلون حسب المناسبة التي يطلب فيها الرأي - اذا كان ذلك أصغى لما يقولون ، وقلما يبدي رأيه جازما ، ولكنه يجمل الرأي ويؤملهم الى وقت آخر ، واذا تكلم كان آخرهم كلاما وأقلهم خصاما .

أما اذا أراد حل المشكلة ، وتهوين المعضلة والمجاهرة بكلمته الأخيرة ، فإنه يشرع في سرد نظرياتهم وتعدادها واحدة واحدة ، أو التنويه بمحاسنها وما يترتب

عليها من الفوائد - التي ذكروها أو غفلوا عنها - حتى يخيل الى السامعين أنه يؤمن بها ويعتقد فيها ، ولا يتخطاها الى غيرها .

بعد هذه يكرّ عليها بأسلوب هادئ وبيان متزن متواضع ولغة معتادة مفعمة بالتصوير والتمثيل ، واذا هم يرون ما ذكروه هباء منثورا لا يستطيعون الركون اليه ، ولا تثوب نفوسهم للاعتماد عليه ، ولا يرضون نسبته لهم .

ثم يبين رأيه بأسلوب خاص ، فيجعله احتمالا أو وجها ، كأنه فكرة عابرة ، معروضة للدرس والملاحظة ، ثم يشرع في تشييده وتأييده وتقويته ، فيجد السامع نفسه مسوقا للايمان به والعمل عليه .

وليس هذا نتيجة (تأثير الشخصية) أو (الإرادة الفعالة) أو الأمور الأخرى التي تجعل الفرد يهيمن على المجموع ويسيطر على الأكثرية ، فالسيد كان هكذا قبل أن يصير رئيسا ، ولا يزال كما كان .

وقد يكون في الحاضرين من لا يشك في شخصية نفسه ولا يخضع لنظام المحاكاة ولا يستسلم الا للبرهان ، وليكن ما كان ، فانه في نفس المجلس يؤمن بآراء السيد ، ويتكهرب من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب .

واذ عدل عن رأي السيد في وقت آخر و لم يؤمن به ، فانه يعتقد أن ايمانه في أول الأمر كان على أساس النضوج في الرأي والروعة في أسلوب التفكير ، ويؤمن بأن هذا الإنسان يعرف ما يعرفون ، ولكن يُحلق عنهم بعيدا .

وأما السيد فانه يرى ذلك تيسيرا من الله سبحانه وتسييراً ، فانه يقول : **(القلب واللسان ملك لله سبحانه يتصرف فيهما كيف يشاء ، فكيف أعد الرأي وأهيء النظرية قبل الميعاد ، وربما يختار ا لله لي غير ذلك)** .

يقول ذلك عندما يبلغه أنه سيواجه بعض المشاكل العامة ، وبعدما يندفع بفطرته الى إجالة الفكر واستخراج ما يستهدفه الثقاة الذين يعتقد بهم اللياقة واللباقة

- وربما اشتد الجدل بينهم ، وربما ساهم معهم في الحديث - فاذا رأى ذلك كله ، قال كلمته الأخيرة:(**القلب واللسان ملك لله سبحانه يتصرف فيهما كيف يشاء**) ثم يعقب ذلك بالدعاء بالتوفيق والتسديد لما يرضي الله سبحانه وتعالى .

من أجل هذا يستقبل الأمر وهو فانٍ في الله ، ثم يساهم في الحديث أو يستقل به ، وكأنه آلة تحركها يد الله ، فيكون منه في ساعة الإيجاب شيء لم يمر بخلد من شاركه في الاهتمام بالقضية ، و لم يحلم به في ساعة التفكير.

ولعل السر في انقياد المشتورين اليه ، هو اصطدام الفكر بالأمر الواقع بعد سباته وغفلته عنه ، فان ذلك هو الذي يسوقهم للايمان فالإنقياد فالاتباع ، لانهم يشرفون على صور رائعة تجذبهم اليها بدون اختيار .

واذا احتاج السيد (مدظله) للحديث عما كان منه ، حدَّث به بدون زيادة ، وهذا شيء قلما يتيسر للمفكرين .

بل المعروف منهم أنهم على العكس من ذلك ، ومن راقبهم وجد مواقفهم النبيلة عندما يتحدثون عنها تكبر مع الزمن ، وتتجدد مع التاريخ ، وتحمل كل يوم لونا جديدا من الإضافات والتعليقات ، و لم ينتج ذلك الا عن الشعور بنقص الموقف ، أو الشعور بالحاجة الى تلوينه بلون الظرف ، فيضطرون للتلافي بالتغيير والتبديل .

مُؤَلَّفَاتُه

أشرنا لجملة منها في غضون أحاديثا السابقة من دون استقصاء ، لذلك نعود لنتحدث عنها مرة أخرى ، وهي :

١- المستمسك : وهو شرح على العروة الوثقى، وقد طبع مرتين ، يقع في اثني عشر مجلداً .

٢- نهج الفقاهة : وهو تعليق على المكاسب للشيخ الأنصاري (ره)وقد طبع

منه بمجلد واحد ، يبتدئ من تعريف البيع وينتهي بخيار المجلس ، والظاهر أنه بقي مقدار منه لم يرخص السيد بطبعه .

٣- حقائق الأصول : تعليقة على (الكفاية) ، طبع مع الكفاية في مجلدين .

٤- دليل الناسك : وهو تعليقة على منسك الشيخ الأنصاري (ره) المتضمن لأحكام الحج ، وقد طبع في مجلد واحد .

٥- تعليقة على ملحقات العروة ، مخطوط .

٦- تعليقة على مهمات التبصرة ، مخطوط .

٧- منهاج الصالحين : رسالة عملية في جزئين ، طبع طبعات كثيرة .

٨- منهاج الناسكين : أعمال الحج ، مطبوع .

٩- رسائل عملية متعددة مستقاة من فتاواه بين مختصر وبين مُحَوّل الى سؤال وجواب في العربية والفارسية وغيرهما ، ألفها أهل المعرفة تحت رقابته .

١٠- رسالة في شرح الإستثناء .

١١- تعليقة على العروة ، فتوى فقط .

١٢- تعليقة على وسيلة النائيني(ره) .

١٣- تعليقة على وسيلة السيد ابو الحسن (ره).

١٤- تعليقة على تقريرات الخوانساري .

١٥- تقريرات درس الأغا ضياء في الأصول اللفظية والعملية .

هذه هي المؤلفات التي نعرفها وقد يكون عنده غيرها ، و لم نتوفق لسؤاله عن ذلك .

وفي مؤلفات السيد الحكيم ظاهرة تستلفت أنظار المتخصصين ، وهي بحث كامل وعبارة موجزة واستقصاء للمطالب العالية ، وتنبه رشيق وتحقيق وتدقيق ، وربما تتكرر بعض المسائل او المطالب بدون تناقض ، نعم تختلف كيفية التحرير ، ويختلف

مقدار التحقيق .

إننا اذا نظرنا الى المؤلفات المشهورة في علم الفقه ، نجد في كل منها لونا تمتاز فيه ، فان بعض المؤلفين يجيد الإستقراء وجمع المطالب وتفهم عبارات العلماء كصاحب الجواهر ، وهو ايضا يجيد الخروج من المسألة أكثر مما يجيد الدخول فيها ، فانه يعطي النتائج صافية بعدما يعكر جوها عند تحريرها ، وليس له تحقيقات تستلفت أنظار أهل النظر على وجه يصح نسبتها اليه ، وعبارة الجواهر للايجاز أقرب منا للاسهاب ، لولاما فيها من المكررات ومن نقل كلمات العلماء والاهتمام في الجمع بينها وتقريب بعضها من بعض .

وصاحب الحدائق مثلا يحسن الاستقراء ويجيد تحرير محل النزاع ، ولكنه لا يجيد إعطاء النتيجة ، مع إسهاب مخل ، فهو يحسن الدخول ولا يحسن الخروج .

وصاحب المدارك مثلا يجيد تحرير محل النزاع وإعطاء النتيجة بعبارة موجزة واضحة ، ولكنه ليس له تدقيقات الشهيد والمحقق الثاني وأضرابهم .

ومع هذا كله فالمؤلفون قد يجيدون في مبحث قد يجيدون في مبحث الى حد بعيد ، وقد يخفقون في مبحث آخر الى حد بعيد ، من حيث التصوير والتعبير والإحاطة ، وحتى من حيث إرجاع الفروع الى أصولها .

ولعل السبب في ذلك أن المؤلف قد يهتم في مسألة من المسائل إما لأنها محل حاجته عملا ، وإما لأنه يعتقد إعضالها ، فيعطيها جانبا من وقته ، فتجيء آية وقد يستسهلها فلا يكون لها أي تميّز ، كما أن أكثر الفقهاء أجادوا في العبادات أكثر من المعاملات للأسباب الآنفة .

قال لي الشيخ الوالد أعلى الله مقامه عندما كان مشغولا في كتابه مصابيح الفقيه : (إن المعاملات في الفقه لا تزال ناقصة كثيرا ، وذلك لأن الفقهاء (أعلى الله مقامهم) يفنون زهرة شبابهم في العبادات ، فاذا وصلوا الى المعاملات تكون قواهم قد

خارت ، وجلَدَهم قد قلّ ، فيحول الضعف بينهم وبين القيام بواجبها ، ولذا لم يحيطوا بجهاتها كما أحاطوا بشؤون العبادات ، فالمعاملات لا تزال مظلومة)!

أما تآليف الحكيم ، فانه يكثر فيها حسن المدخل وحسن المخرج ، وتمتاز بالاحاطة والتثبت في النقل ، وتشتمل على نظريات عالية مبتكرة .

ولا يهمه نسبتها اليه ، بل يهمه الانتفاع بها ، فقد تمنى مرة أن ينتحلها المنتحلون ، ويبثوها بين أهل العلم لينتفعوا بها ، بينما كان بعضهم يوصينا بكتمان تحقيقاته وتنبهاته ، ويبشرنا بأنها هي التي سنحلق بها في مستقبلنا العلمي ، ولكنه(ره) ختم له بالجنون .

رَأيُـهُ في التَدْرِيس

كان اذا فرغ من الدرس يبدو عليه التعب الشديد ، فسألته مرة عن ذلك ، فقال : (**أهتم في إفهام جميع الحاضرين في الدرس ، فاذا رأيت واحدا منهم لم يفهمه فضلا عن اثنين أظل متأثراً**) فهوّنت عليه ، فقال :(**التدريس طريق لا غاية**) .

هذا بينما كان أحد أساتذتنا يقول : (طلبت من الله تلميذين يشغلاني) ! وكان آخر يقول :(يهمني أن يكون في تلامذتي واحد يفهم الدرس) فكأنه كسابقه يريد التلميذ لينتفع بتدريسه إياه ، لا لينفعه ، فكأنهما يريدان تكميل نقصهما بالطلاب، وأين هذا ممن يعتقد بنفسه الكمال العلمي ثم يريد أن يفيض على غيره ، أين من يعطي ممن يأخذ .

تجاوبه مَع المُجتمَع وإنسانيَّته

القلوب سلعة ، قيمتها المودّة ، وكثيراً ما يبالغ الفنان في تلوين العاطفة المصطنعة راجياً أن يربح قلبا أو بعض قلب ، إلا أنها ألوان باهتة ، ليس لها من الإيحاء ما يهز القلوب ، ولا ما يهيب بالشعور والإحساس الى الولاء المقرون بالتضحية ، لأنها أشبه شيء بالسحر ، والقلوب أرفع من أن تؤمن به أو تخضع له .

واذا تعرفت الى السيد الحكيم ، لمست منه هدوءا واتزانا يحببه اليك ، ثم تلمس فيه الخير بأجمعه للناس بأجمعهم ، ثم لا تزال تؤمن بما ترى ، حتى تجده أحب مخلوق اليك ، وتجدك أحب مخلوق اليه .

واذا كنت حازما متحفظا ، رأيت نفسك في عدد نزر ممن يشارك في هذه المكانة ، ولقد كان هذه الصفة للرسول الأعظم محمد(ص) ثم للأوصياء البررة (ع) فإنهم كانوا يحتلون المراكز السامية في قلوب أصحابهم وشيعتهم وعارفيهم ، وربما يصح تعليل هذه الجاذبية العظيمة بالخير المحض الذي جبل عليه الإنسان الكريم ، ففي الحديث (اذا أحب الله عبدا حبب الناس به) ، وفي مذهب أهل الأخلاق والعرفان : (أن هذه الظاهرة هي المعجزة الوحيدة التي استؤثر بها سفراء الله سبحانه ، وأنها هي معجزة الخواص ، وأن ما عداها من المعجزات مثل شق القمر وسعي الشجر ونطق الحجر ، هو معجزة العوام الذين لا يؤمنون الا بالمحسوس ، لتحجر عقولهم وظلمة نفوسهم)، وأهل العرفان لا يرون بعد المعجزة الروحية الآنفة حاجة للمعاجز الأخرى مهما كان فيها من خرق العادة ، لأنها اذا تعدت عن طور الممكن امتنعت ، واذا كانت منه احتاجت الى أمر آخر ، ولذا قال المتكلمون : (لابد من تتميمها بأمر آخر وهو أنه يجب على الله سبحانه من باب اللطف المنع من جريانها على أيدي السحرة والمنافقين لئلا يلزم الإغراء باتباع الجاهل والتباس الحق بالباطل)، وعلى هذا الأساس الآنف ، أصبح السيد الحكيم يتمتع بثروة من القلوب تطفح بالإخلاص له وتحوطه بالعناية في كل حين ، وهذه الثروة تقوم على أساس الخير المحض ، لا على أمر آخر ، وهناك طبقة من الناس لا يقلون في ولائهم له عن غيرهم ، إلا أنهم انما آمنوا به ووثقوا فيه على أساس النفع الخاص ، وذلك أنهم ربما يستقضونه الحاجة فيقضيها ، وربما يعتذر فيصيب باعتذاره ما في نفوسهم ، وربما بذل لهم النصح والمساعدة من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون ، وربما ذاكرهم في أمر من الأمور فخيل اليهم أنه

يؤثرهم بالإئتمان والإستشارة ، ويوليهم الثقة ويعطيهم من نفسه المقادة ، وربما استقبلهم بالبشر أو أعارهم أذنه ، أو أعطاهم نحوا آخر من أنحاء العناية ، فتطغى في نفوسهم الآمال والأماني وتقودهم المطامع الى الولاء بجميع معانيه .

والناس عبيد الإحسان مهما كان لونه ومصدره ، وكان آية الله السيد ابو الحسن في أوآخر أيامه يتمتع بهذه الثروة نفسها ، وربما كانت ثروة السيد الحكيم التي هي من هذا اللون تزداد يوما فيوما .

وكان يمتاز السلف المقدس (ره) بأنه كان يستهوي النفوس بنظراته الطافحة بالبشر والعظمة ، ويحل الناس في مراتبهم ، وبأنه كان موفقا في كل حركة يتحركها ، فكانت أفعاله وأقواله تنال رضا الأكثرية من سائر الطبقات ، وكان الناس يعتقدون بأن الشيء الذي يهتدي له لا يهتدي اليه غيره ، ويمتاز السيد الحكيم بأنه يوحي الخير العظيم الى القلوب الخيِّرة ، ويبثه تحت ظلال الهدوء والسكينة والهيبة والخشوع ، وفي الوقت نفسه تجد شطرا وافرا من الخاصة يعتقدون فيه أنه الروحاني الرباني وأنه وحيد هذا العصر قدساً وإخلاصاً لله تعالى .

وبعد .. فإن أوائل الأمور بين السيدين متشابهة والخواتيم بيد الله سبحانه ، ومن أجل ذلك لا نعرف مدى بقاء هذه الثروة التي يمتاز بها آية الله الحكيم عن السلف الصالح السيد ابو الحسن ، رحم الله الماضي وحفظ الباقي(١)

حَاشِيَة الرَئِيس وخَاصَّته

تحت هذا العنوان نتحدث عن حياة الرئيس مع حاشيته ، وعن حياة الحاشية مع رئيسها .

---

(١) أكثر ما حرِّر من سيرة السيد الحكيم ، حرر في سنة ١٣٧١هـ .

لا نعرف واحدا ولا آحادا يأتمنهم الرئيس على كل شأن من الشؤون ليصح أن نسميهم خاصة ، أو مستشارين أو ما يشبه ذلك ، نعم على أساس ما يجده الناس من خير الرئيس يكثر تقربهم اليه ، وترددهم عليه ويود كل واحد من هؤلاء الإنتساب له والالتصاق به ، لأن هذه الإضافة تعود عليهم بكثير من الخير في كثير من الظروف !

ومن أجل ذلك تجد جملة من الناس يعدون أنفسهم مقربين عنده ، ويرون أنهم موضع الثقة لديه ، والبسطاء منهم لا يشكون في ذلك ، كما أنه البسطاء من الناس لا يشكون في أن أقرب الناس اليه أكثرهم ترددا عليه .

والحقيقة أن الرئيس محتاج الى الناس بقدر حاجة الناس اليه ولا تختلف الحاجة الا في شكلها ، لذلك فهو يتقرب الى الناس ويوادُّهم ويصانعهم بقدر ما يتسع لذلك دينه ووقته .

إن الرئيس يرتبط بأقطار مختلفة وبلاد متباعدة وطبقات متفاوتة وأهل لغات متباينة وطباع متضاربة ، فإن الشيعة في أقطار الدنيا يرجعون اليه في أمورهم الدينية ، وربما رجعوا اليه في أمورهم الزمنية ، وبعدما يجتمع هواهم كلهم عليه يظنه كل واحد منهم مثلا أعلى خلقه الله على وفق رغبة المجموع !

والرئيس يعرف نفسه أنه إنسان ويعرف أنه يحتاج الى الناس كما يحتاج الناس اليه ، ويعرف أنه بشر يخطئ ويصيب وأنه بحاجة الى من يسدده ويرشده .

من أجل ذلك كله كانت الرئاسة بمجموعها تشبه دولة ، وكان الرئيس يشبه السلطان ، وكانت الحاشية بمنزلة مجلس برلماني ينعقد في ظروف استثنائية ويكون الحق فيه لمن حضر ، ويكون الخيار بعد ذلك للرئيس ، والحاشية من جهة أخرى بمنزلة وزراء ، يقوم كل منهم بمهمته ، ويعمل ما يراد منه .

ومن أجل ذلك أيضا كانت أعمال الرئيس كثيرة لا يتسع لها وقته ولا يقوى على النهوض بأعبائها جسمه ، فهو مضطر لاتخاذ أعوان يوزع جملة أعماله عليهم ،

وذلك بنحو المعاونة لا الوظيفة ، وبنحو التبرع والقيام بالواجب المقدس لا على حساب راتب أو جراية أو عوض .

فالرئيس يختار لكل عمل واحدا أو آحادا ، ربما يكلفهم به مجتمعين او على انفراد ، ويختار من كل قطر أو بلد واحدا أو أكثر يأتمنهم في مقام التعرف على بلادهم ، ويستشيرهم فيما يتعلق بها ، ويكون له رأيه بعد ذلك ، ولا سيما في الأمور المهمة .

ثم هو والناصحون من حاشيته لا يزالون يفحصون ويتبينون الحال في جميع الفرص المناسبة حتى كأن كل واحد منهم له حق الرقابة على الآخرين ، والمتنبهون منهم يشعرون بذلك كله ، فيكون لهم من إيمانهم با لله وثقتهم بالرئيس وبإخوانهم ، حاجزا عن الخيانة والكذب والخداع .

والرئيس لا يقربهم ولا يقترب منهم الا بعد تميزهم في مواهبهم ، وهم من أجل هذا التميز لا يطيعون إطاعة عمياء ، ولا يعطون من أنفسهم المقادة ، ولذا يخالفون فيما لا بد لهم من مخالفته فيه ، وكثيرا ما يؤثرون الابتعاد عن أعماله ، لانه يكلفهم بها وإن خالفت آراءهم وبعدت عما يعتقدون ، والرئيس يحاول اقناعهم جهده ، وقد لا يقتنعون ، ولكن ذلك لا يوجب صغرهم في عينه ، وان صغروا في عين من هو دونه..وهم في الوقت نفسه يحملونه علىاصح المحامل ، كما يحملهم هو عليها ، فكل منهم يرى انه يقوم بعمل يعتقد رجحانه ، فالسلبي على سلبيته ، والايجابي علىايجابيته.

! نعم .. الاعمال الايجابية قد تقف اذا كان الرئيس سلبيا ، وبهذا تنحل المشكلة التي تتراءى من خلال هذه السطور ، ولذا قلما يقع الاصطدام العملي !!

ان الرئيس يعمل لأنه يرى ما يعمله حقا ، وهم ينسحبون لأنهم يرون انسحابهم حقا .

فاذا رأوا ايجابية الرئيس لا بد منها آثروا الانسحاب والاعتزال .

وهم في الوقت نفسه يحافظون على الرئيس ويسددون خطاه وينصحون له جهدهم .

وعلى اساس جميع ما اسلفناه لا يستطيع الرئيس ان يوليهم كثيرا من الصلاحيات ، ويجد نفسه مضطرا الى اخفاء كثير من الامور عنهم ، لأنهم اذا اطلعوا عليها انشقوا على انفسهم او عليه !!

فالرئيس يجد نفسه مضطرا بدافع حفظ الشؤون العامة الى اخفاء كثير من الامور الادارية عنهم لأن اطلاعهم عليها – في عقيدته – يوجب القلق والانشقاق ، وذلك يؤدي الى وقوف جملة من الاعمال الهامة ، فان اتفاقهم من البعيد والتنفيذ لابد منه في نظره ، لأن الرئيس قد يحيط بشؤون لا يحيطون بها ، فان العامة والخاصة تأتمنه دون حاشيته ، ودون سائر الناس ، فيرى انهم لا بصيرة لهم تنفذ الى اعماق الواقع ، ولا صبر لهم على ما لا يعرفون ، ويرى انه لا يقدر ان يحيطهم بما ائتمن عليه ، وان العمل راجح والتنفيذ لا بد منه .

هذا كله بالنسبة الى ادارة الشؤون العامة من العزل والنصب ، والتقريب والتبعيد ، والرفع والوضع ...

اما الفتيا فهي له دونهم ، وهو ومقلدوه يعملون عليها ...

واما هم فانهم اذا كانوا من اهل الاجتهاد عمل كل بما يراه من دون قيد او اعتراض ، ولا يناقش الا في مبناه كما يناقش النظير نظيره في مأخذ المسألة واصلها ومدركها .

وعلى اساس ما اسلفناه تكون جل الواردات سرية لا يطلع عليها الا الرئيس وبعض الخاصة ، وقد يكون ذلك بايعاز من ذويها مضافا الى ان الاظهار قد يؤدي الى عدة مشاكل تكون مشكلة الكتمان اقل منها ضررا وخطرا .

وكثيرا ما يطلع افراد الحاشية على جملة من الشؤون المختصة ببلادهم واقطارهم

سواء في ذلك الوارد او الصادر او غيرهما وقد تؤدي المصلحة الى اخفاء ذلك كله عنهم .

ومما يلفت النظر ان الاشخاص الذين يحيطون بالرئيس لا يشكون في حسن قصده واخلاصه في نيته ، ولا يتهمونه بالحرص ولا التفريط ، وهم من اجل ذلك .. يقدسون اعماله وآراءه وان لم توافق معتقدهم .

نعم لا يعتقدون ان كل ما يعتقده حق وصواب ، لأنهم لا يعتقدون عصمته ، فان العصمة في الانبياء واوصيائهم (ع) لا تتخطاهم الى من سواهم من عالم او غيره مهما بلغ من الزهد والورع ، ولست في هذا الحديث اعبر عن نفسية شخص واحد ، فانا طالما سمعنا ممن يحيط برؤساء الدين او يتصلوا بهم ما يدعم هذه المقالة ، ويثبت اركانها ويشد بنيانها ولا نظن بهم - على تفوات مراتبهم في السن والفضل وتباين اذواقهم في السلوك - انهم يصرون على الغلط ، فانهم اتقى من ذلك وابر .

انني طالما سمعت ممن كان يحيط بالمرحوم النائيني ، والسيد ابو الحسن والشيخ محمد رضا ياسين وممن يحيط بالمبرزين في هذا العصر الذين يتمتعون بشطر من الزعامة الدينية ما يدل على انهم لهم فيهم عقيدة تلحقهم بمراتب الاولياء من اهل الكرامات وطالما تحدثت الى هؤلاء المبرزين واتصلت بهم فآنست منهم ما يقوله هؤلاء فيهم ووجدت كل واحد منهم او حديا يعمل لله ويحب العاملين في الله ويتواضع لهم بقدر ما يحب الله .

هذه صورة عن الرئيس مع حاشيته وعن الحاشية مع رئيسها .

كيف يختَار الحَكيم حَاشِيَته

اننا نلمس ناحية في حياة آية الله الحكيم ، عرفناها بالاختبار والممارسة ، يمتاز بها عمن تقدمه من العلماء .

تلك الناحية هي أن السيد الحكيم درس نفسيات ثلة من الناس درسا كاملا ، كما يدرسها المتفوقون ، فأحل كلا محله الذي يرتضيه له ، قربوا منه أو بعدوا عنه ، فهو يكبر أناساً يثق بدينهم وعقلهم ، وهم في قرارة نفسه أقرب الناس اليه ، وأعزهم عليه، وربما وجه الأنظار اليهم على أساس عقيدته بأنهم أطباء المجتمع وحملة الرسالة ، ويكون هذا التنويه في غاية البساطة ، وربما يخفي ذلك عليهم ويكتمه عنهم ، لانه لا يريد بذلك الا وجه الله والقيام بالواجب الديني ، وتشييد معالم الحق والمحافظة على المبادئ المقدسة ، ثم تهبط مراتب الناس عنده هبوطا سُلّميا ، فيعطي كلا ما يستحقه ، قرُب منه أو بعد عنه ، والاستغلاليون أبعد الناس عنه وأبغضهم اليه ، وهم الذين يهمهم انتهاز الفرص في جلب الخير لأنفسهم ، ولمن يحيط بهم ، سواء أكان من نوع المال أم الجاه ، فانه يبعدهم عنه وان تقربوا منه ، ويستوحش منهم وان أنسوا به ، وربما يعبر عنهم أحيانا بـ(البهلوانية) أي أبطال الصراع .

وهنا يفترق الحكيم عن المرحوم آية الله السيد أبو الحسن ، فان المعروف عن السيد ابو الحسن(ره) أنه اذا رأى شخصا فعالا مقداماً اعتمد عليه واستعمله في بعض الأمور ، وسخّره لغاياته الدينية وإن لم يحسن الظن في قدسه وصلاحه ، من باب أن الغاية تبرر الواسطة ، وذلك لأنه يريد خدمة الدين ، وتنفيذ الأحكام وإعلاء الشريعة ، وهؤلاء بنظره أهل لهذا الأمر ، حَريُّون به ، لأنهم أقدر من غيرهم ، وان كان ذلك الغير أكثر صلاحا .

أما الحكيم : فإنه أبعد ما يكون عن الاستعانة بهم والركون اليهم ، لأنه يعتقد أن نجاح هؤلاء مؤقت ، وفوزهم ليس على أسس ثابتة وأنهم يهدمون كيان الروحانية ويقوضون أركان الصلاح من نفوس العباد لأنهم لا بد وأن يرتكبوا جملة من منافيات الكمال في سبيل الوصول الى أغراضهم وإن كانت دينية وأقلها التهويش والتهويس ، وهو يرى أن الدين أسمى من ذلك وأرفع وأعز وأمنع ، ويعتقد أن أمثال هذه الأمور

تدفع ضعفاء النفوس والدين الى التشبه بهم والسير في سبيلهم ثم يؤدي ذلك الى ارتكاب الجرائم والوقوع في المنكرات .

رَأيهُ في الصَحَافة والصحَفيين

وعلى هذا الأساس يكبر الصحافة ويقدس المهنة ، ولكنه يشمئز من الصحفيين ويترفع عم أن يُذكر اسمه في صحفهم !

قلت له مرة : إن فلانا الصحفي وفلانا الآخر ممن يحسن استجلابهم واستغلالهم لخدمة الدين وهم يتقربون منكم ، وقدد نوهوا في كثير من الشؤون المحيطة بكم ، وهؤلاء مثلهم مثل الشاعر يمدحون بثمن ويهجون بلا ثمن ، فلو استصلحتهم بما يستصلحهم به الناس ؟

فكشف لي عن رايه الخاص ، وكانت نتيجة ذلك الرأي :(**أن استخدام العضو المريض في جسم المجتمع يؤدي الى سراية العدوى في مجموع الجسم**).

فقلت له : ان الامام علي ابن الحسين(ع) وصل الفرزدق ، وأن الصادق(ع) وصل الكميت ، وأن الرضا(ع) وصل دعبلا .

فقال : انهم وصلوهم لأنهم جاهروا بالحق لا لعوض ، ومن ثم أرجعوا ما وصلوهم به ، أما هؤلاء فيطلبون المزيد .

عَاطِفَتهُ

عرفته يتمتع باحساس مرهف وعاطفة فياضة ، يلمسها فيه كل أحد ، ومن انها لا تؤثر على توازنه ولا تسيطر على مواهبه ، فهو اذا سمع بمنكوب ظل متأثراً متململا، ثم يتزايد تأثره حتى ينتهي الى التأفف والوجوم اليسير ، ثم يهم في بذل المساعدة لهذا المنكوب ، وهو قبل أن يقوم بمساعدته يهتم في اخلاص نيته ليكون عمله خالصا لوجه الله تعالى ، ويحاول الكتمان جهده .

فان كان نوع النكبة ماليا ، ساعده بالمال ، وله في ذلك أساليب ، فقد يساعده

مباشرة أو بواسطة ، وقدد يكلف شخصا أو أشخاصا له عليهم دالة ببذل المعونة لـه ، وتكليفه هؤلاء قد يكون بصورة تحويل صريح ، وقد يكون بصـورة تحويـل علـى نحـو التلميح ، وذلك بأن يعرض لهم حال الشخص ، ولا يحول تحويلا صريحـا الا اذا كـان المحول عليه قد طلب منه ذلك أو كان موكلا ً من قبله على قبض المال .

وان كانت من نوع المرض ، طفق يسأل عنه وعن مرضه وعن الأطباء والدواء، ثم يهتم بعيادته مباشرة أو بإرسال من ينوب عنه ، واذا عاده بنفسه استحفاه السؤال ثم سرّى عنه ، وقوى عزيمته وفتح له بـاب التوكـل علـى ا لله سبحانه ، وحبـب اليـه الرضاء بقضائه وقدره ، ثم لمح الى الطبيب والعلاج ، فيذكر حادثة تشبه ما هو فيــه ، ثم يقول : (**الطبيب هو ا لله تعالى**) ولا يتحمل مسؤولية الارشاد الى طبيب معين .

وان كانت من نـوع الشـغب والمنازعـة ، اهتـم في الاصـلاح ، فباشـره بنفسـه بشكل هادئ جدا أو استعان بذوي المقدرة والكفاءة ممن يتعلق بالمتخاصمين بسبب او بنسب او بصداقة او بمن يسيطر عليهم من عالم او وجيه او زعيم ، واذا لم يجد سـبيلا الى شيء من ذلك ، حوقل قائلا(لاحول ولا قوة الا با لله) او استرجع قائلا (انا لله وانا اليه راجعون) وربما تظلم لهم بمحضر جمع ، ولعله يستعمل ذلك تحريكا للسامعين ليفكروا في اصلاحهم ، وطالما كان ذلك سببا لاستخراج رأي مـن بعـض الحـاضرين يكون هو الدواء النافع ، والعلاج الناجع .

وكثيرا ما يجد اللوم من خاصته ومتعلقيه على اهتمامه الشديد ، فانهم يهتمــون في التسرية عنه ، لأن تأثره ينتهي باقلاق راحته وسلب استقراره وانحطاط صحته .

ويكثر تأثره اذا كانت النكبة نوعية ، كمـا لـو سمـع بظلـم زعيـم أو حـاكم او التواء عالم ديني فانه يبقى في هم مستمر وهو في الوقت نفسه لا يهاجم هؤلاء هجومـا مكشوفا ولا يبادربتسميتهم ، فاذا أراد التحدث عن ذلك يقـول :(**لعلـه بلغكـم عـن بعض الزعماء في اللواء الفلاني او القضاء الفلاني أنه يفعل كذا وكذا**) ثم يقـول :

(نعوذ با لله أن يكون ما حكي عنه حقا ، لعله مكذوب عليه) ثم يعقب ذلك بالحوقلة أو الاسترجاع ، ثم يتحين الفرص للعلاج وهو يتنكب سبيل الغدر والانتقام

وكان المرحوم السيد ابو الحسن (ره) لا يقل اهتماما عن الحكيم في هذه الشؤون ولا نعرف كيفية معالجته لها ، نعم المعروف عنه أنه لا يظهر عليه الاهتمام ولا التأثر ، وأنه يستعمل اللامبالاة حتى يخيل الى الناظر انه لا يهتم في الحادث ولا يأبه به.

حدثني السيد الحكيم قال : **(عندما همت الحكومة العراقية بتسفير العلماء من العراق الى ايران على عهد الملك فيصل الاول ، وذلك عند تشكيل الحكومة العربية العراقية بعد التحرر من استعباد الأتراك ، وبعد مقاومة العلماء لبريطانيا ، وبعد استقدام فيصل الأول من الحجاز ، بعد ذلك كله أوعزت السلطة الحاكمة الى العلماء بلزوم مغادرتهم العراق الى ايران ، فخرجوا من النجف الى مسجد السهلة وخرج الناس لتشييعهم)** .

قال السيد الحكيم : **(خرجت أنا والشيخ خضر الجيلاوي مشاة حيث لم تبق واسطة نقل ، وكانت الصحراء ما بين النجف والسهلة ممتلئة بالناس ، فلما وصلنا للسهلة وجدنا مجلسا منظما قد أُعِد للنائيني (ره) ، فوصل السيد ابو الحسن (ره) مع موكبه قبله وجلس فيه ظناً منه انه قد أعد له أو لهما ، وكان الناس يظنون ذلك ، ثم جاء النائيني (ره) مع موكبه وجلس فيه ايضا ، وبعد انقضاء المجلس افترقا للمبيت ، قال السيد بتنا وبات خلق كثير في مسجد السهلة ، أما النائيني وصحبه فإنهم أحيوا ليلتهم بالعبادة ، وأما السيد أبو الحسن فانه انتبه بعد الفجر وقبل الشمس ، فنظرت اليه وهو يتوضأ ، وكنت أستغرب في نفسي ذلك من مثله، فكأنه أحسّ ذلك مني ، فنظر الي نظرة خيل الي أنها نظرة أسد ، حتى قلت في نفسي ان هذا ليس بشرا هذا أسد)** .

وحدثنا الأستاذ المرحوم السيد حسين الحمامي الموسوي قال : (ان العلماء

خرجوا من النجف مشمئزين من الأوضاع العامة ، وكـان النـائيني يبـدو عليـه الحـزن والتأثر ، وأما السيد ابو الحسن فكان مرحا لا مباليا ، وقد أهديت اليه سلال من العنب ، فجعل يقسمه على حاشيته وأتباعه وهو يداعبهم ويلاطفهم) .

وعندما قتل ولده السيد حسن بـين العشـائين وهـو خلفـه في صـلاة الجماعـة ، ارتبك أئمة الجماعـات للحـادث ، وقيـل انهـم لم يتمـوا صـلاة الجماعـة ، وانفرطـت الصفوف ، أما السيد ابو الحسن فانه صلىالعشاء مع عـدد يسـير ، وقـد رأيـت ذلـك وشاهدته .

انه كان لا يأبه بالحوادث ولا يكـترث بالعظـائم وربمـا استعمل النكتـة وأظهـر اللامبالات (١) .

الى هُنَـــا

الى هنا ينتهي ما كنا دوناه حوالي سنة ١٣٦٩هـ ، وبقي عدة مواضيع مـن صلـب مـا نحن فيه ، بعضها كان مدونا في الفهرست ، آملا بأن نشرحه في سـاعات الفـراغ ممـا نتخصـص بـه ، وبعضهـا كـان يجـول في فكـري وأنسـى تدوينـه في الفهرسـت ،

---

(١) يقول علماء النفس : من عبـث البطولـة قـول مـروان الحمـار لغلامـه وجيشـه آخـذ بالهزيمة : ياغلام علي بالغالية .

فقال الغلام : ما تصنع بالغالية في مثل هذا اليوم يا أمير المؤمنين ؟

فقال مروان : أريد أن يتميز رأسي عن رأس السوقة !

ويقول بعض الباحثين : ان الامين لم يكن كما صبغته السياسة ،يقول : انه كافح عن بغداد نحوا من سنتين وهو محاصر ، وانه أنفق جميع ما في بيت المال على جنده ، ثم ما في بيت المال حتـى الأواني ، ثم ما في بيوت الوزراء والقواد ، ثم ما تمكن عليه من أموال الأثريـاء ، وبعـد ذلـك كلـه يئس من النصر ، فلبس ثوباً وخرج يتصيد مع بعض جواريه من بركـة مـن بـرك القصـر استـصغارا للحوادث العظيمة ، وهذا من عبث البطولة .

ومن تلك المواضيع ما يلي :

– مساعيه في انقاذ بلاد العلويين دينيا .

– مساعيه في جمع كلمة الشيعة في الموصل بايجاد عالم ودار له ومسجد وحسينية .

– تشجيع المهاجرين من لواء الموصل لطلب العلم في النجف ، والعناية بهم لتأخر بلادهم دينياً ، وكان أول من فتحها المرحوم السيد ابو الحسن .

– مكافحة الكماليات ، من الفواتح الكثيرة التي تقام للشخص الواحد ، ومن مواكب الاستقبال والتوديع والولائم ، ولكنه لم ينجح في ذلك .

– آراؤه فيما يتعلق بالطلاب الدينين : فانه يرى رجحان تمرينهم على الخشونة في العيش من المأكل والملبس ، ليتعلموا على الصبر عند القيام بواجباتهم الدينية في القرى والرساتيق التي تفقد أسباب الراحة ، ويرى لزوم عزل الطلاب عن السلطة الزمنية عزلاً تاماً ، ولا سيما في الأمور المالية ، ويرى أن كل مشروع يستعين بالحاكمين ماديا يسير في طريق العبودية لهم، ويصبح ذلك أداة لهم ، من أجل الخوف على مصالحه المستمدة منهم .

– مقاطعته لملوك العراق قبل الانقلاب بعشر سنوات تقريبا ، وتصريحه بأنهم لا يتصلون بالشعب ولا يشاركونه بأحاسيسه .

– تشجيع العلماء الذين يقيمون في حواضر العراق وغيرها على صعود المنابر وحثّهم على ذلك ، وكان يقول : (**ان المتكلم مهما كان قديرا ، اذا تكلم بصورة اعتيادية ، قطع عليه بعض الحاضرين حديثه ، سواء كان مؤيدا او معارضا ، وهو من أجل ذلك لا يستطيع الاطراد في بث افكاره وارآئه ، بخلاف ما اذا تكلم على المنبر**) .

– ومن تلك المواضيع : أولّياته التي منها : أنه اول رئيس ديني في النجف حفظ

المخطوطات الكثيرة من التفرق والضياع ، فان النجف ثرية بأنواع الكتب ولا سيما بالكتب الخطية ، وكان الأشخاص الذين يملكون المكتبات القيّمة يشحون بوقفها لأمور كثيرة ، وورثتهم ليسوا من غواة الكتب غالبا ، فاذا مات أرباب المكاتب بيعت موزعة ، لأن غواة الكتب يعجزون عن شرائها مجتمعة ، والأثرياء في النجف وغيرها لا يهمهم أمرها ، وكانت هذه المشكلة تشغل بال المفكرين ، والسيد حل هذه المشكلة واشترى مكتبة المرحوم السماوي ، وهي مكتبة ثرية بالكتب الخطية ، ووقفها وأضاف اليها الكثير ، ولا يزال يضيف اليها ما يتمكن منه ، وسميت (مكتبة الحكيم) ولها فروع في بعض حواضر العراق .

- ومن أولياته ايضا انه لم يقبل طلاب الأفغانيين الذين يغادرون بلادهم الى النجف قبل اتمام السطوح ، وساعدهم على انشاء مدارس دينية في بلادهم ، وأمدهم بالكتب الدراسية ، وأخبرني العلامة السيد حين البلخي : أنه أنشأ مدرسة سماها (المحسنية) وأن مدارس أخرى أنشئت في حواضر افغانستان بهذا الاسم .

- ومن أولياته : انه اول من حاول تعيين عالم شيعي في الناصرة يجمع كلمة الشيعة هناك ويكون همزة وصل .

- ومن أولياته أنه أول من أرسل عالما شيعيا الى بلاد الشيعة في تركيا .

- ومن أولياته أنه أول رئيس ديني في النجف بذل الجهد في سبيل انقاذ العلويين دينيا الذين يمثلون ثلث الجمهورية السورية ، ويلعبون اليوم فيها دورا هاما .

وقد كان علماء جبل عامل وفي طليعتهم المقدس الشيخ الوالد (ره) يحاولون انقاذهم قبل ذلك ، وكانت ظروفهم لا تساعدهم ، وكان رؤساء الدين في النجف لا يشاركونهم في هذا الشعور .

أما الحكيم فانه مد يد المساعدة وبذل الجهود الكثيرة و لم تنجح مساعيه ولكنها غير متروكة .

مثلا في سنة ١٣٤٩ هـ اتفق المرحوم الشيخ الوالد مع الشريف عبد الله والعلامة المرحوم السيد شكري الحسيني على انشاء مجلة دينية باسم (المدافع) يكون رئيس تحريرها الشريف ويصدرها في اللاذقية قاعدة بلاد العلويين ، ويكون السيد شكري المتعهد بسد عجزها المالي ، ثم أنشئت المجلة باسم (المرشد العربي) وكتب على غلاف العدد الأول شيئا أغضب السيد شكري ، وكان من نتائج ذلك استقلال الشريف بالمجلة وعدم تمكنه من الاستمرار في عمله.

وفي سنة ١٣٦٧هـ حاول العلويون في طرابلس انشاء جمعية جعفرية بمساعي الوالد(ره) ومساعدة الزعيمين المرحوم احمد بك الأسعد وصبري بك حمادة ، واستمروا في هذا العمل دائبين ، ثم انكشف للشيخ الوالد أنهم يريدون انتحال الجنسية الجعفرية فقط ، فوقف عن العمل ، وقد قلت له في سنة ١٣٦٩هـ في ذلك ، فقال : (السياسيون يريدون تكثير عدد نواب الشيعة في المجلس ، والعلويون في طرابلس يريدون التستر باسم الشيعة الجعفرية ، ونحن لا نبخل في ذلك ، ولكنهم يريدون البقاء على معتقداتهم وطقوسهم الدينية ، فانني طلبت منهم القانون لندرسه ونرى ما يخالفنا فيه ، فذهبوا و لم يعودوا ، وكانت وفودهم قبل ذلك تترى ، بين العشرة والعشرين رجلا وبين فترة وأخرى ، وان الجمعية والتجنس بالجنسية الجعفرية شيء حسن ولكن ضرره أكثر من نفعه ، لأن تجنسهم بالجنسية الاسلامية الشيعية يكثر عددنا في لبنان ويضمن عيشهم في ظلنا سياسيا ، ونحن لا نكره الاول ولا نبخل بالثاني ، ولكن بقاءهم على معتقداتهم ومثابرتهم على طقوسهم الدينية المختصة بهم يوجب الصاقها بالعقيدة الشيعية ، وعقيدة الشيعة عقيدة العلم والعقل والمنطق ونحن المسؤولون عن حمايتها .

أما الحكيم فقد اهتم بالعلويين غاية الاهتمام وقد أجرى للحجة الشيخ حبيب آل ابراهيم مائة دينار في كل شهر من بعض التجار المحسنين في بغداد الى سنة واحدة ،

وقد استوفدنا عددا من شبابهم لطلب العلم في النجف وكلفوا الحكيم معنويا وماديا أكثر مما يتصوره ومع ذلك لم تنجح هذه المساعي .

والذي أعتقده أن العلويين في سوريا ، والبكداشية في أطراف تركية ، والصوفية في أطراف الموصل ، أصلهم من الشيعة وأن الجهل طغى عليهم ، فضيعوا عقيدتهم الصحيحة وبقي عندهم حب أهل البيت(ع) والغلو فيهم فقط ، ثم دخلت عليهم أشياء غريبة ، كانت من نتائج الجهل والشهوة وحب التفلت من القيود .

وأعتقد أن ذلك من آثار ضغط السياسة المذهبية ، فان الحكام في القرون الاسلامية الوسطى كانوا يتبنون السياسة المذهبية بدون تدبر ولا تفكير ولا نظر الى العواقب بل كان همهم تثبيت الكراسي ، وكانوا يستبيحون في سبيل ذلك كل شيء، فاذا طالب انسان بالحق واقامة العدل ألصقوا به لقب خارجي ، مبدع ، رافضي ، ثم يكون نصيبه التنكيل به والانتقام منه .

وقد بدأ ذلك من عهد الصحابي الجليل العبد الصالح حجر بن عدي الكندي وصحبه ، وختم بانهيار الحكم العثماني ، فان العثمانيين كانوا يسيطرون على الدنيا باسم الاسلام ، ثم يبالغون باحتقار الطوائف الاسلامية عامة وباحتقار العرب خاصة ، والعرب هم أصل الاسلام وأهله وحماته ، ولعل سبب احتقارهم اياهم أنهم كانوا يخافونهم على سلطانهم ، ومن هوان الاسلام عند العثمانيين أن يوجد في عصرهم اليزيدية ، وهم عبدة الشيطان (اله الشر) وأن يكونوا أصحاب سلطة ، ثم يسلمونهم أزمة التعذيب في (عكا) وغيرها .

هذه جملة المواد التي تحدثنا فيها عن آية الله الحكيم الى سنة ١٣٦٩ هـ ، وكانت عند تقديمها للمطبعة خاضعة للتغيير والتبديل ، أما التحدث عنه منذ أربعة عشر سنة حتى الساعة ، فيحتاج الى فراغ واسع ، ولعل غيرنا يتوفق لعرض صورة عن حياته في هذه السنوات لينتفع بهديه ولاة الأمور وزعماء الفكر .

هذا ما تيسر من سيرة السيد الحكيم والحمد لله رب العالمين .

(٣)

تَرجُمَـــة

المَرحُوم العَلاّمَة

ثِقَـةُ الإِسْلام

الشَيْخ بَشِير مُصْطَفَى حَمُّود

١٣٢٢هج - ١٣٦٥هج

بقلم المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد المرحوم الشيخ بشير مصطفى حمود العاملي الشوكيني سنة ١٣٢٢هج ألف وثلاثماية واثنتين وعشرين هجرية (١) في بلدته شوكين ، التي تبعد عن النبطية نحو أربعة كيلومترات .

وتوفي فيها ليلة السبت ٢٣جمادى الثانية سنة ١٣٦٥هج ألف وثلاثماية وخمسة وستين هجرية ، الموافق ١٩٤٦/٥/٢٧م .

ودفن فيها ، قرب مسجدها ، وقبره الآن موجود في صحن دار المسجد ، وهو متميز بقفص حديدي يحيط به .

هاجر منها أولاً الى بيروت ، هو وأخوته ، ولا نعرف تاريخ هذه الهجرة على التحديد ولا أسبابها ، والمظنون أن سببها هو الأزمة الإقتصادية الخانقة التي كانت تحيط بأهل الجنوب في عهد الاستعمار الفرنسي ، بسبب رخاء الأسعار وقلة الأعمال وتضخم السكان ، واشتدت الأزمة سنة ١٩٣٥م وما قبلها وما بعدها ، ولعلها كانت عالمية ، وبواسطتها كثرت الهجرة الى أفريقيا والنيويورك ، وكثر أيضا نزوح أهل القرى الى بيروت لطلب لقمة العيش ، وبالأخص منهم الذين لا يملكون أرضا في قراهم تشدهم اليها وتغنيهم عن النزوح ، ولذا كان أكثر النازحين أهل القرى التي يملكها الإقطاعيون لأنهم كانوا يحاولون تشغيل العمال باقل ثمن اذا لم يتمكنوا من تشغيلهم بالسخرة (٢) وكانت معظم أرض قرية شوكين الى عهد قريب مملوكة لغير أهلها .

---

(١) استندنا في تاريخ ولادته الى ما ذكره هو رحمه الله على غلاف ديوانه الزجلي – المنظوم باللغة الدارجة- المسمى (حديقة الفن) الذي طبعه سنة ١٣٥٠هج ألف وثلاثماية وخمسين هجرية.

(٢) كلمة (السخرة) تشير الى تشغيل العمال بدون أجرة بل بالإكراه في غالب الأحيان.

وكان في آخر أيامه في بيروت يعمل مع أخويه الحاج محمود مصطفى الشوكيني والحاج أحمد مصطفى الشوكيني في تجارة الخيش .

ومن هنا يتضح لنا أن المترجَم له لم يكن فاشلاً في حياته التجارية ، ولا في حياته المعنوية ، بل كان ناجحا من الجهة الاقتصادية ، وله مكانة أدبية ، وان الذي يبني بيتا في ذلك التاريخ يعتبر ثريا ، وكان له مستقبل لا يقل عن مستقبل أخويه ، اللذين أصبحا بعد ذلك من التجار اللامعين ، والمحسنين المقصودين ، وكان ايضا ناجحا معنويا ، لأن شعراء الزجل المتفوقين لهم قيمتهم عند الشباب ، ويكونون هم علية القوم في المجتمعات والمناسبات .

والذي أتخطره أنه بنى بيته في شوكين من ريع كتابيه (حديقة الفن) و(بديعة الفن) .

ثم إنه عندما ورد النجف كان معه شخص آخر قريب منه في السن ، ولكنه أقام مدة يسيرة وعاد الى بلاده ، ولعله من قرية صير من بيت بكري .

حَياتُهُ فِي النَجَف

ورد الشيخ بشير النجف الأشرف ، وبقي مدة من الزمن منعزلا لا يخالط العاملين الا بقدر الضرورة ، فهو لا يقصد أحدا في بيته ، ولا يقصده أحد الى بيته ، والسبب في ذلك هو فارق السن والعلم بينه وبين الموجودين من طلاب العلم في ذلك الوقت ، فهو مثلا يكبرني بنحو ثماني سنوات ، ومعظم الموجودين العاملين نظرائي في السن ، وكان يكبر السيد علي مهدي ابراهيم والشيخ عبدالله نعمة بنحو خمسة عشرعاما .

وللفائدة نذكر أن جميع الطلاب العاملين في ذلك الوقت بين مجتهد ومراهق للاجتهاد ، والكل منهم يتمتع بالعقل وحسن السمت ومظاهر الكمال .

ثم بعد ذلك تعرفت عليه وعرفت به السيد هاشم معروف وأصبحنا نقرّبه ، وأصبح يتقرب منا ، وفي أواخر أيامه كان لا يكاد يفارقنا اذا كنا خارج منازلنا سواء في ذلك صلاة الجماعة او الجلسة في الصحن او عندما نمشي عصرا الى وادي السلام او عندما نذهب أيام العطلة الى مسجد الكوفة ونهرها او الى الشواطي الواقعة غربي النجف .

ومن الطبيعي لمثل هذا الانسان أن يتّسم بالحشمة والسلبية ، ومن الطبيعي أن نحترمه حينئذ ، لأنه انسان يعرف حدّه ويقف عنده .

ولعلنا من أجل هذا لم نسأله عن حياته الماضية ، و لم يبتدئنا بالتحدث عنها ، فهو لم يحدثنا عن (حديقة الفن) وانما عرفت ذلك بمناسبة لاأتذكرها ، ثم بعد وفاته أرسل لنا ولده الأكبر الشيخ محمود بشير مكتبته ، وعندما قلبتها وجدت فيها (حديقة الفن) أو (بديعة الفن) ، ثم احتفظت بها مدة طويلة ، وأخيرا سلمتها لولده التاجر المحسن المعروف الحاج مرتضى حمود ، مع النسخة الوحيدة الباقية عندي من ديوانه المسمى ديوان البشير ، الذي طبع بعد وفاته .

وفي سنة ١٣٧٠هج تقريبا رأيت محل أخيه الحاج محمودٍ في بيروت في شارع (الأرغواي) ، وكانت تجارته قد توسعت ، وعنده عمال يعملون في النهار وآخرون يعملون في الليل ، وكانت حالته قد تحسنت ، فقد كان يملك بيتا في المصيطبة في حي (اللجا) يقيم في أعلاه ويؤجر أسفله لتوفيق الفقيه ، ثم بنى بيتا على رأس النبع وباع البيت الأول المذكور ، ودعاني لبيته الجديد المؤثث بأحسن أثاث في ذلك الوقت ، وقال كلمته التي دلتني على تواضعه واعترافه لله سبحانه بالجميل (١) مع أن سائر من

---

(١) دعيت الى منزله ، فلما هنأته به قال لي : هذه النعمة حلال على حمار ، فقلت : استغفر الله وكرر وكررت ، فقال : مولانا او شيخنا انا تركت العتالة منذ عشر سنوات وهذه النعمة من الله سبحانه .

يصل الى النعمة يفتخر ويقول لعارفيه وبنيه ، أنه حصل على ذلك بجده واجتهاده وقدرته وتفكيره ، وأنا أقدر عقل هذا الرجل رحمه الله برحمته الواسعة .

هِجْرَتُهُ للعِرَاقِ

اعتقد ان هجرته للعراق كانت حوالي سنة ١٣٥٥هـج الف وثلاثماية وخمسة وخمسين هجرية ، أما أسبابها فمن المظنون انها عدة امور :

منها : ما كان يتمتع به من الطموح للمجد وحبّ الظهور كما هو الظاهر من ملاحظة ديوانيه (حديقة الفن) و(بديعة الفن) اللذين طبعهما سنة ١٣٥٠هج وكل منهما كرّاسة تشتمل على جولة شعرية باللغة الدارجة بينه وبين أخيه أو بينه وبين شخص آخر - الترديد مني لأن نسخها فعلا معدومة - على كل حال فقد كانت موجودة عندي وهي تراث أدبي كبير وتاريخي يشهد بعصامية الشيخ بشير (ره) .

ومنها : عشقه للعلم والأدب ، فان الذين يمتهنون الشعر الشعبي يدرسون النحو ويحفظون مفردات اللغة ، ويتفجر في نفوسهم حب العلم والأدب والمعرفة .

ومنها : وهو أهمها ، أنه فقد ولده فعظم ذلك عليه ، وصغرت الدنيا في عينه ، فآثر الهجرة الى المشاهد المقدسة في العراق طمعاً بالفوز بنعيم الآخرة .

ولعله من اجل ذلك كله عزم على مغادرة لبنان للعراق ، وصفّى عمله مع أخويه ، وكانت حصيلته ستة وخمسين ديناراً عراقياً حسبما أتخطر .

وكان هذا المبلغ له قوة شرائية في ذلك الوقت ، فكان يستطيع أن يشتري به عدة عقارات (١)كما أنه بنى داراً لسكنه في بلدته شوكين قبل إخوته وكانت حسبما

---

(١) كان كيلو اللحم لا يزيد عن عشرين فلسا ، وكيلو الرز الجيد لا يزيد عن عشرة فلوس ، وكيلو السمن لا يزيد عن أربعين فلسا ، ومتر القماش العادي باثني عشر فلساً ، واجرة البيت =

وصفها لي داراً حسنة في ذلك الوقت ، حولها مساحة مشجرة .

كيف عرفت الشيخ بشير
وكيف تعرفت عليه

في يوم من الايام ، كنت عائداً من الصحن الشريف الى منزلي في محلة العمارة - دار بيت رحيم- وكان معي الشيخ محمد خليل الزين حفظه الله تعالى ، وهو في دار مجاورة لداري ، وعندما اقتربنا من مقبرة " الشيخ خضر شلال " المقابلة لمدرسة الخليلي الكبرى المعروفة قديما بخان القطب ، سلم علي شاب كامل الجسم متوسط القامة جميل الصورة متناسب الاعضاء واسع العينين ممتلئ الحاجبين حتى يكادان يلتقيان ، ابيض اللون بسمرة ، ووجنتان مشربتان بحمرة ،ولحيته كثة سوداء ، يرتدي بزته اللبنانية ، فسألته عن حاله وعن مهمته بايجاز ظناً مني أنه في حاجة الى المساعدة في أمرٍ من الأمور التي يحتاجها الغريب .

فقال : انه جاء مجاوراً ، ويرغب في طلب العلم ، وقال انه يعرف مقداراً من النحو ، فدعوت له بالتوفيق ثم هممت بالانصراف ، فأقبل عليه الشيخ محمد خليل الزين وسأله عن بلده ، فقال له : شوكين ، وتبين ان الشيخ محمد يعرف شوكين لقربها من جبشيت التي هي بلدة الشيخ محمد خليل الزين ، ثم سأله عن اسمه فقال : بشير مصطفى حمود ، وبعد ان رحب به قال له : اذا كنت تريد طلب العلم فلا بد ان تغير اسمك لانه اسم غير اسلامي ! ولا يتناسب مع المشيخة فان " الامير بشير " مسيحي !

= في السنة خمسة دنانير، والبيت الممتاز المؤلف من طابقين الجديد البناء اجرته نحو عشر دنانير ، وكان رحمه الله هو الوحيد من العامليين الذين يسكنون هذا النوع من البيوت .

فاجابه الشيخ بشير بحماس ، وهو شبه المغضب ، بعد أن نفض رأسه للاعلى : كيف لا .. والبشير صفة من صفات نبينا محمد (ص) بل اسم من اسمائه فانه البشير النذير وهذه الصفة أظهر صفاته ، وأفاض في البيان حول مادة البشير والبشرى ومحاسنها !

وحاول صاحبي ان يدافع ، فقاطعته وأخذت بيده ، وساعدت الشيخ بشير عليه لانه محق ، ثم افترقنا ، ثم لمت الشيخ محمد خليل على توسعته في الحديث مع شخص لا يعرف ابعاده .

ثم انني كنت ألتقي بالشيخ بشير بعد ذلك كما ألتقي بسائر الناس وكنت شخصيا أعتبر نفسي شبه مسؤول عن تنظيم العاملين وتوجيههم وعن تصفيتهم من الغش (١) .

اما الشيخ بشير حمود فانه كان يتمتع بروح استقلالية ويتصرف تصرف الرجل المَرن ، وكان يبدو عليه انه لا يعطي المقادة من نفسه ، ومن هنا انفصل عن موكب المسنين الذين يأتون للنجف لطلب العلم ولا سيما المرتزقة منهم .

ولعله من اجل هذا عاش شهوراً كثيرة منعزلاً عن العاملين فضلا عن غيرهم ،

---

(١) ومن اجل ذلك كنت مع ثلة من فضلاء العاملين نكافح من يأتي لطلب العلم مبتدئا وهو في مثل سن الشيخ بشير ، فكنا نجتمع وننصح من يكون كذلك بترك النجف ، ونحذره من سوء عاقبته دينا ودنياً، فكنا نقول له : مثلك يحتاج الى أكثر من عشرين سنة ليكون فاضلا اذا كان دؤوبا على الدرس وكان له قابلية ، واذا كان عمرك اليوم خمسا وعشرين سنة فماذا ينفعك علمك في الدين حينئذ ، لانك تكون مثقلاً بالعيال ومتطلبات الحياة ، ولا يبقى عندك وقت لاداء الرسالة ولا سيما ان سوق العلماء كاسدة وحياتهم خشنة ، هذا اذا لم تتأثر بجو العراق وتبتلي بسرعة الهرم او بمرض معضل ، فأنت اذا كنت تريد الدنيا فاعلم ان عيشة الطلاب سيئة جدا ، وأنه لامورد لهم من المال الا ما يرسله لهم اهلهم ، وان كنت تريد الاخرة فليس من السهل =

ثم بعدما تعرفت عليه أنا والسيد هاشم بدأ يتصل بالعامليين ، وطلب منهم ان يمتحنوه وكان يسألهم ويطلب منهم أن يسألوه ولكن ذلك لم يوجب امتزاجهم به ، ولا امتزاجه بهم ، كل ذلك بسبب فارق قِدم الهجرة والعِلم والسّن ، وكانوا لا يسألونه مخافة أن يعرضوه للفشل ، وهو انسان محتشم لا يليق به ان يفشل .

= لمثلك ان يحصلها من طريق العلم لانك اذا رجعت الى بلادك فستجد من هو أصغر منك سناً أفضل منك علماً ، وأجل شأناً ، فان سُئلت وأنت لا تعرف الجواب لا تستطيع الاعتراف بالجهل ، وان اعترفت فستجد نفسك ذليلاً ، فانت بحكم السن وبحكم الظروف والملابسات سوف تضطر لارتكاب أعظم المحرمات لانك ستدعي انك عالم وستفتي على كل حال ، وايضا سوف تزاحم من هو أكثر منك فضلا وأصغر سنا وهو من أعظم الجرائم عند الله سبحانه .

بهذا وأمثاله كنا نقنع من يريد طلب العلم وهو في سن لا يساعده على ذلك ، فان اقتنع من تلقاء نفسه فهو المطلوب وان لم يقتنع كنا نمنعه في مجالسنا من الجلوس بين المشتغلين المحصلين ، لانهم يريدون المذاكرة والمساءلة فيكون بينهم بمنزلة الحجر في جنب الانسان ، وأخيرا يضطر للعزلة او للعودة الى بلاده .

هذه صورة من واقع أهل العلم التي عاشوها في ذلك الوقت اما في هذه الايام فقد انفلت الوكاء واصبح الانسان يكتفي بأن يذهب للنجف ويقيم شهورا أو سنة او سنتين او سنوات ، ثم يعود الى لبنان ويسميه أبوه وامه وذووه (الشيخ او السيد) او (سيادة الشيخ) وبذلك يصبح عالما دينياً زمنياً سياسياً ، فاذا وُجد في حفلة وذُكر فيها عدد العلماء كان احدهم ، ثم تطور الحال فأصبح كل من ذهب الى النجف او قُمّ او درس عند بعض اهل العلم في بلادنا ، من هذا السنخ ، وان كان لا يعرف ثلث الثلاثة .

وقد وَجد هذا الصنف من المعممين مستنقعاً خصباً ، من أعداء الدين ومن العقائديين ومن قادة الاحزاب ومن عملاء السياسة ، فانهم أصبحوا يشجعون هذا الصنف من المعممين ويصيدون بهم السواد وهم يعرفونهم حق المعرفة ، ولكنهم استطاعوا شراءهم بالمال او بكلمة مدح او باظهار الاحترام ، وهم جائعون الى ذلك كله بل شرهون اليه .

واخيرا تعرفت على الشيخ بشير ، فوجدته مخلصا في طلبه للعلم ، ولكن كيف تعرفت عليه ، وكيف أصبح أقرب انسان الي ، أجل لقد صدق الحديث الشريف : (الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) ، وصدق قوله (ص) : (ربّ صدفة خير من ميعاد) .

كنت ذات يوم أتمشى على شارع الكوفة ، وكانت تلك الارض يومئذ قفراء ، وكانت مدينة النجف في ذلك الوقت محاطة بالسور المعروف ، فنظرت عن بعيد الى شيخ يسير في وادي السلام بين القبور عن يمين المتجه الى الكوفة ، ولاحظت انه غريب لان غير الغريب لا يجرؤ على مثل ذلك .

ثم تأملته فوجدته عامليا ، يمشي الهوينا ، ولعله كان يحاول الابتعاد عني ، فاسرعت الخطا ولحقته فسلمت عليه واستوقفته ، ثم طلبت منه الجلوس وسألته : الى أين ، فقال : ذاهب الى الحنانة (١) .

فقلت له : طريق الحنانة ليس من هنا ، وهذه القبور تكون أحيانا مكمناً لأرذال الناس الذين اذا استفردوا شخصا سلبوه او احتالوا عليه فاخذوا منه ما يتمكنون من أخذه .

وأخيرا قلت له : كنت أرغب أن اكون معك ولكن الوقت ضايقنا فلنرجع الى النجف .

فقال : كنت أحب زيارة الحسين (ع) من ذلك المكان ؛ ثم اتفقنا على الزيارة من المكان الذي نحن فيه ، وكان ذلك كله مني محافظة عليه ، فأخرج كتابا كان معه وقرأ الزيارة وكانت زيارة مؤثرة فيها روحانية ، ثم رجعنا .

---

(١) الحنانة : مسجد بين النجف والكوفة يقال ان راس الحسين (ع) وضع فيه عند ورود السبايا للكوفة .

وكانت هذه المرحلة هي المرحلة الثانية من معرفتي بـه ، وتقديـري لروحانيتـه ، وصرنا بعد ذلك نتبادل السلام عند اللقـاء في الطريـق او في الصحـن او في اي مكـان اخر ، وصرت أتحدث عنه ، وعرفت السيد هاشم معروف به قبل كل أحد .

وفي نهار الغدير ، الثامن عشر من ذي الحجة من سنة ١٣٦٠هج ألف وثلاثماية وستين حسبما أظن ، كنت في الصحن الشريف في جهة بـاب القبلـة ، تصافحنـا معـا وقال كل للاخر الكلمة المعروفة : الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولايـة مولانـا علي امير المؤمنين (ع) ، ثم طلب مني أن أواخيه وكنـت مـع تقدمـي عليـه في الهجـرة بنحوعشرين سنة غافلا عن المؤاخاة ولا أعرفهـا ولا أعيرهـا اهتمامـا ، فـاخرج ورقـة وقد كتب عليها دعاء المؤاخاة ، ثم وضع يده في يدي وقرأ الدعـاء ثـم قرأتهـا ، وقـد كان لهذه المؤاخاة أثرها الغريـب في نفسـينا وكـانت الدمـوع المتبادلـة وحدهـا تكفـي للتعبير عن الشعور بالاسلام وبالاخوة في الله .

وفي ذلك النهار آخى السيد هاشم معروف ، فكـانت هـذه المرحلـة الثالثـة الـتي رفعت بعض الحواجز بيننا وبينه ، وقربته منا وقربتنا منه ، وكان الفضل فيها له وحـده لانه هو المبتدئ .

وكنت اذا اعتنيت انا والسيد هاشم بشخص ، اضطـر الآخـرون للاعتنـاء بـه ، وبعد هذا أصبح الشيخ بشير محترما عند الجميع (٢) .

والذي أتذكره أن اول بادرة ظهرت منه اننا احتجنا لمعرفة لفظة لغويـة ، فتكلـم فيهـا قبل احضار القواميس ، فكان كما قال ، وتبين بعـد هـذا انـه محيـط بمعظـم المفـردات

---

(٢) اصل المؤاخاة وكيفيتها : أما أصلها فقد كان يوم غدير خم عندما آخـى النبـي (ص) بـين كـل اثنين من أصحابه ثم لم يبق الا علي ابن ابي طالب (ع) فآخاه بنفسه ، وأما كيفيتها فقد أشرنا لهـا وهي مذكورة في كتب كثيرة منها مفاتيح الجنان للعلامة السيد محسن الامين رحمه الله تعالى .

وأنه يعتمد بعض كتب اللغة لانه كان يحتاجه لاجل ان يتقوى به على " الجناس " الذي يستعمله شعراء الزجل .

سِيرَتُه العَمَلية

كان يستقبل زوّار بلادنا الوافدين من بيروت ولعله كان يعرفهم او يعرفونه ، وربما نزلوا عنده ، وكان ينام أول الليل مبكرا ، وينتبه بعد منتصفه ، فيراجع دروسه اولا ، ثم اذا قرب الفجر أدى نافلة الليل ، وكان يهتم بإقامة عزاء سيد الشهداء في منزله عصر الجمعة ، وكان يشترط على الخطيب الذي يقرأ عنده أن يقرأ خطبة من خطب نهج البلاغة ، وكان الخطيب الذي يقرأ العلامة الشيخ جواد قسام النجفي ، وهو عالم فاضل ويمتهن قراءة عزاء سيد الشهداء .

وكان يكثر من أكل العدس لانه يدر الدمع ، ولقد رأيته باكياً مرة ورأيت الدمع يخرج من مقلتيه شخباً كأنه يحلب شاة ، وكان يدرس بعض تلاميذه بين الطلوعين .

وكان لا يفارقنا اذا كان خارج منزله ، فكان يجتمع معنا ومع السيد هاشم معروف والسيد علي ابراهيم والشيخ عبد الله نعمة حفظهم الله تعالى ، وبالطبع ان آخرون لا يفارقوننا كالشيخ حسين معتوق والسيد محمد جواد المعركاني ، ولم يكن مشتغلا ولكنه كان لا يفارق مجتمعنا .

ثم بعدها لمع نجمه ، وظهر عليه آثار فهم مطالب الرسائل في الاصول العملية ، وصار يشترك معنا ، وربما يضيف شبهة او يستفهم عن مطلب .

وفي هذا الوقت أصبح يُعدّ من الفضلاء المراهقين ، وأصبح يحضر معنا بعض دروس الخارج ، وأهمها درس السيد الحكيم أعلى الله درجته .

حَافظَتُه

يظهر أنه كان يتمتع بقوة الحافظة ، فقد حفظ في سنة عودته الى لبنان نحو ستٍ وخمسين خطبة من خطب نهج البلاغة ، فيها المطولات ، وكان يكرر ما يحفظه أمامنا عندما نكون في منتزهاتنا ، وكنا نمانعه بان هذا الوقت ليس وقتها ، ولكنه كان يتغلب ولعله كان يفعل ذلك لابقائها راسخة في خزانة نفسه .

الحَمَاس والطَلاقَة

كان اذا ألقى خطبة من محفوظاته ، او قصيدة من قصائده ، جثا على ركبتيه ، وتكلم بحماس ، وحاول تجسيد ما يتكلم به باشاراته ، أو بنبرة صوته ، وكان فصيحاً منطيقا قويّ الحنجرة ، فاذا ذكر الموت وأحواله والحساب يوم المعاد وأخطاره والشيطان وخدعه ، خيل اليك انك معه في هذه المشاهد ، وربما أرفقها بدموعه .

وكان اذا أنشد قصيدة في مدح مولانا أمير المؤمنين (ع) وذكر الحرب ، كان كأنه يناضل في المعركة .

وفي سنة ١٣٦٣ هج الف وثلاثماية وثلاث وستين تقريباً ، تشرفت بزيارة مشهد الامام الثامن الرضا عليه السلام فجعلته وصيا عني في وصيتي ، واعتمدت عليه في ذلك .

قَبل عَودتِهِ الى لُبنَان

كنت عائدا واياه من صلاة الجماعة ظهراً من المسجد الهندي ، وكان بيتي قبل بيته ، قال لي : انني أريد الذهاب الى لبنان لأجدد عهداً بإخوتي فقد فارقتهم كل هذه المدة - وكانت نحو ثمان او تسع سنوات - فما تقول ؟

فقلت له : انك اليوم في أول مراتب الفضل ، وان من يصل الى هذه المرتبة يصبح يومه بشهر وشهره بسنوات ، وان الاشخاص الذين يصلون الى هذه المرتبة يرجى أن يكونوا من عظماء العلماء القليلين ، وانني أخشى عليك ان لا تعود .

فقال : انني ذاهب لأعود .

فقلت له : اذا رأيت أهلك وأبناء بلدك ورأيت إقبال الناس عليك ، ورأيت فيهم حاجة دينية اليك ، وتذكرت مآسي طلب العلم وصعوبات حياتهم ، نفرت نفسك من العودة ، وأعانها الناس بالحاحهم عليك بالبقاء ، وحينئذ لن تعود ، وأخشى عليك غداً أن ترى نفسك هناك في مرتبة متميزة من العلم عن كثير من الموجودين هناك ، لانك سترى كثيرا ممن يدعي العلم وأنت أعلم منهم بمراتب ، فيأخذك غرور المعرفة ، وهي زلّة لامثالك كبيرة ..

فأجاب : لا بد أن أعود وأن أرى إخوتي .

فقلت : الحياة طويلة ، والمستقبل امامك ، وستراهم انشاء الله .

فما راعني الا بكاؤه ، ثم حلف بالايمان المغلّظة بأنه لا يعيش أربع سنوات ..

فأدهشني ذلك واعتقدت بأنه عرف ذلك بطريق غيبي ، فأخذت بيده وأدخلته منزلي ، وكنا آنذاك وقوفا امام منزلنا .

ثم بعدما هدأت نفسه ، واستقرّ بنا المجلس ، وتناولنا طعام الغداء معاً ، ولا أنسى ان من جملة الطعام الخيار المهروم باللبن - سَلَطة خيار - وأنه قال هذه أكلة أحبها ، بعد هذا سألته : كيف تقول أنك لا تعيش أربع سنوات ، وكيف تحلف على ذلك بالايمان !

فقال : لا أتذكر .

وألححت عليه بالسؤال ، ولكنه أجاب بقوله : لا أتذكر ذلك ، ومن غريب الصدف أنه لم يعش بعد ذلك الا نحو سنتين !

وبعد هذا بايام يسيرة ، سافر الشيخ بشير الى لبنان وحده ، وترك عياله وأطفاله في النجف ، سافر على أمل العودة .

وكنت أذهب لمنزلهم واتعاهدهم وأسالهم عما يحتاجونه ، ولا أظن أنهم كلفوني بشيء لأن أولاده مؤدبين ، وكانوا على صغر سنهم يذهبون للسوق ويشترون حاجياتهم ، ولم تشك والدتهم منهم أية شكاية ، مع أن غيرهم من العامليين على خلاف ذلك ، فقد كنت أتعاهدهم ، وكانوا يشكون من شقاوة أطفالهم ومن عدم اطاعتهم لامهاتهم ، ومن إيذاء بعضهم لبعض ، ومن انهماكهم في اللعب .

ذهب الشيخ بشير الى لبنان ، وكان بعض الزملاء يزهدني فيه من قبل ، فقال لي : انه أرسل لغيرك رسالة أو أكثر ، ولم يرسل لك أية رسالة ! ثم بعد مدة جاءتني منه رسالة أربع صفحات مملوءة حتى لم يبق موضع للتوقيع ، واعتقد أنني احتفظت بها ، لان من عادتي أن اختار من رسائل أصدقائي ومعارفي رسالة أو أكثر ، وأستبقيها كأثر خطي ، وعندي من هذا الشيء الكثير ، واذا اتفق ومررت بهذه الاوراق أمزق بعضها وأبقي بعضها لكثرتها .

جاءني قبل سفره وجلس معي منفردا ، وقال : سأُسأل في جبل عامل عن الاعلم من العامليين ، فبماذا أجيب ؟

فقلت له : قل لهم ، سلوني عن الأتقى والأورع ، فان العلم ليس كل شيء ، لان ابليس أعلم العلماء ، لانه عاش مع الانبياء والعلماء واستمع منهم ، فالعلم لا ينفع بدون ائتمان على الدين ، فنحن بحاجة الى ورع وتقوى .

ثم قال : ما تقول في وظيفة القضاء في لبنان ، ولعلي أحسست أنه يفكر بهذا المنصب ، فأطرقت ثم قلت له : القضاء الشرعي حق من حقوق المجتهد وهو واجب ، ولكن هذا الواجب نحن آل الفقيه وأنا منهم لا نفعله !

قال : لماذا ؟

قلت له : للدنيا لا للدين ، لاننا انتكبنا اقتصاديا بسبب القضاء ، فقد ورث والدي عن أبيه من العقارات ما يكفي ريع مثلها لسد حاجة عائلة من الفلاحين ، وكان يستغلها بالطرق المعروفة في ذلك الوقت ، فكان يقتني البقر والماعز والفرس الاصيل والدابة ، ويستأجر العمال الذين يقومون بشؤون الزراعة وصيانة هذه الحيوانات ، وكان هو المرجع الوحيد للقرى المجاورة لحاريص ، أعني رشاف وصربين وبيت ليف وعيتا الشعب وراميا وطيربيخا وصروح والنبي روبين وياطر ودير انطار ، مضافا الى حاريص وحداثا وعيثا الجبل وصلحة ، وبعض القرى المسيحية مثل دبل ورميش والقوزح .

فكان ديوانه لا يزال يمتلئ بالناس من أصحاب الحوائج والمشاكل ويفرغ ، وكان قلما يخلو من الضيوف ، وكان يستعد لذلك .

وكانت ادارة هذه القرى الدينية والدنيوية ، تكاد تكون منحصرة به ، فهو المسؤول عن أفراحهم وأتراحهم وحلّ مشاكلهم ، حتى يكادون لا يعرفون الدوائر الحكومية ، وكان أهالي بعض القرى يقدرون له ذلك ، فكانوا يزرعون له الشكاير (١) فكان ما يدخله من الغلات أكثر مما يدخله من أملاكه في حاريص ، مضافا الى ما اعتاد عليه أهل القرى من جمع جزء من عائداتهم أيام الموسم وحمله الى حاريص ، حتى الحطب والفحم ، فكان يستبقي من الغلات ما يكفي لمؤونته ومؤونة ضيوفه وللبذور والعلف ، ويستعين بثمن الباقي .

---

(١) " الشكارة " في لغة العامليين اسم لما يزرع من الارض اذا كان دون مستوى ما يزرعه الفلاح من ذلك الصنف ، وقد كان أهل هذه القرى يقدمون الارض والبذر ويتبرعون بزرعها وحصادها، ويأتونه بالحاصل .

وبعد ابتلائه بالقضاء وانتقاله الى بيروت ، انسدت هذه الأبواب بأجمعها ، وأصبح لا يستطيع حتى استغلال أملاكه في حاريص بسبب بعدها عن بيروت وعدم وجود من يدير شؤونها .

وكان بيته في بيروت هو البيت الوحيد للطائفة وبقي مفتوحاً كما كان من قبل في حاريص ، ومن المعلوم أن الراتب لا يكفي للقيام بهذه المسؤوليات ، فصار يستعين على اتمام شؤونه برهن بعض املاكه ، ثم يعجز عن الوفاء فيبيعها ، حتى ذهبت بأجمعها ، ما عدا عقارين كانا من مهور نسائه .

وكنت أنا وأخي في العراق في أشد الحاجة ولا يشعر بنا أحد ، ولولا أرحامنا وأهل بلدنا المغتربون في سيراليون ، الذين كانوا يساعدونه ويساعدوننا لباع والدي بيته الذي كان يملكه من قبل في حاريص ، من أجل هذا كله نكره القضاء (١) .

عَودَتُه الى وَطَنِه جَبَل عَامِل وسِيرَتُه فِيه ووَفَاتُه

عاد الشيخ بشير الى جبل عامل في شوال سنة ١٣٦٣ ألف وثلاثماية وثلاث وستين هجرية تقريباً ، وأقام في بلدته شوكين المجاورة لمدينة النبطية ، وبعد نحو سنة وشهر قرر الانتقال الى بيروت ، فاستأجر فيها منزلاً وانتقل اليه قبل وفاته بنحو أربعة أشهر ، ولا ريب أن منزله كان مجمعاً للذين يعرفونه قبل هجرته وبعد عودته ، وهم جماهير كثيرة .

وبلغني أنه تحدّى رشيد بيضون وهو يومئذ نائب الشيعة عن بيروت ، وطالبه بكشف حسابات واردات الجمعية العاملية ، وبيان طرق انفاقها ، لانه فهم انها تستغل في غير الجهات التي كان يتبرع بها المؤمنون لاجلها ، ولو لم يسبقه الاجل لغير

---

(١) أسهبنا في ذلك لانه يحمل صورة عن حياة العلماء في الجنوب قبل أكثر من ثلثي قرن .

الكثير وأصلح الفاسد .

وفي اوائل سنة ١٩٤٦م الف وتسعماية وست وأربعين ميلادية الموافق ١٨ جمادى سنة ١٣٦٥ هج الف وثلاثماية وخمس وستين ، عاد الى بلدته شوكين بقصد الاصطياف والاستجمام وتغيير الجو ، ولا شك انه كان ينوي القيام بالدعوة الى الله في قريته وجوارها ، لان معظم المغتربين في المَهَاجِر وفي بيروت يعودون الى بلادهم في ذلك الوقت .

وفي ليلة السبت في الثالث والعشرين من جمادى الثانية من نفس السنة -أعني ١٣٦٥ هج الموافق ١٩٤٦ م- توفي فجأة !

وعلمت بوفاته يوم الثلاثاء ٤ رجب سنة ١٣٦٥ هج ، فأقمت له فاتحة ثلاثة أيام متواليات : الاربعاء والخميس والجمعة ، في منزلي في محلة العمارة في دار بيت رحيم في النجف الاشرف ، حضرها العلماء من أساتذتنا وجميع من يعرفه ويعرفنا ممن بلغهم الخبر من أهل العلم وغيرهم ، وخيم الحزن على جملة ممن يعرفونه من أهل الفضل وكان الأسف عليه عاما .

فقد التقيت بالعلامة السيد يوسف الحكيم نجل آية الله الحكيم ما بين منزلنا ومنزل السيد الحكيم قرب بيت ابو البساتين ، فرأيته متغيراً جداً ، فاستفسرت منه عن حاله ، فأخبرني بأن هذا التغيير الجسدي والارتباك النفسي الذي ألم به بسبب وفاة الشيخ بشير حمود !

وعلم السيد الحكيم بذلك فنهاني واياه عن التفكير بهذا الامر .. وبعد هذا أرسلت رسالة تعزية لاخوته ، ورسالة مثلها من آية الله الحكيم ، وأوصيناهم بعياله وبنيه ، كما أرسلت رسالة بهذا الشأن لغيرهم ، ومنهم الحاج حسن أحمد الفقيه وكان في ذلك الوقت بارزاً في شباب كونين .

وكنت في ذلك الوقت أشعر بأنني فقدت أخاً في الله مؤمناً مخلصاً ، أُعدّه

للعون في ديني ودنياي ، وكان اول من عزّاني به عمنا الشيخ محمد رضا الزين وهو والد عيالي أم الرضا ، واليك ما جاء في تلك الرسالة بلفظه ، لانه شهادة من عالم ثقة مجاور له تدل على أن ما قلناه فيه هو بعض ما كان يتميز به .

قال رحمه الله ما لفظه :

(ان المرحوم ورد قريته شوكين المجاورة الى النبطية قاعدة جبل عامل منذ سنة وتسعة أشهر ، ولما رأى الناس منهمكين في الدنيا وزخرفها ، بعيدين عن الاخرة ونعيمها ، أخذ يبث تعاليم الدين في بلده والقرى المجاورة لها ، ويجد في اصلاح الناس ، فانتفعوا من وعظه وتحذيره ، وطار صيته في البلاد ، ثم عزم على سكنى بيروت لارشاد من فيها من الشيعة ، فاستأجر داراً أقام فيها أربعة أشهر ، وقام في مهمته خير قيام ، ولما دخل فصل الصيف تركها وعاد الى بلدته للاصطياف ، ولما مضى عليه ثلاثة أيام وهو فيها على ما يرام من الصحة والسرور بالاهل والاولاد والاخوان ، وصلى في الليلة الثالثة في المسجد جماعة ، وتعشى ، وسهر قليلا ثم دخل بيته وأوعز الى عياله : (اذا سمعتيني أشخر أجلسيني من نومي) فما مضى عليه عشر دقائق حتى شخر ثلاث شخرات عالية ، فوافته عياله فنادته ، فلم تجد به أثراً ، ثم دعي الطبيب فقرر أنه توفي في سكتة قلبية على أثر طعام وجماع ، كما جاء في كتاب العلامة الشيخ محمد علي نعمة لولده العلامة الشيخ عبد الله نعمة حفظه الله تعالى .)

شاعريته

تتجلى مواهبه الشعرية من خلال ديوانه الصغير الذي طبع بعد وفاته ، وسمي " ديوان البشير " وهو يشتمل على عدة قصائد ومقاطيع تدل على انه شاعر مطبوع ، وانه لو كتب له البقاء والاستمرار في النظم لكان له مكانة شعرية مرموقة ، من ذلك قوله في رثاء سيد الشهداء (ع) :

هل العز الا في متون الكرائم   او الموت الا تحت ظل الصوارم
وهل ذلّ أنف الدهر الا لمن وطا   بهمته هام العلى بالمناسم
أيا طالب العلياء مهلا فانه   لدون الذي تبغيه سمّ الاراقم

الى قوله :

وكن صابرا في كل أمر وحازما   فما انحط عزم الدهر الا لحازم

وقوله مراسلا بعض اخوانه :

كتبت وقلبي من جوى البعد مسود   ومن بحر دمعي هاطل الغيث يمتد
وسفن الأسى فيه تروح وتغتدي   مواخرها ريح المودة والوجد
وهذا محيط البحر قد بان حده   وبحر دموعي لا يبين له حدّ

مُؤَلَّفَاتُه

طبع له قبل هجرته للنجف مجموعتان من الشعر الشعبي :

الاولى : " بديعة الفن " .

والثانية : " حديقة الفن " وقد طبعت سنة ١٣٥٠ هج وكان عمره يومئذ ثمان وعشرين سنة ، وكانت الاولى قبل ذلك .

وله " ديوان البشير " جمعه ولده الاكبر الفاضل الشيخ محمود بشير حمود من

المسودات التي عثر عليها بين أوراقه ، وأعانه على ذلك العلامة الشيخ محمد خليل الزين العاملي الجبشيتي حفظه الله ، وفي النسخة المطبوعة أغلاط واضحة يعرفها الأديب .

وله ايضا (سيرة الرسول) مخطوط استخلصه من مجموعة السير التي كانت لديه ، وهو يشتمل على بعض التعليقات والمحاكمات التأريخية ، ولا ندري اين صار الان ، فانه كان قبل عودته الى وطنه بسنة أو سنتين مهتمـا في تـأليف كتاب حول السيرة النبوية، واستحضر جملة من المصادر المحيطة بهذا الموضوع ، وقلت له : هـذا موضوع مبتذل وقد ألف فيه كتب كثيرة ، فلو اخترت موضوعا آخر .

فقال : رأيت في بعض الكتب : (أن المسلمين لم يزالوا في خير مـدة مداولتهم سيرة النبي (ص) وصحابته ، ودرسها وتدريسها ، وتـأليف الكتب حولها ، وكانت الروحانية تغمر قلوبهم ، وأنهم لما تركوا ذلك تغيرت نفوسهم ، وتغيرت حالهم).

ثم بعد ذلك رجعت الى سيرة النبي (ص) وصحابته ، ووجدت ما قاله حقاً ، ورأيت أن من اهتم في مراجعة سيرة الرسول (ص) وسيرة صحابته ، ومارسها ، وجد في نفسه آثاراً قدسية ، وفقنا الله للعلم والعمل ، وجزى الشيخ بشير خيرا .

أَوْلَادُهُ

ترك عدة أولاد كلهم دون البلوغ ، أعرف منهم الشيخ محمود بشير حمود ، والحاج مرتضى ، وحيدر ، وعبد المنعم .

١- وَلَده الاكْبَر الفَاضِل : الشَيْخ مَحمُود بَشِير حُمُود

كان رحمه الله طموحا جريئاً منطيقاً فصيحاً جهْوَري الصوت ، صافي الحنجرة سخيا ، قوي الحجة ، شديد العارضة .

تلقى دروسه الأولية في سن مبكر عند والده في النجف الاشرف ، فقد كان هو وشقيقه يدرسان عند والدهما (الفية ابن مالك) و (شرح اللمعة الدمشقية للشهيدين) ، وبعد وفاة والدهم احتضنهم أعمامهم وحاولوا إرسال الشيخ محمود الى النجف فلم يقبل ، لانه عانى شظف العيش يوم كان يعيش فيها مع والده ، قلت له مرة : لماذا لا تذهب الى النجف ؟ فالتفت الى أخيه الحاج مرتضى وقال له : أتذكر يوم كنا نمر ببيت نصار ، فاذا رأينا قشر برتقال تقاسمناه !!

ولا أعرف كيف ابتدأ بالتكسب ولكنه لمع بعد بلوغه واشتهر بنشاطه بالعمل ، فكان يركب دراجة هوائية ويستطرق الأحياء ويشتري الخيش من البيوت ، ويعود قريب الظهر للسوق ويبيعه ، ويستفيد يومياً بمعدل أوسطه خمسون ليرة لبنانية ، وهذا المبلغ له قوة شرائية ، بينما كان أخوه لا يصل كسبه الى خمس ليرات لبنانية ، وكانا يسلمان المال لوالدتهما .

عرفت الشيخ محمود كما وصفته يوم كنت في النجف وزرت لبنان سنة ١٩٤٩م وأسست جمعية التعاون العلمي الديني ، وأدخلته عضواً فيها ثم أميناً للصندوق ، لانه كان أعظمهم نشاطاً في الجباية ، وكان بعد ذلك ينفق من كسبه الشطر الوافر في سبيل المشروع .

ومع ذلك ، عندما تولت لجنة المحاسبة محاسبته ، فوجدوه قد أهمل اسماً او اسمين كل منهما تبرع بأقل من خمس ليرات حتماً ، فاتهموه بالخيانة ، وأرسلوا لي رسالة بهذا الشأن الى النجف ، فسافرت الى بيروت ، واجتمع أعضاء الجمعية وشرحت لهم ما كان يفعله وينفقه من ماله الخاص في سبيل المشروع ، وانني سافرت واياه أكثر من مرة الى صيداء لطبع البيان ، ولم يسمح لي بدفع الاجرة ، ولم نسجله من صادرات الجمعية ، وأننا كنا نتنقل بسيارات الاجرة في بيروت ولم يكن يترك مجالا لأحد بدفع الأجور لتلك السيارت.

ثم اتفقت واياه على تنحية من اتهمه بالخيانة عن المشروع ، فتحدَّاه في النقاش فقدم استقالته فقبلناها بالاجماع ، وانتصر الشيخ محمود انتصاراً باهراً .

ثم بلغني بعد ذلك أنه هاجر الى ليبيريا ، وعمل واستفاد ولمع اسمه ، ثم لاقى نكسات تجارية ، فطار اليه أخوه الحاج مرتضى وأنجده ووفّى دينه .

وفي سنة ١٩٨٢م عاد مريضا الى لبنان ، وكنت موجودا في بيروت ، وعدته في آخر لحظات حياته ، وكان لا يجيب من يكلمه ، ولكن لما سمع باسمي هبَّ كأنه نشط من عقال ، ووجه اليّ عتاب الولد المخلص ، فقطّع نياط قلبي و لم أستطع الصبر ، وكنت اذا سمعت مثل ذلك أُصاب بدوار شديد ، لذلك أسرعت بالخروج ، ثم توفي رحمه الله .

وقد ترك أولاداً لا أعرف أحداً منهم ولا عِدَّتهم .

ملاحظة : القصة التي نقلناها عن الشيخ محمود تحمل صورة عن حياة فضلاء أهل العلم في ذلك الزمان ، فقد كان الشيخ بشير يُعدُّ من أحسنهم حالاً ، وهذا يدلّ على عفة أهل العلم وصبرهم .

٢- الحَاج مُرتَضى حَمُّود

الحاج مرتضى أنبل ابناء الشيخ بشير ، وأنبل بيت حمود الموجودين في شوكين، واشتهار اسمه ساعد على خلود اسم والده ، وسيبقيان خالدين ، والحاج مرتضى هو اليوم أحد تجار بيروت المعروفين ، وله مكاتب ووكلاء في عدة دول ، وله علاقات متميزة مع أهل الحل والعقد من العلماء كالسيد موسى الصدر والشيخ عبد الامير قبلان.

وهو اليوم فيما أعلمه المحسن الأول في تجار الشيعة اللبنانيين في لبنان ، ويشهد لذلك أمور لا تحصى ، فقد كان يقدم للايتام بواسطة المرحوم الشيخ حسين معتوق

كل شهر عشرة الاف ليرة لبنانية تقريباً منذ بدء التهجير من النبعة ، يوم كانت الليرة اللبنانية تعادل نحو ثلث دولار ، واستمر على هذا الحال بعد وفاة الشيخ حسين معتوق، واعتمد في توزيعه على السيد حسن شكر وهو رجل كامل ذو أناة وعقل ، وقد فارقت بيروت منذ الاجتياح الاسرائيلي سنة ١٩٨٢م وأقمت بين صور وحاريص ولا أعرف ماذا جد بعدي .

وكان ايضا يعطي عمه الحاج علي مصطفى الشوكيني راتباً شهرياً على ان يتفقد الايتام وأهل الضرورات خارج بيروت كما أخبرني بذلك عمه المذكور عندما كان يراجعني بمناسبة اشرافه على اتمام مسجد بلدتهم شوكين ، وكان الحاج مرتضى هو الذي يقوم بنفقات هذا المشروع .

وقد سألت أحد أبناء الحاج توفيق الفقيه الشوكيني عن حالة والده ، وكان مريضاً ، وكان عنده محل سمانة في حي اللجى في البناية التي اشتراها من المرحوم الحاج محمود حمود الشوكيني ، فأخبرني عن مرضه ووقوف عمله ، وقال ان الحاج مرتضى علم بذلك ، فقال له أدخله المستشفى على حسابي ولا تفكروا في شيء ، وأنا متعهد بكل ما يحتاجه مهما بلغ وكلف ، وكان الامر كذلك ، ولعله بقي نحو شهور على حسابه.

وأهم من ذلك كله ، أن الشيخ علي جعفر الذي يقيم في النجف الاشرف لطلب العلم ، وهو من بلدة ياطر من جبل عامل ، وكان مريضا بمرض عضال على أثر صدمة أدت الى قلع قحفة رأسه في صغره وإعادتها ، وبقي أكثر من عشر سنوات يعاني الآلام ويراجع الأطباء ، أطباء لبنان والعراق ، وأخيراً قرروا أن تكلساً في عظم القحفة يضغط على غشاء الدماغ ، وأن ذلك هو الذي يسبب له نوبات عصبية حادة فيفقد وعيه ، وانه لا علاج له الا في لندن او النيورك ، ونصحه طبيبه العراقي بالذهاب الى لندن لان المصرف أقل .

وهذا الطالب الفاضل عاش يتيماً وكـان أبوه وجيه قريته ، وهو يعجز عن الذهاب الى لندن ، فزار مرقد الامام موسى بن جعفر(ع) ، وتوسل الى الله سبحانه وتعالى وسأله أن يهيء له من يساعده على ذلك ، ثم توجه الى لبنان على أمل تهيئة أموره والتوجه الى لندن ، فمر في دمشق بالمرحوم السيد حسين مكي ، فساعده باليسير وحمّله رسالة لي وأخرى لاخي الشيخ علي الفقيه ، وقررنا السعي في تهيئة المبلغ وهو نحو عشرين الف ليرة لبنانية ، وهذا المبلغ في ذلك الوقت ليس سهلا علينا .

فكلفنا أهل الخير من بلدتنا حاريص ، فبعضهم تبرع بخمسماية ليرة وبعضهم تبرع بأقل ، ولكن ذلك كله لم يوصلنا الى نصف المبلغ بل ولا الى ثلثه حسبما أتذكر، فكلفت الحاج مرتضى وكلفه أخي الشيخ علي ، ولم يكن أحدنا يعلم بتكليف الآخر، فجاءنا الحاج مرتضى وعرضنا الامر عليه ، فطلب مني تعيين المقدار وأنا لا أفكر الا بالالف ليرة لانني أعيش في محيط حاريص في محيط المائة والمائتين ، فتوقفت ، فجعل يشجعني ويقول قوِّ قلبك ، وأخيراً لا اتذكر المبلغ الذي دفعه ولكنه حتما كان يعادل ما دفعه عدة اشخاص(١) .

---

(١) وأحب تلخيص ما حدث للشيخ المذكور ، فقد توجه الشيخ علي جعفر الى لندن ، واصطحب معه الشيخ جعفر الصائغ ودخل المستشفى وأجريت له الفحوص وتبين ان هذه النوبات العصبية ناشئة عن وجود كيس ماء في مقدم الرأس ، وقرروا استخراجه بعملية جراحية صعبة ، وبعدما اتفقوا على ذلك سألهم استاذهم البروفسير وهو شيخ هرم عما استقر عليه رأيهم فأخبروه ، فقال لهم انه يبرأ بذلك ولكنه مهدد بفقد البصر ، وينبغي إعلامه بذلك ، ولما أعلموه بذلك امتنع وطلب منهم دواء يخفف ما به ، فقالوا نستطيع ايقافه عن الزيادة وأما التخفيف فهو أمر آخر ، فرضي بذلك .

والذي أعتقده أنهم عالجوه بإبرة من الاشعة ، بقي غائباً عن الوعي نحو يومين وعندما انتبه سأل الشيخ جعفر الصائغ : هل دخل وقت الصلاة ، وخف عنه المرض وكاد يشعر بالبرء وهو الان في النجف الاشرف ولا اعرف عنه الا انه بخير .

ثم قال لي أنت غير مسامح اذ علمت بمريض عاجز عن العلاج ، الا ان ترسله الي وانا أقوم بنفقاته .

ثم انني التقيت بالحاج مرتضى حمود مرة بمناسبة شرائه معملا من الحاج محمود شاهين ، فعرض قصته ، وخلاصتها ان المعاملة كانت مبنية على الثقة وحسن الظن بالبائع الذي هو الحاج محمود شاهين ، وبعد عرضه لقصته لم يناقشه الحاج محمود شاهين بشيء مما ذكره ، وهذا يدل على ذكاء الحاج مرتضى واحاطته بشؤونه .

ثم قال الحاج مرتضى : بعدما طلبت من الحاج محمود فسخ المعاملة ، قلت له : المعمل يعود لك ، وانت بريئ الذمة مما دفعته ، لكن بشرط أن لا يعرف احد بما جرى ! لانني اذا نزلت الى البور تتحاماني التجار ويخافون مني فاذا علموا بأنني اشتريت بضاعة بدون أن أراها أو بدون ارسال خبراء من قبلي لفحصها والتعرف عليها ، استخفوا بي ، وربما جعلوا ذلك بابا للسخرية .

ثم تظلم من كثرة متاعبه واشغاله التي هي أكثر من وقته ، وقال : أتمنى ان أكون كما كنت يوم أقبض يوميتي أو اسبوعيتي وأسلمها لوالدتي ، ثم تعطيني منها الليرة وشبهها ، فأذهب الى المقهى او السينما وأستمتع بساعات الراحة .

قلت له : قلل أعمالك ، ولا تعرض نفسك للمتاعب الكثيرة ، فان المتاعب قد تودي بصحة الانسان من حيث لا يحتسب .

فقال : عندما تأتي الرزقة الى البيت كيف يردها الانسان ، والتجار يقصدونني الى بيتي ولا يتركونني ، ثم قال : عندي من المال ما يكفيني ويكفي عائلتي ومن أهتم بهم وأقوم بشؤونهم من أقاربي ، ولكنني اليوم أشتغل وأعمل لحساب الفقراء ، لان ما يأتيني أعده للصرف في سبيل الخير .

قلت : هنا تتجلى مواهب الحاج مرتضى حمود وتنعكس نفسه الكريمة ، وهذه القصة وما سبقها ، تعطينا انطباعات يتميز بها انسان عن انسان ومتمول عن متمول.

وأما مساهمته في المشاريع العامة أثناء انعقاد الحفلات للتبرع ، فانه يكون فيها في الطليعة حسبما أسمع ، وفي نظري أن هذا النوع من العطاء يمثل النخوة والشهامة اكثر من كل شيء مضافا الى ارتباط المصالح التجارية بهذه التبرعات ، لانه يكتسب بها رضا الجماهير من جهة ، ورضا رجال السلطة من جهة اخرى ، فيسهلون معاملاته ويحافظون على كرامته .

جَلَدُه عَلى العِبَادَة

في نهار السبت ١٤ ذي الحجة سنة ١٤٠٧ هج الف وأربعماية وسبعة للهجرة الموافق ٨ آب ١٩٨٧م الف وتسعماية وسبعة وثمانين ميلادية ، استقليت الطائرة من جدّة عائداً من الحج الى لبنان ، فجلس على المقعد الذي بجانبي شخص لم أعرفه لأول نظرة لانني لم أره منذ ست سنوات تقريباً ، ثم تأمّلته فاذا هو الحاج مرتضى ، فتبادلنا السلام والسؤال ، ثم انقطع كل منا الى شأنه ، فلاحظته فوجدته مشغولا بذكر الله سبحانه لم ينقطع عنه حتى نزلنا من الطائرة ، وكنت أراه كأنه في سبات ولكن لسانه يتحرك ويده تدير السبحة ، فأعجبت به وأكبرته وازداد حبي له ، وكنت قد ذكرته بالدعاء كثيرا قبل لقائي به .

وقبل بضع سنوات التقيت واياه في موسم الحج على جبل عرفات ، وكان المطوف غنام قد قارب بين خيامنا ، فاجتمعنا نحن والشيخ عبد الامير قبلان ، والمرحوم السيد عباس ابو الحسن والشيخ علي شور ، والحاج محمود شاهين ، وأخوه الحاج يوسف وابن أخيه الحاج عباس شاهين والحاج علي مرجي والحاج علي الشاعر وغيرهم في خيمة واحدة .

وبعد العشاء اشتغل الجميع بالعبادة والدعاء كل مع من يتلائم معه ، ونام معظم القوم قريب نصف الليل ، وثبت الحاج محمود شاهين والحاج مرتضى بالدعاء

والابتهال ، وندبتهم الى الاستراحة ولو قليلا فلم يستجيبا ، ثم بقي الحاج مرتضى مستمرا بالدعاء حتى طلوع الشمس ، فأدهشني جلده على العبادة ، وتيقنت ان نجاحه التجاري هو نتيجة الصبر والجلد والايمان .

وقد كنت أتفرس به شيئاً من هذا في طفولته ، فقد قلت له مرة : هل تحب أباك أكثر أو أمَك اكثر ، فأجاب : أحب أبي أكثر ، فزجره والده بلطف وهدده بأنه سيعلم والدته ، وقلنا له : اليس أمك هي التي تطبخ لك الطعام وتغسل الثياب وتنظف بدنك ، قال : نعم ولكن من الذي يجلب الطعام والثياب ويدفع الثمن !

للتاريخ

الحاج مرتضى حمود كان من المخلصين للسيد موسى الصدر والمقربين منه ، ولعل السبب في ذلك هو ما حدثني به الحاج مرتضى مرة ، فقد قال :

في سنة ١٩٦٨م كان الجيش اللبناني يستعد للمحافظة على حدوده ، اوللمساهمة مع الجيوش العربية عندما تهاجم اسرائيل ، فقد كان يشاع في ذلك الوقت بان الجيوش العربية ستهاجم اسرائيل في السابع من حزيران من السنة المذكورة لتستعيد ما استولت عليه اسرائيل من فلسطين وغزة .

وقد استدعى ضباط الجيش اللبناني تجار الخيش ، وطلبوا منهم كميات كبيرة من الخيش ، فاعتذروا بأجمعهم وقالوا : لايقدر على ذلك الا مرتضى حمود ، فاستدعاه الضباط وكلفوه ، فاعتذر ، ولكنهم لم يقبلوا أعذاره وبذلوا له ما يريد ، فاتفق واياهم على السعر الذي يريده ، وجعل يبذل لتجار الخيش أثمان مغرية طلباً للسرعة في التلبية ، فكان ما أراد.

ثم انصرف العارض ورفض الجيش قبول البضاعة ، وكان رفضها يؤدي الى خسارة واضحة ، ثم جعل يلح بالمطالبة في حقه المشروع ، وتضايق المسؤلون ،

فقرروا فتح البضاعة وفحصها ، وفتحوها فوجدوها غير مستجمعة للمواصفات المتفق عليها ، فقلبوا الامر عليه ، وقرروا تقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة والتلاعب مع الدولة ولعلهم فرضوا عليه غرامة مالية مضافا الى رفض البضاعة .

فجعل يستعين بمن يعرفهم من أعيان الضباط وغيرهم للتخلص من هذه الورطة فلم يستفد شيئا ، فأشار عليه بعضهم بأن يتصل بالسيد موسى الصدر ، وكان لا يعرفه .

قال : فقلت في نفسي : رجل دين ما عسى ان يحصل منه ، ولكن الغريق يتمسك بالطحلب ، قال : فكلفته ، وكان يومئذ متجها الى اصلاح الفتنة التي حصلت بين المسلمين الشيعة وبين المسيحيين في دير الأحمر ، فوعده خيرا .

وبعد عودته أخبره باغلاق الملف وانتهاء المشكل .

قال الحاج مرتضى : فسألته كيف كان ذلك .

فقال : هذا أمر لا يعنيك .

فالح عليه فقال : بعد عودتي من اصلاح الامر بين المسيحيين والمسلمين زرت القائد اللبناني للجيش ، وشرحت له كيفية صرف المشكل ، فارتاح القائد لذلك لان هذا الامر كان يشغل بال الدولة .

ثم لما هممت بالانصراف ، خرج القائد يودعني ، فقلت له : كيف رأيت هذا العمل ؛ فمجّده وشكره .

فقلت له : أليس يحتاج هذا العمل الى (شيرينة) -وهي بلغة الفرس بمعنى الحلاوة -

فقال القائد :ماذا تأمر ؟

فقال له السيد : حل مشكلة مرتضى حمود .

فأجابه القائد بقوله : صار !

بعد ذلك أصبح الحاج مرتضى من أعظم المخلصين للسيد موسى الصدر ، ثم قال الحاج مرتضى : وبعد ذلك أصبحت كلما وردتني بطاقة دعوة من السيد موسى الصدر لحضور حفلة او وليمة ، يكون الجواب شيكا بمبلغ من المال وفاء له ، وهذه المبالغ لا أحسبها من الحقوق .

هذه القصة تشير الى الاسلوب الذي استعمله السيد موسى الصدر لحل مشكلة الحاج مرتضى ، وتدل ايضا على نبل الحاج مرتضى حمود وعلى اسلوبه الممتاز في الوفاء ومكافأة الجميل .

وسألت عمه الحاج علي مصطفى حمود عن السبب في انقطاعه الى السيد موسى دون سائر العلماء قبل أن اسمع الحديث الآنف من الحاج مرتضى ، فأثنى على تمسك الحاج بالدين وبالعلماء ، وقال : أظن السبب هو ما صنعه معه .

وقال : ان الحاج اشترى مخلفات الجيش البريطاني في " عدن " بعدما عرضت للبيع ، وقصدها التجار من الأقطار ، بسبعة ملايين ونصف استرليني ، وكان هذا المبلغ في وقته يعدُّ عظيما ، وكانت حكومة اليمن الجديدة نفسها تعجز عنه ، ثم لما أراد تصدير البضاعة الى الأسواق التي تباع فيها ، منع قحطان الشعبي من ذلك ، وكان تصريفها في عدن يؤدي الى عجزه عن أداء ثمنها .

فعلم السيد موسى بذلك ، فاتصل بحكام دمشق في ذلك الوقت ، واتصلوا هم بقحطان الشعبي ، فأفرج عنها ، واستفاد كثيرا .

إخْوَتُــهُ

كان للمرحوم الشيخ بشير حمود عدة اخوة ، أعرف منهم:

- ابو رامز وهو أكبرهم ، ولكنه كان لا يعيش معهم ، فلم أره معهم في مجتمعاتهم .

- وأعرف منهم الحاج محمود وهو أشهرهم وأنبلهم .

- والحاج احمد وكان مشتركاً مع الحاج محمود في عمل واحد مدة لا أعرف حدودها .

- والحاج علي وهو أصغرهم .

وكنت اذا جئت الى بيروت من النجف أُدعى عند الحاج محمود في منزله في حي اللجى ، ويجتمع شباب شوكين عنده ، ثم لما انتقل الى راس النبع ، كان يدعوني ليلة أحد أو جمعة ، وكانت مائدته سخية ، ولا يدعو معي أحدا ، ولعله لانه يحب الانفراد معي ، وكنت أرتاح لصحبته لانه رجل عاقل ، قوي الايمان شديد العلاقة بالله سبحانه .

وكان عضوا في جمعية التعاون العلمي الديني ، التي أسسناها في ذلك التاريخ ، وكان أقوى المساعدين لها معنوياً ومادياً ، وحاول جهده ان يساعدها بدون الانتساب اليها ولكننا تغلبنا عليه .

وكان ذكياً يستطيع حلّ المشاكل الحسابية بسرعة غريبة ، وقد امتحنته عندما اعلموني بذلك ، فسألته مسائل عدة ، بعضها يحتاج الى ضرب وطرح وجمع وفيها أرقام كثيرة ، وبعضها فيها كسور ، فكان يرفع رأسه ثم يغرب عينيه ثم يقول : (هيهاي) هذه سهلة ويعطينا الجواب !!

ومن القصص التي جرت لي معه وهي تدل على عقله وايمانه وسخائه ما يلي :

اول مرة رأيته فيها وتعرفت عليه في كربلاء سنة ١٣٥٧ هج الف وثلاثماية وسبعة وخمسين هجرية ، بعد وفاة أخيه الشيخ بشير ، فانه زار العراق وكنت أنذاك في كربلاء بقصد الزيارة ، فخرجت قريب المغرب الى نهر الحسينية الذي يجري شمال كربلاء بغرب ، وكان معي بعض أهل العلم ، وكنا نذهب في هذا الوقت بقصد الاغتسال في النهر ثم نعود الى الحرم الشريف بعد صلاة المغرب تفادياً للازدحام

الشديد الذي يكون فيه في أوقات الصلاة ، ولان الزوار يهتمون في حضور صلاة الجماعة في ذلك الوقت ، ويهمهم زيارة الحرم بعد الفراغ من الصلاة ، ويكثر التدافع لضيق الصحن الشريف والحرم وتوابعه عن استيعاب الجموع التي تعد بمئات الالوف .

وفي أثناء سيرنا في الشارع المحيط بكربلاء من جهة المخيم ، التقيت بشخصين أو أشخاص من الزوار العامليين يسيرون في ذلك الشارع ، فاستوقفتهم ، وقلت لهم : انتم زوار ؟

قالوا : نعم .

فقلت لهم : مثلكم في هذا الوقت ينبغي أن يكون في الصحن وينبغي ان لا تفوته صلاة الجماعة ، لانكم جئتم من بلاد بعيدة ، ومثلكم لا يزور في عمره الا مرة واحدة ، ولا يتوفق لحضور صلاة الجماعة الجامعة التي تجمع الالوف ، واذا قلتم لي لماذا لا تحضر انت قلت لكم نحن حضرنا ونحضر مثلها مئات المراتْ لاننا مقيمون هنا.

فقالوا : نحن ذاهبون للصحن لندرك الجماعة .

فدعوت لهم بالتوفيق ، وانصرفت وانصرفوا ، وبعدما ابتعدنا عاد الي احدهم واستوقفني وقال : (بالله عليك انت منين) ؟

فقلت له : انا من جبل عامل من بلادكم ، وانا تكلمت معكم لان غيرتي الدينية دعتني لذلك .

فقال : ما اسمك ، فامتنعت عن الجواب ، فأصرَّ ، فلم أجبه .

فقال له بعض من كان معي : الشيخ محمد تقي الفقيه .

فبادر الي واحتضنني وجعل يبكي بكاءً عالياً ، وقال : انت اخي .

فقلت له : ومن أنت ؟

قال : انا الحاج محمود مصطفى الشوكيني ، وكان أخي المرحوم الشيخ بشير يحدثنا عنك ويوصينا ويقول : اذا صار عليَّ شيء فليس لكم بعدي مرجع الا الشيخ

محمد تقي الفقيه ، فسلمت عليه من جديد وحرضته على السرعة بالذهاب ليفوز بصلاة الجماعة ، وضربت معه موعدا ، ثم التقينا .

فلما التقينا ، قدم لي ماية دينار عراقية ، وكان لهذا المبلغ قوة شرائية يعادل اليوم عشرات الالوف ، ثم قال : (هذه حقوق ، ان كنت أنت محتاج او مديون مش مسامح تعطي منها احد ، واذا اردت ان تعطي المستحقين ، لازم تعطي الطالب اللي بيجد وبيتعب اكثر من اللي ما بيجد حتى لو كان اللي ما بجد محصل علم اكثر)!

فأجبته بما لا أتخطر وتسلمت المبلغ ، واعلمت به السيد الحكيم ، وأخذت لنفسي منه عشرة دنانير ، وقسمت الباقي على اخواني العامليين ، وهم يومئذ عدد قليل اقل من عشرة ، فعلت ذلك مع أنني كنت مديونا تعففا وحبا باخواني .

وانت ترى عقلية هذا الرجل من كلامه المتقدم .

ثم تواعدنا لنلتقي في النجف ، و لم أدعه الى منزلي لانني لا أقدر على التقيد به وعلى القيام بشؤونه ، فالتقينا في الصحن الشريف ، ودعوته على طعام الغداء .

فقال : لاتتكلف ، فروج دجاج وكبّة فقط .

فصنعت له ما طلب ، ولما حضرت المائدة، قال : (انا اذا اكلت عند أحد لا أرحمه ، وهو اذا أكل عندي مش مسامح يرحمني) !

وهنا أحسست بسماحة هذا الرجل وكرم طبعه .

وحدثني ايضا في ذلك الوقت بما يلي :

قال : عندما كنا في مدينة الكاظمين، اجتمع المعرّفون وجميع الزوار الذين لا يحملون تأشيرة تسمح لهم بدخول الاراضي الايرانية ، ثم ذهبوا الى السفارة الايرانية في بغداد ، وكنت واحدا منهم ، وطلبوا تأشيرة تخولهم الدخول الى ايران ، فامتنعت السفارة ، مدعية ان ذلك من صلاحية السفارة الايرانية في بيروت !

قال : وعظم علي ذلك ، لان أشغالي لا تسمح لي بالعودة الى لبنان ثم الى

زيارة خراسان .

قال : عدنا من بغداد ودخلت حرم الامام موسى بن جعفر (ع) ودعوت الله تعالى ان يسهل لي ولرفيقي فلان – سماه ونسيته- فاستجاب لي دعائي .

فابتسمت وقلت له : كيف استجاب ؟

فقال : عندي علامة أعرفها .

فقلت له : وكيف ذلك ؟

قال : قبضت القفص بكلتا يدي وهززته وقلت (هي هي وينك يا باب الحوائج موسى بن جعفر ، فكش شعري – يعني اقشعر جلدي – وهذه هي العلامة) !

قال : ثم رجعت للمنزل فوجدت الزوار يتداولون هذا الامر ، ثم قالوا : ماذا تريد ان تصنع ؟

فقلت لهم : أما انا وفلان فقد فيزنا وسنسافر انشاء الله تعالى .

قالوا : ألسنا كنا جميعا و لم يفيِّزوا لأحد ؟

فقلت لهم : نحن فيَّزنا هذه الليلة .

فقالوا : كيف والسفارة لا تفتح ليلا .

فقلت لهم : فيّزنا ، و لم يفهموا مقصودي .

قال : وفي صباح تلك الليلة ذهبت انا ورفيقي وحدنا للسفارة ، ففيّزوا لنا بدون تردد !!

وفي سنة ١٩٤٩م تقريبا ، جئت من العراق لزيارة المرحوم الوالد ، وكنت اذا زرته لا أقيم في لبنان الا أياما او أسابيع قليلة ، وبينما كنت واقفا أمام منزل الوالد وهو على راس النبع في نهاية النويري مقابل المفرق شبه الصليب ، التقيت بالحاج محمود حمود متجها الى منزله في حي اللجا ، وهو يحمل كمية من الادوية فاحتضنها بساعده الايسر وسلم علي .

فسألته : ما هذا ، وكان يصعب عليه التنفس ؟

فقال : هذه أدوية للربو ، ومصلحتنا لا تتفق مع هذا المرض والطبيب قال لي : لا بد لك من ترك المصلحة والا فستموت وأنت واقف بدون أن تشعر .

فدعوت له بالشفاء ، وافترقنا ، وبقيت متأثراً لاجله .

وعدت للعراق و لم اتصل به بعد ذلك ، وكنت كلما تأخرت عن الاستعلام عن حاله اشعر بالتقصير والحياء أكثر .

واعتقدت اخيراً بموته لانه لو كان حياً لراسلني ، واستدام هذا الى سنة ١٩٦١م تقريبا وهي السنة التي غادرت فيها العراق مغادرة شبه نهائية ، وكنت أقيم في حاريص وكانت ظروفي لا تسمح لي بالاتصال ببيروت ، ثم في سنة ١٩٦٤م تقريبا قررت الانتقال الى بيروت واستأجرت شقة في بناية التكجي في شارع اسعد الاسعد مقابل صيدلية الامل ، وبينما كنت واقفا في الشارع امام البناية المذكورة ، نزل شخص من سيارة ومعه عياله وذهب الى ملحمة في حوانيت تلك البناية ، وجعل كل منا يطيل النظر للآخر .

فقد كنت أظر اليه لانه يشبه المرحوم الحاج محمود حمود ، ثم قصدني وقال : بالله عليك مش انت الشيخ محمد تقي الفقيه ، وكنت قد تغيرت كثيرا لان الشيب عجل باستيلائه على عارضي .

فقلت له :انا هو .

ولما تكلم عرفته فقلت له : جنابك الحاج محمود ؟

قال : انا هو .

فتعانقنا وأخذت بيده وقلت : تفضل الى البيت ، فرجع وأودع ما كان معه عند القصاب وصعدنا جميعاً مع عياله للطابق الثاني فوق الارضي ، ولما صعدت ندمت كثيرا على ما فعلت ، لانني أعلم انه مصاب بالربو ، وصعود الدرج يزعجه ،

وخفت ان يصيبه في منزلي ما وعده الطبيب به ، ثم تطهرنا وصلينا ، وقدمت له الطعام وتحدثنا ، فوجدته طبيعياً الى الغاية ، و لم أرَ للربو أثراً .

فقلت له : الست كنت تشكو الربو .

قال : بلى ، ولكن تخلصت منه والحمد لله .

فقلت له : كيف تخلصت منه ؟

قال : استعملت دواء أفادني .

فقلت له : هذا مرض موجود بكثرة ، فما هو الدواء ، علمنا عليه او دلنا عليه لنرشد المرضى اليه .

فقال : هذا الدواء غالٍ جدا .

فقلت له : يوجد من يشتريه مهما كان غاليا ، ففي بلدتنا شخص يعز علي اسمه الحاج اسعد ناصر ، مبتلى بهذا المرض وعنده اولاد مغتربون ومقتدرون ومستعدون لكل غالٍ ورخيص في سبيل والدهم .

فقال : لقد تكلم بنظير هذا الكلام الدكتور بهجت الميرزا وأجبته بهذا الجواب.

ثم قال : : حضرت حسينية النبطية في اليوم السابع من المحرم ، فقرأ الخطيب مصرع العباس (ع) ثم صعد المنبر الشيخ محمد تقي صادق - الله يجبر دياتك ودياتو - وتكلم وفجّع وكثر البكاء ، ثم قال هذا اليوم يوم العباس باب الحوائج ، فمن كان له حاجة فليطلبها من الله تعالى فانها تقضى ببركة ابي الفضل .

قال : فبكيت بكاء شديدا وقلت لله عز وجل : اليوم أريد اما الموت واما العافية ، فقد أصبحت أشعر بانني ثقيل على أهلي وأولادي مع انني انا صاحب النعمة، اقول هذا وانا على حال غير طبيعي ، وعدت لمنزلي ونمت .

وفي الصباح اشتد بي السعال وجعل يخرج مني بلغم مثل العجين حتى استدار لكثرته مثل الصينية ، وقد كادت نياط قلبي تتقطع ، وأصابني جهد عظيم حتى

خشيت على نفسي .

ثم لاحظت في هذا البلغم شيئاً شبه البندقة ، فاستخرجته بعودة فوجدتـه يابسـاً لو دققته بالدقماقة لم يتغير .

ولعله قال ثلاث بنادق ، وكان يقول بدل البندقة مثل (الكلة) .

قال : وقمت منهـاراً ، وخفـت ان يصيبـني في اليـوم التـالي ماأصـابني في اليـوم الاول ، وأصبحت في اليوم الثاني وقد أصابني نظير ماأصابني في اليـوم الاول ، الا انـه كان أخف ، وبعـد ذلـك شـعرت بالراحـة وخفـة التنفـس ، ولبسـت ثيـابي وذهبـت للدكتور بهجت الميرزا ، وهو طبيبي الخاص لان ولدي محمد متزوج ابنته .

فجعل يفحصني وقال بعد التأكد : لا أثر للربو .

فقلت له : يا حكيم ، دقّق انت كنت تقول كذا وكذا .

فأعاد علي : لا اثر للربو عندك أبدا .. شو مسوي ؟

فقلت لـه : استعملت دواء وارتحت لـه ، فـابتهج الدكتـور وأخـذ يلحُّ علـيَّ بالاستعلام عن الدواء وأنا أمتنع ، وكان يقول لي : هذه خدمة انسـانية تنفـع النـاس ، وأخيرا قلت له : الدواء غالٍ جدا ، وأخبرته بما جرى ، فسكت وقال : الله على كـل شيء قدير - نقلناه بالمعنى - .

ومن جملة ما اعرفه عن هذا الرجل من قبل ، انني كنت اتفهمه في اوائل معرفتي به ، فرأيته صباح اليوم الذي كنت نائما عنده فيه وهـو يراقـب دفـاتر ولـده محمـد - وكان الحاج أميًّاً - فيقول لولده ، وكان دون المراهقـة : (ليـش هـذه الصفحـة فيهـا بياض) ، ومن رآه يفعل ذلك ظن انه من أبخل الناس .

ولكن في ذلك النهار كان قد أعدَّ له معطفاً ، اشتري بستة وخمسين ليرة لبنانيـة وكان لهذا المبلغ قيمة شرائية يستطيع ان يشـتري بهـا احـد عشـر مـترا مـن الارض في الشياح ، ففي ذلك التاريخ اشترى كل من الحاج محمد امين وأخوه الحاج علي مرجي

أرضاً للبناء من الحاج ابراهيم عواد كل متر بخمس ليرات ، والمتر الواحد اليوم يعادل اكثر من ألف ليرة حتماً .

وفي ذلك الوقت أخبرني الحاج محمود ان زوجته كلما أنجبت ولداً ذكراً اوأنثى يهديها خمسماية ليرة لبنانية ، وكانت الخمسماية تكفي لشراء ماية متر من الارض في الشياح في ذلك الوقت .

هذا بعض ما أعرفه عن هذا الرجل ، رحمه الله وايانا برحمته الواسعة .

(٤)

ترجمة

المَرحُوم

الشَيخ قَاسِم محي الدِين

النَجَفي مَولِداً ومَوطِناً

والعَامِلي الأصل أبَاً وجدّاً

وفيها

لمحةٌ شيّقةٌ قيّمة

عَن

الأستَاذ محمَّد عَلي الحُومَانِي .

بقلم المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد الشيخ قاسم محي الدين في سنة ١٣١٤هج ، وتوفي في سنة ١٣٧٦هج .

كان منزلي ومنزل أخي الشيخ علي الفقيه وصهرنا الشيخ رضا فرحات ، قريبا من منزله في محلة العمارة في النجف الاشرف ، قرب" القباب الزرق " مقابر آل كاشف الغطاء .

وكنا نتلاقى معه في منازلنا وفي منزله وفي الطريق ، وأظهر صفاته أنه كثير الحفظ ، مولعاً بحفظ الألفاظ اللغوية وضبطها واستحضار الغريب منها ، متخصصاً بعلم العروض ، محيطاً به ، وكان بيته منتدى يلتقي به أهل الأدب والظرف ، وكان يتقصد جمعهم لهذه الغاية ، و يقدم لمن يتأخر منهم عنده ليلا ما يتمكن عليه من الطعام الحاضر .

وكان عنده مكتبة ثمينة ، فيها مخطوطات كثيرة ، منها كتب بخطوط أربابها ، ومنها كتب العلامة الحلي ، وخطه يكاد يكون غير مقروء حسبما أتخطر ، ويقال ان ولده الوحيد فخر المحققين هو الذي كان يحسن قراءتها وانها لولاه لضاعت .

وقد عرض علينا كتاباً مخطوطاً ، كتب على أول ورقة منه جدولاً في شكوك الصلاة ، قال في أوله :

(هذا الجدول منسوب للامام العلامة الشيخ علي الفقيه العاملي او للامام العلامة الشيخ احمد ابن الشيخ علي الفقيه العاملي - الترديد مني لاني دونت هذا في وقت متأخر بعد مضي زمن عليه -).

والتقيت به مرة حوالي سنة ١٣٥٤هج وهو ذاهب الى منزله ، وأنا عائد من

درس استاذنا السيد حسين الحمامي المحاور له ، التقيت به عند القباب الزرق ، وهو يحمل سمكة كبيرة ، فسلمت عليه وقلت مرتجلا :

قل لابن محي الدين في علمه ولابن محي العلم في دينه
ان كنت ذا النون فاني امرؤ رغبت أن آكل من نونه

ثم افترقنا والتقيت بالشيخ محمد حسين الزين ، فتلوت عليه البيتين ، فقال :

لا يطمع العاقل في نونه فانه غاص بعرنينه

وكان رحمه الله عظيم الأنف ، وكان هو نفسه يحفظ مقاطيع تتعلق بالأنف الكبير ، علق منها في ذهني قول القائل :

لك أنف يا ابن عوف أنفت منه الأنوف
انت في الركن تصلي وهو في البيت يطوف

وقد طبع له في حياته عدة دووايـن وأراجيز في مواضيع خاصة ، معظمها او كلها تتعلق بأهل البيت (ع) ، وله قصائد أخرى مطولات ، وقد تكون مقاطيعه لا تكاد تحصى ، وشعره من قسم الوسط .

نموذج من شعره

في سنة ١٣٥٣ هج تقريباً ، استدعاه بعض أرحامه من سكان جبل عامل لزيارة جباع ، فزارها وخالط علمائها وأعيانها وأهل الأدب فيها ، ولعله كرر الزيارة وأرسل بهذه المناسبة قصيدة مطولة الى عمنا العلامة الشيخ محمد رضا الزين ، وأجابه بقصيدة مماثلة لها .

وأحفظ له من قصيدة أخرى أرسلها بهذه المناسبة قوله :

وعلى امام الفقه يوسف حجة الـ ـإسلام من ساوى الرضي المرتضى
ذاك الذي ملأ الصدور بفضله حنقا فحركها عليه وحرضا

وانما علقا بذهني ، لانهما يتعلقان بالشيخ الوالد ، ولانــه كـان يكررهمـا علينـا عندما كنا نجتمع به ونتبادل المجاملة معه .

ومن أراد المزيد عنه فليراجع تتمة أمل الآمل للدكتور عبد الرزاق محـي الديـن ، وهو من ابناء عمومته ، ولعله ابن عمه القريب به ، وهو كتـاب مطبـوع وعندنـا منـه نسخة الا انها بعيدة عنا فعلا .

حَدَثٌ وحَدِيثٌ تَارِيخيّان

واليك القصة التالية ، التي تعطيك صورة عن مكانة المترجم لـه في آخـر أيامـه ، وتشتمل على حديث تاريخي أدبي ، قد لا تجده في غير هذا الكتاب ، بل تشتمل علـى أحداث :

كان الشيخ محمد علي الحوماني العاملي طـالب علـم ديـني في النجـف ، فلبـث فيها نحو سنة او سنتين ، ثم ساءت صحتُه بسبب رداءة الطقس وشظف العيش ، فعاد الى وطنه جبل عامل ، وزاول فيها ما يزاوله أمثاله ، وكـان يمـارس الشـعر ويحـاول في شعره معالجة المشاكل المعاصرة بحماس وجُرأة ، فلمع نجمه حتى صار يُعدُّ من شـعراء العرب في وقته ، ومن شعراء الجنوب البارزين بجدارة واستحقاق .

وكانت مجلة العرفان الشهيرة في ذلك الوقت منبراً له ، وكان صـاحب العرفـان يمهد له ويشجعه ويميز قصائده بالإخراج .

ثم اختاره الملك عبدا لله ملك الأردن لتعليـم اولاده ، وبقـي شـهوراً أو أكـثر ، وكانت ميول صاحب العرفان هاشمية ، ولا أظن الحوماني يفترق عنـه ، والـذي أظنـه أن استدعاء الملك عبد ا لله له رفع من مكانته .

ثم انتشر اسمه في المهجر ، وكان المهاجرون يتوقون الى وجود عالم ديني شـيعي بينهم ، وكان العلماء يرَون السفر الى المهجر أشبه بالتعرّب بعد الهجرة .

وأخيراً استدعوه ، ظناً منهم أنه عالم ديني منفتح ، وأنه يتلائم مع الأجواء التي يعيشونها ، ويكون وجوده بينهم ضمانة لصيانة أبنائهم وأحفادهم من الضياع ، لان كل من وُلِدَ لهم في المهجر لا يجد طريقاً للتعرف على لغته العربية ، ولا سبيلا الى معرفة الدين الاسلامي .

ويوجد عندي رسالة او اكثر موجهة للشيخ الوالد من الشيخ عبد اللطيف الخشن (١) باسم المغتربين ، يشكون هذا الامر ، ويستصرخون ضمير العلماء الصالحين المصلحين ، ولكن الظروف بأجمعها لم تكن تسمح بشيء من ذلك .

ولما وصل اليهم استقبلوه استقبال القائد الفاتح ، ثم التفوا حوله أجمع .

وكأنني أتخطر انه حدَّث : بأنه خطَب المهاجرين عند وداعهم ، وحرَّضهم على العودة الى بلادهم لاعمارها والعمل فيها ، وأنه أنشدهم بقوله :

تَطَلع عا راس الجبل واشْرِفْ على الوادِيْ
وبْقُولْ طَابْ الهَنَا نَسَّمْ هوى بلادي

ولعله أنشدهم ايضا :

يا مْفَرْعَا بالنَّدى رُدِّي على نْهُودِك

---

(١) الشيخ عبد اللطيف الخشن من بلدة سحمر او يحمر قريب مدينة مشغرة على مقربة من سد القرعوني ، وله مقالات في مجلة العرفان ، وقد التقيت بأخيه صدفة حوالي سنة ١٩٦٤م ، ولست أدري هل كان أخوه حيا او لا ، وعرض علينا مع من معنا الضيافة بإلحاح ، فاعتذرنا له لاننا كنا في طريقنا الى سد القرعوني للاطلاع عليه من جهة ، وللاستجمام والاستحمام فيه من جهة اخرى ، وكان من جملة من معنا الحاج نايف الفقيه وقدم ذبيحة والحاج محمد ناصر ابو غازي والحاج محمد حسن حجازي من حداثا ، والحاج محمود شاهين من يارون ، والحاج علي يحيا والحاج أحمد علي جواد ابو صفوت ، وأخي حسين الفقيه وكلهم من حاريص ، والحاج عبد الحسين ياسين من مجدل سلم ، وغيرهم ممن لا أتخطرهم فعلا .

وبْخَاف مرٌّ الهوى يجْرَحْ لِكْ خدُودِك
تمّنيتْ حَالِي سوَار الماسِ بزنُودِك
ما بفَارقِكْ يا بْـنَيّـا ساعة زمانِيَّة

قال : فأجهشوا بالبكاء ، واستخرج كل منهم منديلا وجعل يكفكف دموعه .

ثم التقيت به مرة اخرى عند آية الله الحكيم ، ولم يكن ثمة غيرى وغيرهما ، فتحدث بإيجاز حول حاجة المهاجرين الى الوعي الديني ، وعن تقطيع أوصال المسلمين وجهل بعضهم ببعض .

ثم بمناسبةٍ ما ، ذَكَر الشيخ محمد جواد شرّي ، وقال : لا ينبغي ان يُصدق فيه ما يقال عنه ، لانه يتطلب معالي الامور .

وكانت انطباعاتي عنه : انه مترسل في حديثه ، حَسَن الاسلوب ، بليغ العبارة يستولي على شعور المستمع .

وفي أواخر ايام المرجع الاعظم في وقته السيد ابو الحسن الاصفهاني ، كنت عصراً في منزل العلامة الشيخ علي العسيلي العاملي ، المجاور الى منزلنا ، فجائني شخص يخبرني ان الحوماني ورد النجف ، وانه نزل ضيفاً عليَّ وهو في البيت ، فاستدعيته الى منزل الشيخ علي ، وكان العامليون مجتمعون فيه بمناسبة تعزية سيد الشهداء ، الا ما شذ وهم يومئذ يقاربون العشرين شخصاً ، وكلهم متميزون في السن والعقل والصلاح .

فقلت لهم قبل وصوله الينا : الحوماني جاء الى النجف ليُعلن توبته أمام العلماء ، وسيكلفني بأمر لا استطيع ان أجيبه عليه ، وبينما نحن كذلك دخل علينا ، فاستقبلناه بجفاوة تليق به ، ولما استقرَّ به المجلس ، شرَع في الحديث عن مراحل الانسان وتطوراته في حياته ، وما يحيط بها من نقص وأغلاط ، فاذا انتهى الى دور الكمال تنبَّه الى أغلاطه وندم على ما كان ، والتجأ الى الله سبحانه ، وأصبح يسير

على هدى العقل ، وقد قلت عنه سابقا : ان حديثه موجز ، وانه جذاب .

واعلم ان بعض ما ننقله عنه وعن غيره يحمل صورة للقارئ عما كان ، لا انه نفس ما كان .

ثم في أواخر النهار خرجنا نقصد منزلنا ، فالتقينا قبل الدخول اليه بالشيخ قاسم محي الدين ، وكأنه كان عارفاً بمجيء الحوماني ، فترخص مني بصحبته الى منزله ، فبادرت بالموافقة بدون أيّة معارضة لأمور كثيرة :

منها : ان بيتي لا يتسع لاستقبال أمثاله ، ولعله عندما قصد الضيافة عندي كان يتخيليني ممن يستعد ويسعد بأمثال هذه الضيافة .

منها : ان أعمالي اليومية المتعلقة بالدرس والتدريس تكاد تستغرق الوقت بكامله ، ولا أظنه يحصل مني على أكثر من ساعة وان طال مكثه عندي .

ومنها : ان طباعي لا تنسجم مع طباع الناس الذين سيتصل بهم ويتصلون به .

ذهب الى منزل الشيخ قاسم وبقي في ضيافته نحو ثلاثة أشهر ، وكان ديوان الشيخ قاسم في كل ليلة مَجْمعاً للشعراء والأدباء وأهل الظَرَف ، وأصبحت تلك الليالي شبه سوق عكاظ ، الا انها خالية من التجارة ، ولا أتخطر انني اجتمعت معهم طيلة هذه المدة أكثر من مرتين ، وكنت أذهب بعد صلاة المغرب وأمكث نحو الساعة قبل تكامل الوافدين .

وكان السيد محمد جمال الهاشمي الكلبيكاني يحمل اليَّ بين حين وآخر معلومات عن تلك الندوات ، وكان هو والشيخ عبد الغني الخضري في طليعة فرسانها المثابرين عليها .

والشيخ عبد الغني شاعر نجفي مُكثر ، وشعره وسط ، يعود نسبه لآل كاشف الغطاء ، وكان جلداً صبوراً في المتناقضات التي تحتوي عليها أمثال هذه الندوات ، ولا أشك ان جملة من أصدقاء الحوماني ومن طلاب الشهرة والتعرُّف أقاموا له الولائم ،

وأنهم كانوا على العادة يجمع كل منهم مَن يَمُتُّ اليه .

وبعد وصوله بمدة يسيرة اتضح ان هدف الحوماني هو الحصول على وكالة من المَرجع الديني الوحيد في ذلك الوقت السيد ابو الحسن ، والوكالة في عرفنا ذات أهمية تشبه صكا بالولاية ، يحمله شخص الى منطقة معينة من قبل الخليفة .

انها ليست سلطنة ولا سلطة ، ولكنها نيابة في تبليغ الاحكام وبيان الحلال والحرام وقبض الاموال الشرعية التي ترسل عادة الى المرجع من المؤمنين ، وهذه الولاية يحتاج حاملها الى صفات أمثلها ان يكون مُتفقهاً في الدين ومعروفا بالورع ، ولا أقل من الامانة ، والمرجع لا يتسرع ، ولكنه قد يخدع ، ولكن الله سبحانه يهيء له من يسدده ، واعتقد ان السيد محمد جمال الذي كان يظن الحوماني انه سيعاونه ، سبقه الى المرجع وأعطاه صورة عن واقعه ، ولا ريب ان المرجع كان يعرف عنه الشيء الكثير لشهرته وتجواله وتحركاته .

ثم أخذ له موعداً ليتشرف بزيارة السيد ابو الحسن ، فزاره ، وأخبرني من حضر ولا أظنه غير السيد محمد جمال : ان السيد استقبله باحترام ، وأنه كان كلما تكلم الحوماني مع السيد ابتسم له السيد وأجابه باللغة الفارسية ، حتى كأنه لا يعرف شيئا من اللغة العربية ، ومن اجل ذلك لم يعرف الحوماني الى اين وصل معه ، ثم خرج و لم يحصل على شيء .

وقد بلغني انه عندما تحدَّث عن لقائه للسيد في صحيفةٍ كان يصدرها هو او في صحيفة غيرها ، تحدَّث عما كانت توحيه اليه ابتساماته الجميلة وعيناه البراقتان .

وهكذا استطاع السيد بحنكته واقتداره ان يتخلص مما يريده الحوماني ، واستطاع الحوماني باقتداره وسموّ أدبه ان يُعوِّض عن فشله بالتحدث عن وحي النظرات ولغة الابتسامات .

فَوَائِد في اعتذَار

طالَ الحديث حول الشيخ قاسم والحوماني ، ولكنه يعطي للقارئ صوراً عن ستة أشخاص ، مضاف الى أمور أخرى ، أما الاشخاص فهم :

١- السيد ابو الحسن الاصبهاني .

٢- المؤلف .

٣- السيد محمد جمال الهاشمي .

٤- الشيخ عبد الغني الخضري .

٥- الشيخ قاسم محي الدين .

٦- الشيخ محمد علي الحوماني .

وأما الأمور الأخرى فهي :

١- لمحة عن المرجعية .

٢- لمحة عن المجالس الأدبية في النجف .

٣- لمحة عن حياة طالب العلم الديني في النجف وان طال عليه الزمن وبلغ القمة ، من حيث الصبر على الحرمان من الكماليات بل والضروريات ، ومثابرته على الدرس والتدريس .



صورتا السيد هاشم معروف في الشباب والكهولة

(٥)

ترجمـــة

المَرحُوم حجَّة الإسـلام

السيِّد هَاشِم مَعرُوف عَلي أحمَد

الحَسَني العَامـلي الجنَّائـي

١٩١٣م- ١٩٨٣م

بقلم المؤلف

فهرست الكتابة

بسم ا لله الرحمن الرحيم

السيد هاشم معروف علي أحمد الحسني العاملي الجناثي

هو من أبرز علماء جبل عامل البارزين في الربع الاخير من القرن الرابع للهجرى ، والربع الثاني من القرن العشرين الميلادي .

وهو منذ هجرته للنجف الاشرف في اواخر سنة ١٣٤٦هج أو اوائل سنة ١٣٤٧هج ، دؤوب على الدرس والحفظ والمطالعة والتدريس ، وكتابة دروسه ، الى أن عاد الى وطنه جبل عامل ، وأقام في بلدته جناثا -قضاء صور سنة ١٣٦٠ هج تقريبا .

وكنت واياه نصحب كتب الدرس في معظم الوقت ، حتى وقت الراحة والنزهة أيام العطلة وأوقات الصلاة ، مخافة أن نحتاج للكتاب وقت المذاكرة والمدارسة ، وكان أحدنا يمتحن الاخر ، والآخر يجيبه ، وايضا كان أحدنا يستمع للآخر ما حفظه من شعر أو نثر أو خطبة او غيره .

ومن أجل ذلك كنا نكاد نستظهر كتب الدراسة كما نستظهر سورة الفاتحة التي نكررها في كل صلاة .

رجع الى وطنه وبقي كما فارقته ، مهتما في تنقية مؤلفاته في الفقه والاصول ، وكان كأنه يحاول تربية جيل من العلماء وهو في جناثا ، ولكن ظروف القرية وظروف ذلك الوقت العصيب ، لم تسمح له .

عرفت من تلامذته الذين درَّسهم في جبل عامل :

العلامة الشيخ حسن طراد، الذي درَّسه المقدمات حتى انتهى الى الرسائل

والمكاسب او شرع فيها ، ثم صحبه والده للنجف وحمل لي رسالة من السيد هاشم يعرفني به ويوصيني فيه .

وعرفت منهم الشيخ أحمد سليمان وكلاهما من بلدة معركة ، وأخبرني الاخير انهما لم يلتقيا معا ايام الدراسة ، وبلدة معركة مجاورة لبلدة جناثا ، ولكن الثاني درس النحو والمنطق وبعض الفقه ثم ترك ، وأصبح بعد ذلك معرٌفا (معلّماً) للحجاج ، وكان السيد هاشم يعتني به ويوليه ثقته .

ثم اتجه المترجم له لخدمة الاسلام والمذهب من طريق التأليف والنشر ، والذي أعتقده أن الذي شجعه على ذلك هو صلته بالعلامتين الشيخ عبدا لله نعمة والشيخ محمد جواد مغنية ، وكلاهما فاضلان ، وأولهما دونه في السن ، وثانيهما أسن منه ، فكان ثالثهما في هذا المضمار .

وفي سنة ١٩٦٠م عندما عدت من النجف الاشرف الى جبل عامل ، وجدتهم يجتمعون في عطلة الاسبوع عند أحدهم ، وكانوا يعينون المكان ، وكان بيتي أحيانا من تلك الاماكن ، وأظن أنهم كانوا يرغبون في استدراجي الى ما هم فيه ، وكنت أشجع العلامتين نعمة ومغنية على الاستمرر ، اما السيد هاشم فكنت أرغبه في الاستمرار فيما كان قد أعده ا لله سبحانه له - وهو الفقه- فيكون في وقت ما مرجعا للمؤمنين في التقليد .

اما هو فكان يهدف في مسيرته الاولى للوصول الى صفوف المراجع والانضمام الى موكبهم الرفيع ، وكان يتمتع بالمؤهلات التي تضمن له ذلك .

ولكن انضمامه للقافلة الجديدة ، قافلة المؤلفين الذين يهمهم نشر الاسلام ومعالجة المشاكل المذهبية ، ويحاولون افهام الناس التواء تأريخ امراء المسلمين وخلفائهم وعلمائهم قبيل العصور الوسطىالى ما بعدها ، حتى كادت تنطمس صورة الاسلام الواقعية في مؤلفات السابقين والمستشرقين المنتشرة في العالم الاسلامي وغيره ،

لان تلك الكتب ؛ كما يعرفها من قرأ كتب هؤلاء الثلاثة : الشيخ محمد جواد مغنية والشيخ عبد الله نعمة والسيد هاشم معروف وغيرهم ؛ بعيدة كل البعد عن واقع الاسلام والمسلمين .

ان انضمامه لهذه القافلة الطويلة العريضة كانت تستوعب معظم وقته ، وأصبَحَت في آخر أيامه هي كل همِّه ، ومن أجل ذلك ابتعد عن القافلة الاولى كل البعد .

كان يوم يزاملنا في النجف الاشرف من خيرة من أعرفهم من الأقران والأنداد في التحصيل والإتقان والتفوق ، ولا سيما في دروس الخارج ، دروس التخصص في الفقه والاصول ، فكان لا يستسلم لنظرية أصولي مهما بلغ ، ولا لرأي فقيه مهما عظم ، بل كان يبحث عن الدليل بدقة وامعان ، ويحاكمه في حدود امكانياته في ذلك الوقت ، ولا يخشى بعد ذلك وحشة الانفراد اذا ساعده الدليل ، ولا يحتج على زميله بقول الاستاذ ولا بقول عالم ولا بدعوى الاجماع في مقام ليس فيه اجماع ،كما يفعل بعض أقراننا الضعفاء عندما نفحمهم بالدليل ويعجزون عن الجواب .

ذلك لانه انضج الاصول واختارها عن برهان بعد التتبع والمذاكرة والتأمل والروية ، فهو اذن مجتهد مطلق يعرف كيف يردّ الفرع لأصله ، ويعرف كيف يختار اصوله وقواعده ، ويستطيع الدفاع عن نظرياته بقوة الحجة ، وهنا يظهر المُجلّي من المُصلّي ، والمصلي من الفُسْكُل (١) .

ولو بقي السيد هاشم في مسيرته هذه لكان أهلا للمرجعية ، لانه كان يملك المؤهلات لهذا المنصب ، من جهة التميُّز بالفضل والعقل والورع وقوة الإرادة وعدم الاكتراث في فضول الحياة ، والحديث عنه بالنسبة لنظرته واحاطته بالامور العامة

---

(١) الفاظ معناها : السابق في الحلبة ومن يليه ، والفسكل هو العاشر .

حديث آخر .

ثم انه في مسيرته الثانية أصبح في طليعة ارباب التأليف في هذا العصر في لبنـان ، وقد يكون معروفا في غيرلبنان ، وقد اشـتهرت مؤلفاتـه بـين النـاس وتسـابقت بعـض دورالنشر على طبعها ، وتكـرر طبـع بعضهـا ، وبـالطبع انـه استفاد مـن ذلـك ماديـا ومعنويا .

ومع ذلك فقد أقام في صور بحكم منصبه في القضاء لمدةطويلة ، وكـان يُـدَرِّس طلاب العلم مختلف كتب التدريس ، فقد كنت أسمع بذلك وأنا في العراق ، بل وبعـد عودتي الى لبنان، ولكن لم أتحدث معه بهـذا الشـأن ، ولذلـك لا أعـرف تلامذتـه ولا الكتب التي درَّسهم اياها (١) .

ثم بعـد ذلـك أصبـح يمثـل عـالم مدينـة صـور ، وكـانت النـاس ترجـع اليـه في منازعاتهم ووصاياهم وأمور دينهم ، لأنه أصبح يتمتع بثقة العامة والخاصة .

نَسَبُـهُ

هو السيد هاشم ابن السيد معروف ابن السيد علي أحمد (٢) .

حدثني بمناسبات كثيرة : ان جده احمد جاء من عيناثا الى طورا ، وكان مريضـا او عجوزا او فقيرا - الترديد مني - وتزوج امرأة من بيت فلان ووُلد له منها ولد اسمه علي ، وعند وفاته لم يترك من حطام الدنيا الا عباءة وأركيلة - النارجيلة- .

ثم ترعرع ولده السيد علي ولمع واشتهر وتملك الاراضي الواسعة وأصبـح أحـد

---

(١) ينبغي لمن يعرف تلامذته في ذلك الوقت أن يضيفها الى هذه الترجمة القيمة .

(٢) وقد تعرض عمه أخو أبيه العلامة السيد أمين علي أحمد لنسـبه في كتـاب لـه ، ولايحضرني الكتاب فعلا ، ولا يحضرني اسمه ، ويجب نقل ما تضمنّه محافظـة علـى امانـة التـاريخ ولانـه أعـرف بأبيه وجده .

أعيان وقته في منطقته .

كان جدُّه هذا معاصرا للشيخ محمد مغنية (١) من طيردبا المجاورة لجناثا ، وكان الشيخ محمد مغنية يتمتع بمنصب حكومي يسمى (نيابة تبنين) من قِبَل الدولة العثمانية ، ولعل المقصود النيابة عن المفتي ، وكان معاصرا لعلي بك الاسعد حاكم بلاد بشارة ، المقيم في قلعة تبنين ، وقد ألف الشيخ محمد مغنية كتابا تحدث فيه عن علي بك ، او عنه وعن غيره ، وعن المدارس في زمن علي بك وعن ضياعها بعده (٢) .

وبعد هذا أصبح السيد علي احمد مشهورا ، وأصبح رأس هذا الفرع ، وأصبح بنوه وأبناؤهم يُعرفون به الى عهد قريب ، ثم منذ عقد من السنين اونحوه تحولوا عن هذا اللقب ، وأول من غيَّره حفيده العلامة السيد عبد الصاحب ابن السيد محمد ابن السيد علي أحمد المشار اليه ، ثم تبعه أقاربه ؛ هذا ما أعرفه عنهم وعنه .

فأولاده مثلا :

---

(١) ينبغي ذكر ولادة الشيخ محمدمغنية ووفاته ولمحة عنه وعن ولديه الشيخ محمود مغنية والشيخ حبيب مغنية ، وعن احفاده : الشيخ عبد الكريم والشيخ محمد جواد مغنية والشيخ احمد مغنية ، ولمحة عن كل واحد منهم وتعداد اولاده .

والشيخ محمد جواد مغنية احد أعلام المؤلفين في هذا العصر ، وكان هو والمترجم له والشيخ عبدالله نعمة لايكاد يمضي اسبوع الا ويجتمعون عند احدهم او في مكان آخر ، وكانت مهمتهم العلم والمذاكرة والتأليف والنشر ، ولاريب انهم كانوا يتدارسون المواضيع التي سيتناولونها ، وانه ربما قرأ أحدهم بعض ما يكتبه ويأخذ رأيهم فيه ؛ وبعد عودتي من النجف كانوا يجتمعون عندي في حاريص وكنت أبادلهم الزيارة في كثير من الأوقات .

(٢) لاحظ أعيان الشيعة ، وجبل عامل في التاريخ للمؤلف الطبعة الثانية منه ص٦٩وص٤٤٤ ، فانك ستحصل على صورة تتعلق بهذا الموضوع .

١- السيد امين علي احمد .

٢- السيد معروف علي احمد .

٣- السيد خليل علي احمد .

٤- السيد محمد علي احمد والد العلامة السيد عبد الصاحب الحسني ، المقيم فعلا في مركبا ، وجدّ العلامة السيد حيدر وأخيه السيد محمد علي الحسني ابنا السيد عبد الصاحب .

وقد بلغ من طموح السيد علي احمد أنه ارسل ولدين للعراق لطلب العلم الديني وهما السيد امين الانف الذكر واخوه الذي غرق في النهر المجاور لكربلاء المعروف بالحسينية ، الذي لا يزال الى اليوم ، وكنا نحن طلاب العلم العامليين نتحاشى اثناء السباحة ذلك المكان ، ويقول لنا من هو أقدم منا انه غرق فيه فلان من العامليين .

واليك هذه القصة التي تشير الى مكانة السيد علي احمد والشيخ محمد مغنية :

حدثنا السيد خليل على احمد في النجف الاشرف مكررا ، وكان معرفا للحجاج ، قال :

كنت في صغري أنتسب للمدرسة الدينية للتخلص من الجندية ، وعندما حضر المفتش من قبل الدولة العثمانية ونزل ضيفاً على الشيخ محمد مغنية ، أرسلني والدي اليه ليتكلم مع المفتش في امري ، فلما وردته قال لي الشيخ محمد مغنية : انت طالب علم ؟

فأجبته : نعم .

فقال : اعرب (جاء زيد) اليس جاء فعل ماض ؟

فقلت : له نعم ياسيدي فعل ماضي .

فقال : اليس زيد فاعل ؟

فقلت : نعم فاعل .

وكان قد أوصاني انه اذا سألني أكون قوي القلب وان أتكلم بجرأة وبصوت عال ، ففعلت ذلك كله .

فالتفت الشيخ محمد مغنية الى المفتش وقال له : السيد خليل ابن السيد علي احمد من طلاب العلم ، والده وهو عالم والدجاجات التي عند السيد علي احمد في القن علماء !

فأعطاه المفتش وثيقة اعفاء ، وهذه القصة تدلنا على مكانة الشيخ محمد مغنية ومكانة السيد علي احمد وعلى اسلوب من أساليب الحياة في ذلك العهد .

مولِدُهُ ونَشأتُهُ

ولد حوالي سنة ١٩١٣م تقريبا ، ومن الطبيعي ان يكون مولده في بلدة ابيه جناثا ، وقد حدثني مراراً ان والده وضعه في بنت جبيل في منزل الفاضل الاديب الشيخ علي شرارة (١) ليعلمه ، ولا أستبعد ان يكون قد تعلم شيئا من النحو عنده لانه عندما هاجر للنجف شرع في دراسة الالفية شرح ابن الناظم ، وهذا لا يتسنى الا لمن درس القطر او غيره من الكتب التي تدرس قبلها .

ومما لاشك فيه ان هجرته الى بنت جبيل تدل على ان والده كان يعده لما انتهى اليه ، ولا ريب ايضا انها تدل على علاقة سابقة بين والده وبين الشيخ علي شرارة .

---

(١) الشيخ علي شرارة كان ممن درس المقدمات أعني النحو والمنطق والمعاني والبيان والمعالم بل والقوانين ، وكان يُعدُّ هو والسيد عبد المطلب مرتضى ابن العلامة السيد جواد مرتضى في طبقة واحدة في الفضل ، وينبغي ذكر لمحة عن مولده ووفاته واولاده محمد شرارة وحسين شرارة .

ولا ريب ايضا انها كانت بذرة لتأكد العلاقة ، وانها كانت سببا لاتصال علاقة المترجم له أعني السيد هاشم بالشيخ محمد شرارة (١) الذي كان يومئذ يدرس في جامعة النجف .

ففي سنة ١٣٤٦هج تقريبا أرسل السيد معروف ولده السيد هاشم الى العراق او صحبه اليها -لست أدري - وعهد في تدريسه وتربيته للشيخ محمد شرارة ابن الشيخ علي شرارة ، وكنت في ذلك الوقت أدْرُس الألفية عنده ، وكنت قد أنهيت الشطر الوافر منها ، وكان المترجم له مبتدئا فيها وهذا يدلنا على انه كان قد أنهى دراسة القطر في بنت جبيل عند الشيخ علي شرارة .

ومن الأساليب المتبعة في التدريس في النجف الأشرف : ان الناجح في دروسه من الطبقة السابقة اذا أنهى الكتاب وكان محصلا له وكان حسن البيان ، يُدَرِّسه للطبقة اللاحقة .

وكان أخي الشيخ علي الفقيه قد هاجر قبلي للنجف بسنة وشهرين تقريبا هو

---

(١) الشيخ محمد شرارة كان طالبا في النجف الاشرف ، وكان هو والشيخ حسين مروة والسيد محمد باقر ابراهيم ابن العلامة السيد عبد الرسول ابراهيم متزاملين ، يشتركون في المذاكرة والمدارسة ، وكان السيد محمد باقر ابراهيم أبرزهم ، ثم غادر النجف بعد وفاة والده حسبما أظن وكان قد أنهى المقدمات وشارف على حضور دروس الخارج ، وكان الشيخ محمد دون زميليه ، ولكن يعتبر ناجحا محصلا ، ثم لمع الشيخ محمد شرارة والشيخ حسين مروة ولكن الشيخ حسين مروة تفوق عليه في الفضل ، وكانوا يتدارسون مطالب الكفاية والرسائل وتقريرات النائيني غيباً.

ثم دخل حسين مروة ومحمد شرارة في سلك الموظفين ، لان حكومة العراق كانت تفتقر في مدارسها الحديثة الى مدرسين في اللغة العربية .

ثم انتسبا الى الحزب الشيوعي ، ثم عرف ذلك عنهما بعد حين ، واشتهرا به ، بل وقيل ان الشيخ حسين مروة كان مسؤولا في الحزب الشيوعي، وقتل في بيروت لهذا السبب .

الذي اختار لي الشيخ محمد شرارة استاذا لي في الألفية ، فدرستها عنده ، فكان اشتراكي مع السيد هاشم في المدرس هو اول أسباب تعرفي فيه وتعرفه بي .

وكان الشيخ محمد شرارة يدرسنا في الصحن الشريف في بعض الاواوين القبلية، وكان يدرسني ضحى قبل السيد هاشم ، ثم يدرسه بعد ذلك ، وكنت أصغي لتدريسه اياه طمعا في تأكد الفائدة وتكرار الدرس ، وكنت أحيط بالجهات التي ينبغي أن يذكرها للسيد هاشم و لم يذكرها ، فجعلت أوضحها له ، وأصبح كل يوم يطلب مني مثل ذلك ، وكان لا يعرف احدا من العامليين غيري وغير آل شرارة الذين نزل عندهم ، وكلهم أكبر منه سنا بكثير ، فأصبحنا تِرْبَين زميلين صديقين من حيث لا نحتسب .

ثم انه بعد ذلك بمدة من الزمن ، حضرنا واياه دروس السيد حسين الحمامي ، والشيخ محمد علي الخراساني ثم السيد محسن الحكيم ، وكانت دروس السيد محسن قدس سره هي عمدتنا في التفوق والبروز ، وكنا متقاربي الذوق العلمي ، فقلما تباعدنا في النظريات من المقدمات والنتيجة ، وأنا درست الكفاية والرسائل عند غير من درسها هو عليه .

كما أنه كان يحضر درس المرحوم السيد آغا جمال الكلبايكاني ، وأنا كنت أحضر عند المرحوم الشيخ عبد الرسول الجواهري فقها ، وحضرت عليه شطرا من الرسائل ،وحضرت شطرا آخر عند السيد محمد حسين الكيشوان - القزويني- وكلاهما على جانب من إتقان التدريس والإحاطة بمطالب الرسائل ، كما أننا حضرنا معا على الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

وكان رحمه الله يكتب تقريرات دروسه ويجيدها ، وكنت اذا خلوت واياه نستعرض مطالب الكفاية والرسائل غيبا ، وقلما تخلو مجالسنا من المسائل ، وكنت واياه اذا لم يستوضح احدنا نظرية او مطلبا او مسألة ، يعتمد على الآخر في

توضيحها له بدون حشمة ولا حياء .

وكنت اذا حضرت واياه في مجالس العامليين وفتحت مسالة علمية لا يتقدمنا احد ، وكنا نتعاون في هذا الحقل ، فكل منا يسدد الاخر ويؤيده ، وبقينا هكذا حتى نهاية حياته ، ألحقنا الله واياه بعباده الصالحين .

وقد ألف كتبا كثيرة واشتهرت واشتهر عند المؤلفين بها ، وخلف عدة بنين ، توجهوا للعلوم الحديثة ونجحوا فيها .

وَفَاتُه

توفي رحمه الله في بيروت ليلة الاحد ١٩ ايار سنة ١٩٨٣ م الف وتسعماية وثلاث وثمانين ، الموافق ليلة الخامس من شعبان سنة ١٤٠٠ هج الف واربعماية هجرية .

ووجدت وفاته في بعض المسودات هكذا : بعدما حمل ليلة الخميس مغمىً عليه الى بيروت ، في ١٥ شعبان بتوقيت بعض التقاويم الموافق ١٩ ايار ١٩٨٣م .

وحمل جثمانه من بيروت من حسينية الشياح صباح يوم الاحد في موكب حاشد فوصل الى بلدته جناثا ظهراً .

وأقيم اسبوعه الأربعين في بلدته (جناثا) التابعة لقضاء صور صباح الجمعة في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة الف وأربعماية هجرية الموافق ١٩٨٣/٧/١م.

وكنت أعده الصديق الاول ، وأعد السيد حسين مكي نظيره ، مع أنهما لم يكونا صديقين ، بل كانا رفيقين متميزين في الفضل ، مختلفي الذوق ،ومن ثم كنت في صداقتهما كأنني أجمع بين الأضداد ، فالسيد حسين كان يميل لصداقة الشيخ حسين معتوق ، وكنت أنا والشيخ حسين رفيقين متفاهمين بدون صداقة ، وكنا

جميعا مع الشيخ ابراهيم آل سليمان لا نكاد نفترق .

ومن هنا يستطيع القارئ ان يتصور الفارق بين الصداقة والرفاقة ، وبين ارتفاع القيود بين الصديقين وعدمها بين الرفيقين ، فالاصدقاء يتكاشفون ولا يتعاتبون ، ويتعاونون في السراء والضراء ، ولا يوجه احدهم انتقاداً للآخر في غيابه ، فاذا كان له ملاحظة عليه أسرها اليه ، أسأل الله سبحانه ان يعوضني عن مصيبتي بفقدهما الصبر والأجر وحسن العاقبة . حرر ضحى الخميس ١٩/٦/١٩٨٦م الموافق ١٣ شوال ١٤٠٦هج .

(٦)
أمير شعراء الزجل في زمانه
المرحوم
محمود قاسم
المعروف بـ" محمود حداثا "

توفي محمود قاسم المعروف بـ"محمود حداثا "سنة ١٩١٧م او قبلها ، وكانت وفاته في حانين ، ودفن في مقبرتها ، ونبت على قبره شجرة رمان ، ولا تزال ، وبها يعرف قبره .

حدثنا بذلك سبطه علي زهر من بلدتنا حاريص ، والذي توفي حوالي سنة ١٩٨٢ م .

محمود حداثا شاعر زجلي (أي شاعر باللغة العامية العاملية) بارع ، له احاطة وخبرة يعرفها كل من سمع شطرا من شعره وتمعَّن فيه ، وله ولدان في حاريص وهما :

١- رشيد ، وقد توفي و لم يعقب الا ابنتين ولا تزالان في حاريص .

٢- ونعيم ، وكان قد هاجر قديما في أيام الحرب سنة ١٩١٤م تقريبا ، وكان لنعيم ولد في حاريص واسمه سعيد نعيم ، وكان أكبر مني سنا ، وقد لحق أباه ولا نعرف ما جرى عليهما .

وكان سعيد يجيد النظم في طفولته ، وكان الناس يصغون اليه ويستملحون كلامه .

وقيل ان محمود حداثا سكن بلدة جويا في آخر أيامه ، وتزوج فيها ، وله ولدان

فيها على ما قيل .

ونعيم كان ينازع أباه على إمرة الشعر ، وكان ينادم الشباب ، وأبوه ينادم الشيوخ ، ويحفظ لهما أهل السن مساجلة رائعة بمناسبة زواج المرحوم الشيخ محمود الفقيه ابن المرحوم الحاج حسن الفقيه عم الوالد ، وذلك عندما أراد والده اسكاته فلم يسكت ، فناداه قائلا فيما قاله :

غاب السبع ونام الضبع وصار الواوي يتبرم

ومحمود حداثا أدْرَكَتْهُ حِرفَةُ الأدب ، فغضب على أهل حاريص وانتقل الى حداثا ، فنسب اليها من باب السخرية ، وقيل إنه تزوج امرأة من حداثا ، وجعل يتردد عليها فسمي كذلك من باب الاستملاح والتنكيت .

ويحفظ الناس له من الملح والروائع والأمثال ما لايحصى ، وأشهر قصائده قصيدته المذهبية التي نظمها في طيرشيحا سنة ١٣١١ ألف وثلاثماية وأحد عشر للهجرة على ما قيل ، وذلك عندما تحدَّاه شاعر زجلي مسيحي معروف واسمه داوود ، وتمتاز القصيدة بالثقة بالنفس والولاء لأهل البيت (ع) وبقوة الحجة وبالأدب الساخر ، فانه لم يفرغ من جولته حتى أضحك الجميع على داوود .

ومن أروع ما يحفظ له قوله :

وانسبني النذل ماني نذل تاانسب

وان عضني الكلب كيف شوفتك بعضٍّ الكلب

ويقال ان هذين البيتين للعلامة الشيخ محمد علي عز الدين .

ويزعمون ان له مشتقات مستملحة ، كقوله في شخص حسن اللباس ، وضع في جيبه شيئا من البلوط ، فكان اذا قفز في الدبكة أوهم الحاضرين أن في جيبه نقودا من الفئة المعدنية التي تسمى بشَالِك ، فأمر بعض حاشيته وهو موسى الجريش من حاريص ان يلتصق به ويختبر له جيبه ، فاذا فيها بلوط ، وكان محمود حداثا على

الطرف الأيسر من الدبكة والشخص على الحاشية ، فأنشأ ردته الساخرة ، ولّمح لما في جيبه ، حتى اضطره لترك الحاشية والخروج من الدبكة (والدبكة رقصة شعبية معروفة في بلادنا) ومما قاله :

شيخ شَبّ مْشَكْلِكْ حَالَكْ   مشَكْلِكْ كِلْمِنْ من شِكْلَك
شِكْلَك ما بيشَكْلِكْنِي   ولا المْنشِكْلِي بيَتْشَكْلَك
حاطِطْ في جِيابُو بَلُّوط   تَيْقُولو عِندو بشَالِك

ومن أروع ما يحفظ له ، انه كان مع حاشيته في بلدة من بلاد الدروز ، وكانت صنعته تبييض الأواني النحاسية ، وكان الجو ماطراً والبرد شديداً ، فجلس قرب جماعة يتقاولون الشعر ، ولم يشترك معهم ، ثم تفرقوا ولم يبق منهم الا شخصان ، فقال أحدهما :

صح وقت الضيق ما لقينا رفيق   وناخت بوسط الدرب ناقاتنا
اجمع شتا كوانين من أربع سنين   ما بيجوش قيراط من دمعاتنا

ثم قال مخاطباً محمود حداثا : أجزْ يا بشاري (بشاري : نسبة الى بلاد بشارة).

فأجابه محمود حداثا على الفور :

اجمع شتا كوانين من أربع سنين   ما بيجوش دمعة من دمع الحزين
قلب المتيَّم دومْ تسمعلوا أنين   والعين تبكي عالمضَى ولْفاتها
تبكي على عهدٍ مضى ولِفَاتها   بتذكر رفيق هالمضي ولِفَاتها
والريمْ اللّي غرتك بالْفَاتها   صوبك كما بيناتكم بيناتنا

فلما سمع كلامه قال له : ان صدق الظن انت محمود حداثا ، فأنكر هو ذلك وغمزهم رفقاؤه فاحتفوا به وأقاموا له الولائم والمجالس .

ومعنى (ولفاتها) في المصراع الاول : الفوت ، والمعنى ان العين تبكي على الذي فاتها من أيام الشباب او من اللحوق بالحبيب والسير معه .

ومعناها في الثاني : من الالفة ، والعامليون يسمون الصديق وِلْفَا ، محـرَّف عـن الإلف والأليف ، واذا كان مؤنثاً جمعوه على وِلْفَات ، فهي تبكي على عهد مضى مع ولفاتها ، يعني مع صديقاتها .

ومعناها في المصراع الثالث : الترك ، والمعنى : تبكي على الرفيـق الـذي مضـى وتركها .

ومعناها في الرابـع : الالتفـات ، والصـوب : الجهـة ، والمعنـى : ان الريمـة الـتي غرتك بتلفتها اليك او الى جهتك قد غرتنا قبلك ، فالذي جرى بينك وبينهـا ، جـرى مثله بيننا وبينها .

وقيل ان فتاة جميلة رأته أيام شيخوخته فقالت ساخرة : هذا هو محمود حداثا !

فأجابها على الفور :

لا بد لك يانرجس ما تيبسي   وما يعود للنَّفْس عاشَّمك قُبُول

ومن أروع مستهلاته قوله في عرس ابن وجيه العلمـاء في زمانـه العلامـة السـيد حيدر مرتضى :

يا زهرا فكي حدادك   بعرس ابن السيد حيدر

وحدثني الحاج عبدا لله عز الدين ، الذي عمَّر نحو مئة وخمـس سنوات ، وهـو أحد وجهاء المنطقة : أن محمود حداثا قال فيما قاله في تلك المناسبة :

عيثا وحداثا وحاريص   فانوس بلاد بشارة

وأن أهل كفرا غضبوا لأنه لم يذكر بلدتهم ، وقيل أنهم خرجـوا مـن المجتمـع ، وقيا أنه بدل الشعر وقال :

عيثا وحاريص وكفرا   فانوس بلاد بشارة

وحدثنا المرحوم السيد محمد جواد الحسيني العاملي من بلدة معركة ، أن جمـارة محمود حداثا ماتت، وأنه في يوم سوق جويا أقام لها مناحة ، فقام هو وحاشيته وأنشـأ

يقول وهم يردون عليه :

يوم اسبوعك يا غبرا ما ظل ولا مخبية

والمخبية : هي المرأة المحجبة ، والمعنى : في يوم اسبوعك يا غبرا ، خرجت المحجبات للاشتراك في المصيبة ولبست ثياب الحزن .

فاجتمعت الجماهير ، فجعل كرام الناس يتبرعون له بالمال .

وحضر مرةً ديوان الشيخ الوالد ، وكان فيه جماعة من العلماء ، وكان يستمع إليهم ، وكانوا يتذاكرون في الجبر والتفويض والقضاء والقدر ، فلما فرغوا ، نظم محمود مقطوعة حل فيها مشكلة القضاء والقدر ، وأتمنى أن أجد من يحفظها لأضعها في هذه الترجمة .

وحيث انتهينا في الحديث عن محمود حداثا الى هنا ، يبقى علينا ان نذكر مساجلته مع داوود كرم برمتها ، لكثرة الراغبين بها والطالبين لها ، وقد طبعت مرات كثيرة ، ومن الغريب انه مضى عليها أكثر من مابة سنة ولا تزال موضع حديث الخاصة والعامة والرجال والنساء والكبار والصغار ، وقلما تجد فيمن يحفظ الزجل ويتحدث به من لايحفظ شيئا منها .

فقد ذكر الطاعنون بالسن من أهل هذا الزمان : ان الناس من سكان القرى والضياع في سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، كانت عاداتهم فيما مضى أيام الأعياد والأعراس وسائر أيام التهاني أن يقف الكثير من شبابهم وكهولهم وقت المراسح في الساحات ، ويعملوا صفا أعوجا شبه الحلقة ، ويأخذ أحدهم بيد الثاني منتظمين جنبا لجنب وكتفا لكتف ، ثم يأتي أحد الشعراء القوالين ذوي الخبرة في إنشاء الزجل وانشاده وارتجاله عند اللزوم ، فيقف على الطرف الأيمن من الصف المعروف عند الشباب بالحاشية ، ويأتي رجل آخر من صنفه عنده ذكى وارتجال ومعرفة بفنون الزجل مثل المعنى والمخمس المردود وغيره فيقف على الطرف الآخر

ويسمى بـ(الجحشة) ويبتدئ أحدهما بما يحضره من القول في موضوع من المواضيع المناسبة للمقام ، فيجاوبه الآخر على حسب الاستعداد ، والكل منهم يمشون في تلك الحال رويدا رويدا مشيا منسجما مع تلك الأنغام ، بخلاف المتعارف عند أهل هذا الزمان في أعيادهم وأعراسهم من التغني بدلعونا وميجانا وموليا وما أشبه ذلك ، وشدة الحماس وكثرة الضجيج ورفع الأرجل وضربها في الأرض بقوة وسرعة ، واستعمال الأُرْغُل والشبَّابة ، وعلى كل حال لكل زمان دولة ورجال .

وذكروا أن رجلا من (طيرشيحا) التابعة لقضاء عكا من أعمال فلسطين ، عمل حفلة كبيرة لزفاف بعض أولاده سنة ١٣١١ من الهجرة المحمدية ، ودعا اليها كثيرا من أهل البلدان المجاورة لقريته ، وحضرها الشيخ صالح قاضي عكا الطيرشيحاني رئيس الشاذلية وثلة من وجهائها وموظفيها ، وبعدما تم الاجتماع ، أوقفوا جماعة من القوالين لأجل تعمير السحجة ومبادلة القول في ذلك المرسح .

واتفق ان محمود حداثا كان يومذاك هناك ، اذ كان يتعاطى في حرفة المعاش (كار المبيضين) وهم يبيضون وجوه الطناجر والقدور وسائر أواني النحاس بالقصدير والشنادر ، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه كان من الاذكياء الماهرين بفنون القول ، فدعاه أهل العرس الى ذلك الموكب لعلمهم بما عنده من الخبرة في القول ، وحينما جاء الى محل الاجتماع وجد داوود كرم ، وهو رجل مسيحي من قرية البقيعة من المشهورين بفن القول والارتجال في المجامع قد أخذ بحده وصال على القوالين ، فألزموا محمود بمقاولته ومناظرته ، فامتنع من ذلك لانه من البائسين الأغراب ليس حوله من عزوته وقومه من يعتمد عليه ويستند اليه ، ولما نظر داوود وعرف أنه رجل غريب (متوالي) ازدراه واقتحمته عيناه ، فدعاه الى القول ليسخر منه ويستهزئ به ، وأحس محمود بذلك ، فحركته يد الحماسة ، فقبل دعوته ، وأحب أن يكون داوود البادئ ، وكان داوود قد وضع محطا للقول وهو :

هوى الابيض جنني ... والاسمر كوّاني بنار

وبناء على هذه القاعدة والقافية التي اعطاها :

قال داوود :

شو حدك يا متوالي ... حتى تتعدى عالكار
إمش وروح منقبالي ... أحسن ما دبّك بالنار
إنتي مش من أمثالي ... ولبتبلغ ربع المقدار
هذا ميدان خيالي ... مبيسلك فيه الحمار

قال محمود :

بالشرع الأثبت مايكون ... بعطيكم بالصدق خبار
عند ملاقات الدشمان(١) ... بنده مولاي حيدر
بنده ركاب الميمون ... داحي بوابة خيبر
كل الشدايد بتهون ... بمجرد ذكر الكرار.

قال داوود :

نحنا عطول الأزمان ... ممننكر فضلا الصلاح
ولمنجهل قدر الفرسان ... هلكانوا يشيلوا الأرواح
وإنتي عمتنده إنسان ... كان فارس وتوفى وراح
لو اندهتو يا كسلان ... من قبرو ما عاد يظهر

قال محمود :

عجب إنت يا مجنون ... ليش بتنده مار الياس
وليش بتنده مار مارون ... وقت بتضيق الأنفاس

---

(١) الدشمان : الأعداء .

وبتنده لوقا وشمعون ... وهني من أموات الناس
وعلي بالسر المكنون ... مثل هدولي وأقدر

قال داوود :

لسانك قطعة محجالي(١) ... ولساني قطعة بولاد
نعطيتك فكري وبالي ... ما بتهدي بها لبلاد
بونا الخوري حكالي ... عصرية عيد الميلاد
قلي إنو المتوالي ... أنجس من كلب أزعر

قال محمود :

الخوري عالم روحاني ... لا بسب ولا بيغتاب
عرف القاصي والداني ... إنك دجال وكذاب
هلي بسب الثاني ... أنجس من كل الكلاب
مبتعرف إنو لساني ... أمضى من السيف البتار

قال داوود :

يا متوالي لا تنمد(٢) ... طاوعني واحشم حالك
بلاقيك تجاوزت الحد ... واجا الخلط عابالك
أمرني الخوري بالرد ... عليك وعا أمثالك
قلي انشفت الخصم اشتد ... عن حربو لا تتأخر

قال محمود :

بقولك يا متوالي ... لا تظن اني بذللك

---

(١) محجالي : العصا الخيزران المعقزفة .

(٢) [لاتحتد] .

مش نافعتك هالآلي ... مطلوبك مبيحصلك
جيب الخوري لقبالي ... هلي عما بيدلك
عالشيء المالو تالي ... ولانوا عالحق محرر

ثم قال :

متوالي ومش متخبي ... الله أخبر في وفيك
مش مثلك جاحد ربي ... وعاملو حرمي وشريك
عيسى منك متأبي ... غداً بالنار بيرميك
مالك بقلبو محبي ... ولا بريدك يمعتر

قال داوود :

لاني لا ربي جاحد ... ولاعاصي ولامشرك فيه
مؤمن بالرب الواحد ... وعيسى عنه ما بنفيه
معبودي مانو فاسد ... ولاني بالبيت مخبيه
ون ما ظليتك لابِد ... بخلي راسك يتكسر

قال محمود :

راسي أقسى من البولاد ... مبيقطع فيه الدبوس
ولا بيتكسر يوم طراد ... حتى يكسر كل الروس
ون ما وقفت عالحياد ... ولسانك أصبح محبوس
بعمل وقعة في البلاد ... أعظم من وقعة ذي قار

قال داوود :

اَني عمًّا وسعلك ... وعما إرخيلك الحبال
حتى تفرجيني فعلك ... ونشوفك كنك قوّال
وبعد هذا بقلعلك ... لسانك من حلقك بالحال

خلي محمد يشفعلك   بتقولو انه بيقدر

قال محمود :

هذا عالباري مفروض   كلو بكتابو منزل
خطو منصوب ومخفوض   ليوم الحشرة مأجل
حق محمد مش مرفوض   لتكون بحقو هزال
اسمو باللوح المحفوظ   قبل ما عيسى يظهر

قال داوود :

سبع الغابي رابطلك   عن حالك لاتكون غفلان
هذا ناوي عا قتلك   ودع أهلك والجيران
اَنِـي عما بنحتلك   قولي من معدن صوَّان
كل العالم شهدتلك   والشاهد عندي مزور

قال محمود :

فيه بدربك بو مخرز (١)   دير بالك من غدراتو
يوم الصقعة مبيكرز   سم الموت بناباتو
والحاوي مانو أفرز   لولا الله وآياتو
اوعا منو وتحرز   أحسن ما تموت معزر

قال داوود :

مذهبكم خامس مذهب   مذموم واصلو عاطل
لازم اعمالك تذهب   هالمبنِيّ عالباطل
لا تجادلني ولا تتعب   ولاتنازعني ولا تقاتل

---

(١) بو مخرز : ضرب من الأفاعي السامة ؛ مبيكرز : لا يكرز أي لا يتجمد .

انتو ما إلكُنشِ كتاب — نحنا مذهبنا أفخر

قال محمود :

خامس مذهب يا داوود — خبرني شو معبودو
بالدنيا ما لوش وجود — عندي شاهد عوجودو
اسلام ونصارى ويهود — كلمن واقف عحدودو
قربلي عالشيء شهود — تا أخطبلك عالمنبر

ثم قال :

يا مستهزئ بديني — ديني ودينك دين الله
مش تايه تا تهديني — مسلم وموحِّد بالله
اسمع مني يا شبيني(١) — نحنا وانتو عباد الله
واللي بيعملوا فيني — بيلقاها يوم المحشر

ثم قال :

انتي من قبل التكليل — هاجر الكنيسة والدير
مبتعرف دين الأنجيل — كيف بتعرف دين الغير
مذهبنا ما في تدجيل — ثابت ومؤسس عالخير
حاوي تحريم وتحليل — ومنسوب للصادق جعفر

ثم قال :

نحنا من أهل التوحيد — ربْع محمد والقرآن
ما أحدثنا شيء جديد — ولا أشركنا بالرحمن
احكي بالقِلْبِ وبالجيد — ولا تتعرض للأديان

---

(١) شبيني : صديقي .

واللي مبينظر لبعيد — بعد التالي بيتهور

قال داوود :

انتو بو بكر نكرتو — وهوكان شيخ الأصحاب
انتو فيه تحيرتو — وفتحتو للشر بواب
ورفضتوه وغيرتو — عنو وعن ابن الخطاب
وعيسى عنو خيرتو — واللي مثلي ما قصر

قال محمود :

الصديق شو بدك منو — هلي فيه بتترنم
اللهم ارض عنو — تيخلصنا من جهنم
وكلمن يحكي بفنو — ومن غيرو لا يتعلم
واللي عقولك صنو — بيقولوا داوود حمار

ثم قال :

يا جاهل لا بد تفيق — يومٍ يُنفخ فيه الصور
طلع بكتاب التحقيق — ما بتلاقي فيه كسور
يومٍ ينشف فيه الريق — والماء بكاسات بلور
مبتعرف انو الصديق — رفيق محمد يوم الغار

ثم قال :

متوالي وسني سيان — مجتمعين على التوحيد
والنبي قلباً ولسان — عن ذكر الله ما بنحيد
ومحمد سيد عدنان — منذر بالناس ومرشد
وعيسى من قبلو انسان — لكن من امثالوا صار

قال داوود :

محمد مش من امثالو ولبظن الباري نباه
حط الرفعا ببالو وانشا القرآن وسوّاه
واللي تعلق بذيالو مدري كيف بتكون عقباه
هي الجني بتصفالو مدري عالنار مسوكر

قال محمود :

محمد مبعوث ومرسل خاب اللي ما آمن فيه
والوحي عليه تنزّل من أمر ونهي وتنبيه
واللي صدق وتقبل غير الجني مبتحويه
واللي توقف وتعلل ياويلو من حر النار

ثم قال :

عيسى وصاك وصيي قلك يظهر من بعدي
أحمد خير البريي اتبع دينو ولا تعدي
لو تبقى عا هالنيي كنت كثير بتستهدي
ما عاد لك رد عليي حيث نو الشيء مقرر

قال داوود :

عيسى قال ليوحنا بعد مني بتشقى كثير
خلي العالم تتأنى لا بد يجيهم نذير
لا سمّاه ولا كنّى ولاقال أي وقت يصير
هذا اللي وارد عِنا لا أقل ولا أكثر

قال محمود :

النذير اللي عنو قال عيسى انو بدو يكون
بعدو مبعوث ومرسل هوي محمد يا مجنون

وهذا القرآن المنزل هلي بالآيات مشحون
هوي عند الاستدلال كافح للخصم وقهار

قال داوود :

ماسك في يدي نبوت ضرباتو إلها طعمي
بدقك عراسك تتموت وسكوتي عنك نعمي
انتي لسانك مابيسكت لكنو قلبك معمي
لتخمن حالك مثبوت او إنك قوَّال اشطر

قال محمود :

بدك تحكي احكي مليح لا تحكي حكي معيب
عندك نبع ا لفن شحيح قلبي منك ما يرتاب
ما بتغني بيت صحيح اسلك دربك وتخيب
في ساحة البقيعة صيح جُرّ جناحك وتقنبر

ثم قال :

عني لا تعطي فركي طاوعني وحط الطاعا
وصِّي ان كان عندك تركي بعد بعمرك هالساعا
موتك بساعة زركي وقبرك تحت التلاعا
غسلك من مية بركي وكافورك من فشك حمار

ثم قال :

عا قبرك شادر منصوب وشقفة جنفيصة راية
وكلب بيعوي بالمقلوب وقطة نوَّاية هرشة
هوذي خرجلك يا مغضوب هَوْ بدل القراية
وجحش مقصر يضرب طوب عا قبرك تا تتبخَّر

قال داوود :

عم تعيط علفاضي تيقولوا انك شاطر
بحربي سيفك مش ماضي لو كان الخوري حاضر
وحضرة مولانا القاضي لو كان ما الو خاطر
كان قال انا مش راضي كبو القربي فوق النار

قال محمود :

انتِ ماشي عكتابك وغيرك ماشي عكتابو
انتِ واقع في حسابك وغيرك واقع في حسابو
في هدَّعوي شو نابك وغيرك قبلك شو نابو
لا تخلي في أسبابك مولانا القاضي يضجر

ثم قال :

خوريك يدبر دينك وقاضينا يدبر ديني
والدعوي بيني وبينك وين بتريد تقاضيني
والحاخام قبال عينك وشيخ الخلوي معطيني
اني بالحق بهينَك بشيء واضح لا ينكر

ثم قال :

خوريكن عينو ذليلي مش عارف شوبدو يصير
كيف جابلكن تحليلي للميْتِ ولحم الخنزير
فيه بيَدو دالولي وإلها بالتالي تفسير
عمَّا يعمل تحليلي تيحل الشيء المنكر

ثم قال :

يا جاهل لا تعاندني بيني وبينك فيه حساب

عيسى ما قال اعبدني — ولا قال انا من الأرباب
قلك ربي أرشدني — وأعطاني بالحق كتاب
طلع فيه بتوحدني — براً من جملة أبرار

قال داوود :

يا محمود ما هو نافع — هالتقريب وهالتبعيد
انتِ لا دينك تابع — واني عن ديني ما بحيد
بتحاججني ومش سامع — من هالمعنى شيء جديد
في الكنيسي والجامع — بهالأمر بنتفكر

قال محمود :

الله واحد يا مجنون — أنشا الدنيا وكونها
كِلْفِ عليها كاف ونون — عيسى شو خصو منها
والانسان فيها مرهون — لا بُدْ لُوْ من إنها
عيسى عند الله بيكون — هو وآدم فرد عيار

ثم قال :

عيسى معروف باسمين — بالآيات المثبوتي
انتِ عملتلو جسمين — من ناسوتي ولا هوتي
خلقا صارت عاقسمين — كيف بدو يكون سكوتي
حطيت بظهرك خصمين — الله وعيسى يمشحر

ثم قال :

الله أنزل انو الدين — عند الله دين الاسلام
طهر قلبك يا مسكين — بتوحيد الله بتسلم
قدامك بالدرب كمين — من قدرة عالم علام

أسئلني تا انبيك مين — اسمين نكير ومنكر

قال داوود :

جهلك بعلم اللاهوت — عم يخليك تحكي كثير
لبتعرف معنى الناسوت — ولانك من أهل التفسير
ظلك احكي حتى تموت — عدينك آني مبصير
وكلمي للخصم مبفوت — لو كان قبالي عنتر

قال محمود :

الله أنزل آياتو — أوصانا نصلي ونصوم
عيسى صلى لذاتو — أما للحي القيوم
كلمن يعرض قولاتو — تا يظهر دين المكتوم
بطرس ومطانس ماتو — قبل هرودس والانصار

ثم قال :

مولد عيسى في مغارا — في بيت لحم الموجودي
حولو جملة نصارى — من الرهبان المعدودي
قلتو هاتو المنشارا — تا ننشرهم عالدودي
وهرودس جاء بشارا — هيا حالو وتحضر

ثم قال :

عندي بكتابي انو — عيسى والعذار إمُّو
من روح الله مش منكور — ملعون اللي بيذموا
فيه الدنيا زادت نور — واللي عاقولو عموا
شهدوا فيه شهادة زور — منها طاهر ومطهَّر

قالوا وكان في جملة الناس ضابط وشاويش وعدة من رجال الدرك جالسين في

ممشى بناية هناك مشرفين على ذلك الجمع ينظرون الى ما يصير ويسمعون ما يقال ، وكان داوود قد امتلأ غيظا من أقوال محمود وتغلباته ، لذلك رفع رأسه مشيراً الى الضابط والعسكر وقال :

بطلب من زلم الدولي	هلي قبالي عالرفراف
يحطو قولك مع قولي	وسط ميزان الانصاف
حتى تترك هالصولي	وتتحاشى منهم وتخاف
لَوِنٌ رجالي حولي	ما كان لساني قصر

فأجابه محمود حداثا وقال :

دولتنا مشّت قانون	في اطلاق الحريي
عملت فينا عالي ودون	لكن بالعدل سويي
هيك ملوك العدل تكون	كالدولي العثمانيي
حكم السلطان المأمون	بأمر الله مخير

ثم قال :

الرب اللي بتاكل خيرو	بتطلب منه وبيعطيك
مش لازم تعبد غيرو	شخصا مثلك ما بيكفيك
تأمل كونوا وتدبيروا	بيميتك ثم بيحييك
بالأنجيل وتفسيروا	ان الله قادر قهار

ثم قال :

وصّي واكتبني مناظر	تا اقسملك شياتك
بنفق ثلثك عالحاضر	الله لا يقيم دياتك
عندي قصدير وشناظر	بيض حظي وحياتك
بقوس عا عين الناظر	لو كان عا زيك طيار

ثم قال :

ربك أنزل بالايات   عيسى من روحو مثبوت
بسئلكم بتقولو مات   روح الباري ما بتموت
الكم بهذا غايات   حطيتوها بالتابوت
مديتوها بالرايات   ونزلتوها بالدفتر

ثم قال :

أي خوري وأي كتاب   قلك في رب ثاني
الله قلك يا كذاب   اعبد غيري وانساني
جهنم الها سبع بواب   اول باب للنصراني

ثم قال :

بتعيرني بالشيخين   يا ويلك من يوم الله
والباقي منهم اثنين   اصحابة رسول الله
الاول والثاني عا العين   والثالث روحي والله
والرابع قلبي يازين   شفيعي يوم المحشر

ثم قال :

صورتو عيسى انسان   بتصويرا ما فيها روح
هيئة شخص بدون لسان   غسِّلْها بالمَي تروح
رب عاد قوما كان   لا قدوس و لا سبوح
الله نورو بكل مكان   معبود ولا بيتغير

ثم قال :

لاكن العذرا مريم   بكنيستكم صورتها
مثل الداخل عالحمام   ماسترتولا عورتها

مخفتو شيء من جهنم أظهرتوا مسطرتها
يوم الله بتتكلم ولسان الحق الحق بيظهر

ثم قال :

أي خوري لي نباك قلك مذهبكم مثبوت
شوها الدين لي ملبك لا هو حي ولا يموت
إمن سمعك بيسبك طاوعني واهداا واسكت
ربي ربٍ لا ربك هلي عا الحيط مصور

ثم قال :

رب صورتو بايديك تتصملو وتصليلو
من قال انوا بيريدك ترقصلوا وتغنيلو
عارف قِلبَك مِن جيدَك حيث مخالف انجيلو
استعدادك ما بفيدك يا ويلك من حر النار

ثم قال :

مريم كانت منضورا للباري وتقبلها
صورها بأحسن صورا وعا القديسة فضلها
حرة تقي مخبورا قلتو يوسف حَّبلها
بعد الكانت مستورة البستوها ثوب العار

ثم قال :

ما صدقتو تا شفتو قلتو هذا مش بدوق
كان بالمهد وجاوبتوا وجاوبكم اني مخلوق
حيث تكلم وسمعتو انو بالحق بينطق
يعني كيف عملتو اب وابنو فرد عيار

ثم قال :

قام هرودس وجنودو لا يقبل عيسى وإمو
ما عرفوا شو مقصودو لمن أعوانوا التمو
شكل يوسف عزنودو وخبا عيسى في كمو
بطرس والعذرا شهودو خش القدس وعمَّر دار

ثم قال :

عالحق بجيب شهودي وبكشف عيب المتعدي
افتح كتب الموجودي بتلاقي الحق بـيَدْي
حكّمتوا بعيسى يهودي ورضيتولو بالشدي
هنّـي نجار العودي وانتو بشَّمتوا المسمار

قال محمود :

الكم أرباب كثيري من بابا وخوري ومطران
علقتكم علقة كبيري بصرايين من القطران
راعيكم مالو جيري هلي يرعاكم مطران
وجهنم الكم سيري أيمن عدًّا ما بيظهر

ثم قال :

جاوبني تا اسمع منك أيش منزل بالأنجيل
غير هلي بضنك لاتخالي هالنفس تميل
قوال وينو فنك بتذكرو جيل وجيل
غلطوني قالوا عنك انك قوال وشاطر

قال داوود :

جاوبني وردد آيات هلي نزلت بالقرآن

بتقولو بتحوو الحيات وبتدعو بتجمعو الجان
كرمال بنزل ضربات عليكم بأمر الديان
أيمن لف اللفة ومات بتبنولو قبة ومزار

ثم قال :

مالك قلو يا رضوان عالجنة جاييك ضيوف
قائدهم سيد عدنان دونك خلفو صفوف صفوف
قوم نشأ عا الايمان كانوا أولى بالمعروف
جاثو بأمر الرحمن عالجنة يا نعم الدار

ثم قال :

جاوب رضوان وقللو اهلا وسهلا بضيوفي
كانوا يصومو ويصلو وشهادتهم معروفي
أهل الدين بيتجلو الدنيا الهم موقوفي
واللي عن امرو خلو بيفعل فيهم ما يختار

قال داوود :

هلي مثلك يا محمود عم تحكي وعم تتكلم
ان كان الشيطان الو جنود بيكون جنودو الاسلام
جايه عم توضع حدود شايفلك رايح تندم
بكره المتوالي بيسود حتالي المهدي يظهر

ثم قال :

عيسى من عبَّاد الخاص صايم ومصلي لله
يبري الأعمى والأبرص ويحي الموتى بإذن الله
لمن قسمتوه حصاص من ذاك تعوذ بالله

تاجاه ربو بالخلاص من ايد قوم كفار

ثم قال :

هتلي آية مثبوتي تا إعرف أينو مِحبَّك
ربك جسم الناسوتي وا الله اللاهوتي ربك
فيه بجنبك زاغزتي حاجي با الله ملبَّك
دينك قفي مفخوتي مابظبتلكش بذار

احد القوالين :

بين داوود وبين محمود بطيرشيحا صاير خِلفي
محمود عندو جيش جنود وداوود مجمّع حلفي
مدري مين البدو يسود ومين اللي عندو حرفي
مبتقدر بتوضع حدود للفائز الله أخير

قال داوود :

طاوعني افرش ونام وعبّي راسك بنت الحان
ما في دين ولا اسلام كلهم عباد الشيطان
أيمن لف اللفة وقام بتقولو عنو انسان
من اللفات غليتو الخام ومن الصلا قلقتو الجار

قال محمود :

لو جائوك ملوك اثنين قالولك اينو ربك
يا نصراني كيف لك عين تجحد في رب رباك
عيسى ورب مش ربين الله بكتابو أنباك
مدخّل في قلبك حبين يا ويلك من حر النار

ثم قال :

رب يصلب بكفوفو لا بيحكي ولا بيتكلم
كيف الكم عين تشوفو واقع بين دَيْنِ الظلام
تا يسلم من معروفو أما من خوفو سلم
كنو سلم من خوفو بيكون الظالم أقدر

ثم قال :

ربٍ تاه من عبادو وتخبا بين الزيتون
طلع طرود من بلادو كيف ربوبيتو بتكون
أرْمَى الوَهْرَة بفوادو يهودي كافر ملعون
الخوري شو كان مرادو عن ها الداعي لَتْـأخَّر

ثم قال :

حيث انو عندك مثبوت انو عيسى ابن الله
هلي بيحيي ما بيموت حيث الكون بيد الله
بتقولو جسم الناسوت هلي مات بأمر الله
والباقي جسم اللاهوت بأي كتاب مسطر

ثم قال :

في حكي يلزملوا شهود وحكي شهودو منو وفيه
ولمن عيسى راح طرود بيو ليش كاين ناسيه
كاين غايب مش موجود والله مش قادر يحميه
حاسب نفسك يا داوود. وارجع عن دين الكفار

ثم قال :

ربي لبيحي وبيميت والعالم من تحتِ ايدو
بيهرب من واحد كرِّيت خوفو منو تيكيدو

انتِ وغيرك ليش رضيت ربّاً يهرب من ريدو
بدكُن قطران وكبريت يا عبادين الأحبار

ثم قال :

يا من بالدنيا مغرور والايام بتزهيلك
لا تحسب انك منصور يومك عما يناديلك
ونقمت علي بالزور لات قول اني برثيلك
خلي طابقنا مستور لات فتح باب مسكر

ثم قال :

عيسى مصلوب مشبك بخشابو شياً يحذيه
وشيء اليأذنو ربك كيف حتى بتتبارك فيه
غير هلي بظنك بيوم المحشر بتلاقيه
نار جهنم بتصدك كالقصر يرمي بشرار

ثم قال :

خذلك مني ها المكتوب مضمون وشرحو مجنس
وان ما أديت المطلوب في عيسى لا تتونس
عيسى عند الله محبوب حيث انو بروحو مقدس
لكنو عندك مصلوب يا ويلك من حرّ النار

ثم قال :

الله واحد وحداني لا لو حرمي ولا مولود
كيف عملتولو ثاني ضفتو العابد للمعبود
بعتو الباقي بالفاني وعابد تصويرة من عود
صنعة يدك يا زاني ياابن الزاني يا سحار

ثم قال :

بين الباطن والظاهر	دين النصراني معكوس
تارك انجيل الطاهر	ماسك عوصيَّة بطرس
توحيد الرب القادر	أفضل من ضرب الناقوس
قلب المتوالي طاهر	بقولة الله أكبر

ولما وصلوا الى هذه الدرجة ، خاف القاضي وجماعة من العقلاء الحاضرين ان يتولد من تلك المقالات شر ، فألزموا أصحاب الزفاف باستعمال شيء آخر لتغيير الموضوع وحسم مادة النزاع ، فخلوا برجل مسيحي من القوالين ، قالوا له أنا نرى أن نضع اساساً لبناء الصلح والاصلاح ، فتقدم الرجل وقال :

داوود ما عاد بدو يقول	اغفل يا محمود ونام
وعلجني ما عدلو دخول	خلي الجني للاسلام
ومش لازم هالشر يطول	والصلح سيد الأحكام
وكلتنا لا بد نزول	والباري فينا أخبر

وعندها تقدم القاضي وفريق من وجوه المجتمعين ، وألزموا محمود وداوود بالمصافحة والمصالحة ، وكثرت الغوغاء ، وأجمع الكل على ذلك ، وقربوا كل واحد من صاحبه ، فأشار محمود الى الناس أن يسكتوا ، فسكتوا ، فرفع صوته وقال :

لولا سيدي الشيخ صالح	والأعيان الموجودي
ما كنت بدي صالح	حتى ابذل مجهودي
لكن من هون ورايح	بدي إرمي مقصودي
في وسط البحر المالح	ولا واحد يتكدر

فأجابه داوود وقال :

شبكات الدنيا كثيري	يا ما طعنا وعصينا

والشختورا لكبيري ربطناها عالمينا
وعدلنا عن هالسيري كرمال خاطر قاضينا
وأهل البلد والجيري وجميع القوم الحضار

ثم اعتنقا وافترقا وصفق الناس وقى الحمد لله رب العالمين .

ولما كان من الغد جلس محمود حداثا في دكان هناك ، فمرَّ بـه داوود وجلسا يتحدثان ، فكان من جملة الحديث أن قـال داوود لمحمـود على سبيل المعاتبـة : لقـد تحاملت في المقاولة وحملت علينا حملة منكرة .

فقال محمود : أنت البادي ، والبادي أظلم ، والمدافع عن نفسه أسلم ، يا أخي كل عود فيه دخان ، وكل إنسان لا يرضـى بـالهوان ، أظنـك نسيت تلـك المهاجمـة وهاتيك المفاجأة التي فاجأتني بها لأول وهلة علـى غـير موجـب ، وهـي الـتي دعتـني لتوسيع النطاق والمجال ، مثل قولك :

شو حدك يا متوالي حتى تتعدى عالكار

من باب الاستهزاء العظيم ، حتى كأن المتوالي من غير خلـق الله ، وانـه لم يك شيئا مذكورا ، ومثل قولك :

بونا الخوري أحكالي عصرية عيد الميلاد
قلي إنو المتوالي أنجس من كلب أزعر

ومثل قولك :

انتو ما إلكُنشِ كتاب نحنا مذهبنا أفخر

وغير ذلك من الإنقاص الذي لايرضى به أحد .

فقال داوود : اني سمعت من أغلب الناس بأن المتاولة ليسوا من المسلمين وليس لهم كتاب ولا يعتقدون بشيء .

فقال محمود : ان الله مع الصابرين ، ليعلم كل جاهل بأن المتاولـة مـن صفـوة

المسلمين ، ومن أعظم المتمسكين بدين الاسلام والمحافظين على أصوله وفروعه أكثر من غيرهم ، يقرون لله بالوحدانية ولمحمد(ص) بالرسالة ويصلون الفرائض الخمس في كل يوم ، ويصومون شهر رمضان ، ويحجون الى بيت ا الله الحرام في مكة ، ويصلون الى قبلة الاسلام ، ويعتقدون بأن القرآن حق ، أنزل من عند ا الله على محمد (ص) ويحللون حلاله ويحرمون حرامه ولا يستهان بعددهم في العراق وايران والهند وأطراف روسيا وبلاد البحرين

وبلاد الافغان وتركستان ، ذلك العدد الذي يجمع عشرات الملايين من الناس ، وفيهم العلماء والأدباء والشعراء والزعماء والعشائر ، وأصحاب التأليف والتصنيف وفي بلادهم المساجد والجوامع التي لا تحصى ، وهم المعروفون بالشيعة الجعفريين ، ولا يعرف منهم بالمتاولة الا هذه الشرذمة الموجودة في جبل عامل ، فلا ينبغي من أهل المعرفة والإنصاف أن يقولوا في مثل هؤلاء القوم شيئا من الاحتقار .

فقال داوود : يا أخي لا تؤاخذني فاني غريب عن كل ما ذكرت ، ثم افترقا بعد المعاتبة والمسامحة وا الله بكل شيء عليم .

وله قصيدة نظمها بمناسبة وقعة الخيام وهي من حوادث سنة ١٣١٢هـج الموافق سنة ١٨٩٤م ، وقد ذكرناها في كتابنا (جبل عامل في التاريخ) الطبعة الثانية المطبوع سنة ١٤٠٦هج -١٩٨٦م ص٣٥٩ ، وهذا ما بقي منها مما حفظه الناس الى هذا الوقت :

ابدأ بالصـلاة عالـمحمد   صـلاة دايمـة ليـلا نهارا
بقول قالو محمود قاسم   حوادث عمّت الدنيا اخبار
حكاها بالجري أول وتالي   وابن الفن يفهم بالإشارا

....

سببها كان متوالي ودرزي   وكان الشر أصلو من شرارا
عرفوا دروز راشيا وحلوى   ويمطى ومزرعة دير العشارا
وباقي القرايا خبروها   مثل طلاس وربوح النشارا
رادوا يعملوا فتنة عظيمي   وفيها رايدين الإفتخارا
وبعد ما جمعوا كل المشايخ   وعملوا محكمة وديوان إدارا
قالوا يا حمد نحن ارجالك   وانت كبيرنا والمستشارا
كيف الرأي عندك يا أبانا   دبِّرنا برأيك والبصارا

....

قال الرأي عندي يا جماعة   أشوف الموت أحلى من العزارا
هِدُّوا عالخيام واحرقوها   ولا تخلوش منها ولا سرارا
قيموا النار بالأربع نواحي   وخلوا رمادها بالجو طارا
ولا تبَقُّوا على مخلوق دايم   وهِدُّوا بيوتهم وامحوا الأثارا
وعند الصبح لو جاني مبشِّر   عشر ليرات لاعطيه البشارا

....

ردُّوا عليه من قوموا ثلاثة وقالوا يا حمد رأيك هزارا
ما بتعرفش إنو السور مانع وجُوَّا السور إسلام ونصارا
ما بتعرفش إنو السبع فيها محمد بو علي نور العمارا
حولو عَيْلتُو خيك وبيَّك وعمّك وابن عمّك فرد حارا
حين ما نبح كلب الجعَاري تشوف رجالهم مثل النمارا
بني متوال عادتهم قديمي سباعا لو صلوا للحرب نارا
وهذا الرأي مهنا ما يوافق نعم شِدُّوا العزايم عالنصارا

....

فهم مضمونها واحد مسيحي ضرب كفو اليمين عاليسارا
وطفش بالليل عاخوري القليعا وقلوا قوم يا بونا بشارا
قلو ما الخبر يا بو مطانس كفى الله شر من فينا استجارا
قلُّوا العجل قيقب يا أبانا دخيلك دلني عاشي مغارا
قلوا روح لمحمد أفندي احكيلوا مثل ما توقع وصارا
طفش بالليل لمحمد وقلوا كلام السر آخِرْتو جهارا

....

كتب بالحال والساعة كتابو لابو كامل وقدملوا العبارا
فِهم مضمونها البيك المعظَّم ونادى عالخدم كونوا حذارا
دَرَف خيَّال من عِندو مخصَّص وقلوا روح عا تلِّ المنَارا
نادي بصوت عالي وين راحوا بني متوال يا أهل الجسارا
منهم من سمع صوت المنادي عشر تلاف هالكانو حضارا

....

ركب كامل ومِسْكِ السيف بيدو وهزُّوا تا غدي مثل السوارا

هزّ السيف بو زطام بيدو ... وصار السيف بيدو كالسوارا
وقلوا إلك من زمن ناصيف نايم ... خسر القبق أعظم خسارا
وقلوا قوم جايتك عزيمة ... تريد المعركة والله الزيارا

....

وكان السيف شايف بيمنامو ... بـإنُّوا قد حمي سوق التجارا
وشِرب من عين مَيْتها لذيذي ... ولون المي يعطي بالحَمَارَا
ودعا بالسما يصدق منامو ... ويشبع دوم من دم الكفارا

الى أن قال :

حسب لا وقعة صارت قديمي ... وبات الليل مجهول الخسارا
وواتا والقلق من كل جانب ... لذيذ النوم من عينيه طارا
بجدل شمس عز الكان فيها ... تشوف رجالهم مثل الامارا
واللي كان راكب عالكحيلا ... صار اليوم راكب عا حمارا
واللي كان نايم عا تخت مصري ... صار اليوم نايم عا ستارا
شفت لفّاتهم لبعيد بيضا ... مثل البُوم عاروس الحجارا

هذا ما يحضرنا منها فعلا .

وله قصيدة تعتبر ملحمة شعرية ، فيهـا صـورة عـن حيـاة النـاس في عهـد عبـد الحميد وعهد محمد رشاد ، من سلاطين العثمانيين ، منظومة حوالي سنة ١٩١٤م الف وتسعماية وأربع عشرة ميلادي ، تمثل المجاعة والأمن والخوف ، وتتحدث عـن أسـعار الحاجيات ، نحفظ منها أبياتا ونتمنى أن نجدها لنضيفها في المستقبل ؛ وهذا مـا نحفظـه منها مما سجله لنا الشاعر الزجلي يوسف سعد من بلدتنا حاريص :

قلنا قصيدة منتظم احوالها — فيما جري فيها شرح قوالها
عا سفر برلك نظَمنا بيوتها — تحكي القصيدة شو جرى بِحْوَالها
كانت الدنيا في زمن عبد الحميد — بألف خير وكان هادي بالـها
بعد منُّوا حكّموا محمد رشاد — بالمملكة تا ينتظم أحوالها
لما جلس عا كرستو وفيها حكم — والمملكة ذاقت عظيم اهوالها
بالحال عمّ السَوّ (١) عالدنيا — عموم أرسل علينا جراد أمحى غلالها
مثل حب الرمل ما إلو عدد — ملاّ الأراضي سهلها وجبالها
آتي الفنى بالناس أيضا والغلا — حتى لحق زَور الشعير ريالها (٢)
أهل الكرم إلهن عوايد بالكرم — سكّروا بواب اِللهُنْ بقفالها
والناس باعت ملكها لا بعضها — بأرخص ثمن حتى تطعمي عيالها
بالغلا عاش الغني ومات الفقير — امثالنا وقعت بسَوّ اعمالها
عاش الفقير عالعشب من حيث أتى — من دون ملح وزيت ما قلاّها
والحرمةِ لـمالـها معين يعونها — من جوعها يا ناس رَهَتْ بِيْحَالها(٣)

---

(١) السو : السوء .

(٢) زَوْر الشعير : يقال انه عبارة عن جمع الكفين وملوهما شعيرا . والريال : يقـال انـه خُمس المجيدة ، والمجيدة تساوي خمس ليرات والليرة بخمس ريالات .

(٣) رهت بيحالها : عرضت نفسها .

خبز العدس والفول والبلوط مَرَضْ للناس وَرَّث داء من اشكالها
كان بو درويش مفتاح السبب حاش بلوط الشعب بعدالها
عبَّا الكواير ظَلْ لا داير سنة ياكل ويشرب عيلتو شعاباها
كانت عا بو دريش ساعة مباركة لمن عرف إنُّو الجحش شالها
من شوقو للزفر ما عاد صبر شوا إيد الجحش بشعرها ونعالها
كل بيتٍ فيه جاروشي بلاط بتظلها تحنّ تا يعلٍّ طحالها
طلعت أوامر بالعجل مِنْويْ الرَّدِيف هِمُّوا عا حَرب الدول وقتالها(١)
لركبت الخيل الصواري في الطرى بُعْدِ الثريا تا تِلمّ غلالها
علقوا أعلام ظاهر للوجود كلمن هرب للمشنقة وحبالها
دارْ رَمْيِ الزِلم من سعرو سقط والزلم تفزع لو سبقها خيَالها
بعدها طِلعت أوامر صارمي والخيل ركبت في طلب اموالها
عا جبيل ودًّا التين عا جمال السقا خافوا على جمالن تشيل حمالها
يا نازكي يا صور حاكم للقضا ذاق القضا منها عظيم اهوالها
والسبع صيتو راح من ظلم اللعين يضرب على جرَيْنِ الزلم وقلالها(٢)
لما اللعين العبد لا عِنّا لَفَا قامت ولاويل النسا واطفالها
عشرين منا "بالعريِّش" أكملوا عشرين "بالسوسي" كمان قبالها
عشرين "بالياذون" جتني خبارهم وفي "جبال العين" ايضا امثالها(٣)

(١) منوي : أي الدولة ناوية وعازمة على أخذ الرحال للحرب . والرديف : المجندين الاجباريين .

(٢) جرين : أرجل . قلالها : قفاها

(٣) العريش والسوسي والياذون وجبال العين : اسماء مواضع في بلدته حاريص .

لما طلع جيش الأجانب عا الفلا	منها خذا محمد رشاد وقالـها
طَيْلَع مِعو عالبر طيارة خشب	ومنظمي بترابها وكلالـها
عِند ما خشُّو الأجانب نابلس	حقّـق على إنُّو أَخَذْها ونالـها
عسكَرِت منها خرج ابو عدس	فات العنابر مع جميع اموالـها
عاد عا جسر الجامع قوَّمُوا	واللكانت محمد رشاد موَّالـها
لما ذهب جيش الأجانب للجسر	بالحال ابو العمارص قالـها(٣)
وتملكوا الدنيا كما كانت قديم	رجعت كما كانت لهم عاحالـها
من الجسر للقبلة مَلَكها الانكليز	والفرنسا تملكت لشمالـها
حكّموا منها نواحي للشريف	واتمكنوا فيها انتهت احوالـها
من قد ما جُرْت وظَلَمت المملكة	دولتك بالنصر من ادعالـها
هيهات انتو تحكموا بلاد العرب	الا اذا كان الملوك رجالـها
والصلاة على النبي طه الحبيب	والفاتحة لا روح بي اللي قالـها

وله قصيدة يرغبها السواد رتب محمود قاسم مقاطعها على حـروف الهجـاء وهـي ميمية في مدح النبي(ص) وأمير المؤمنين (ع)، كل مقطع منها مؤلف من بيتين ، يبتدئ الشطر الأول من البيت الأول بحرف من حروف الهجاء وينتهي به ، وكذلك شطره الثاني ، وهكذا الحال بالنسبة للبيت الثاني ما عدا آخر الشطر الثاني منه فانه (ميم) في كل القصيدة ، ويسمونها (**المألفية**) ، وهي هذه :

(حرف الهزة)

آمنت با لله ربي خالق الأسماء	أرسل محمد نبي حقاً بلا إخفاء
أنزل عليه كتاباً باطنوا أشياء	أوضح به للورى نورا وأعلامي

---

(٣) للجسر : لعله جسر القاسمية .

(الباء)

باب النجا من لظا ناراً بسبع ابواب بالمصطفى من توثق ليس ظنو خاب
بالابتداء كان آدم من ثرى وتراب برهان ربي جَعَلُّوا روحٍ وِجسَامِي

(التاء)

تاجر بمدح النبي تِبرى من الشدَّات تربح اذا كان في قلبك يقين اثبات
تابع إمامي عليا صاحب الهمات تورد على الحوض في يوم تكن ظامي

(الثاء)

ثاني محمد عليّ في كل علم باث ثوب الخلافة نعم حقا له ميراث
ثاري الى الله لمن يستغيثو غاث ثابت على الحق في شرع وأحكامي

(الجيم)

جاب اليهودي مسائل من قديم وهاج جامع جميع المعاني في الضمير ولاج
جادلوا وجاوبوا علي عن كل ما يحتاج جاد اليهودي بإيمان وإسلامي

(الحاء)

حامي الحما فارس الهيجا بيوم كفاح حارت جميع الكفر لّمن عليهم صاح
حارب وكم ذلّ منهم فارساً جحجاح حاكم بسيفو على لات وأصنامي

(الخاء)

خارق صفوف العِدَا من دون أب وأخ خيَّب رجا عمرو مما يرتجيه وباخ
خير العمل والجمل عاباب دارو ناخ خاطب محمّد حبيب الله واختامي

(الدال)

دلت عليه الدلايل من قديم وجاد داعي الى الله ما من فوق يدُّو يد
درع الفتى حيدر الكرار بيدُّو صدّ دشمان صفين غاصت بالدِمَا قامي

(الذال)

ذلت له الأسد في دار يسمى عاذ ذِكْرُو تشرّف على ماء الفرات ولاذ
ذات الفقار افترق سبعة فرق وان لاذ ذابح به كل صنديد وضرغام

(الراء)

رب السما حافظوا من كل ظالم جار راعيه في الأرض باني في السما له دار
راكب جوادو بيدو مرهف بتار روح من الله افضالاً وإكرامي

(الزاي)

زاهد بدنياه لو كانت عروس واعزّ زين المعاني اذا سل الحسام وهزّ
زاير علياً زال عنو كل أمر جاز زايد عن الناس إنعاما وإحشامي

(السين)

ساقي من الحوض لا من يستغيثو كاس ساجد الى الله كم ساحت بحبُّو ناس
ساعي من الله جبرئيل نخ وباس سيفا لعلي أتى المرتضى السامي

(الشين)

شق الجمل واليهودي بالحسام وخاش شبرين بالأرضين والكافربيدموا طاش
شاله ا ٠ ن الأرض طاهر ما عليه غباش شارب من الدم ماكِل لحم وعظامي

(الصاد)

صاحت جميع اليهود من كل دانٍ وقاص صوتاً من الخوف حتى البرّ فيهم غاص
صلى النبي ركعتين وقال يا من خاص صالح من الصخر في ناقة بلا رحامي

(الضاد والظاء)

ضاعف عذابك لعبد عن هوانا فاض ضعضع قبائل اذا اشتد الغضب واغتاض
ظاهر عن الحق ما لو بالشفاعة حظ ضامن بنار الصعيد محل ومقامي

(الطاء)

طاعن صدور العِدَا فارس قريش وحط		طاح الخنادق بميمونوا وعام الشط
طاعت له الأسد ما من زنيم قط		طير المنايا فوق روس اللهم حامي

(العين)

عالم وفي كل ما يرغب طويل الباع		عارف جميع الحوداث ما تخبا وشاع
عفاف عند اقتداروعن خصيموا انطاع		عادل بحكموا رفيق وغامي

(الغين)

غايب عن العين حاضر لو ندهتوا صاغ		غايث لمن يستغيثوا في يتيم صاغ
غيلان بير العلم أرسل عليهم داغ		غاصوا الى تحت ركن البيت بزحامي

(الفاء)

فايق بعلموا على أهل العلوم وناف		فارس غظنفر ومنُّو كل فارس خاف
فاري الهموم البلية وشين وكاف		فادي اليهودي بإيمان وإسلامي

(القاف)

قال اليهودي اذا قولك يا محمد حق		قرِّب لنا بينة خلي القمر ينشق
قام النبي وانتصب عا العهد والميثاق		قادرٍ انشقّ البدر من جيبو والكمامي

(الكاف)

كون الاله الذي لا ريب فيه وشك		كرم محمد باطلاق السطيح وفك
كان السطيح بسبأ جلّ جعلّوا فك		كلم محمد بألفاظ وإفهامي

(اللام)

لما نظر ما صدر خير اليهودي قال		لا رب لي غير الآله الواحد المتعال
لكني بمحمد صاحب الأفضال		لا زلت أمدح مدى دهري وأيامي

(الميم)

مادح محمد جزاتو في النعيم مقام ما ظن مادح محمد يعتريه سقام
ما لي سوى المصطفى في شدتي لو قام ميزان حقي وفيه قيد أزمامي

(النون)

ناكر عليا جزاتو في الجحيم مكان ناهي عن الحق طاغي ما إليه اركان
نادي امامي علي في باطن ولسان نجاك من كل شداتٍ وأوهامي

(الهاء)

هاذا الامام الذي ثاني رسول الله هادي الى الحق سبحان الذي ولاّه
هاتف سعد للسما سل الحسام وجاه هاجم على البحر لا على الأقدامي

(الواو)

واصي العفاريت إياكم تجوزو الجو واتجنبوا من شخص بوجهو شعاع الضو
واقف وماسك في يدُّو مرهفا للسو والليث من هيبتو هادي على الهامي

(لا)

لا لا ولا لا ولا عن حبهم لا لا تنكروا حق محمد الذي قالا
لا والذي زادهم جاهاً وإفضالا لا أنثني عن حبّ هيج غرامي

(الياء)

يا عالما بالغيب يار رب السما ياحي بكفيك علمي بحالي من صلاح وغي
يا باعث المصطفى للناس بأحس زي يوم الهجير استظل بظل الغمامي

(٧)
المَرحُوم الأدِيب الفَاضِل
السَيد عَلي بَدرِ الدِين
١٤٠٠هج - ١٩٨٠م

صباح الاربعاء٢٦ رمضان سنة ١٤٠٠هج الموافق ١٩٨٠/٧/٦م ؛ سمعنا من اذاعة صوت لبنان الأمل ما يلي :

(خطف السيد علي بدر الدين العاملي من بلدته حاروف قُبَيل الفجر ، عندما كان خارجاً من بيته الى المسجد ، ثم وجد مقتولاً في بعض الاحراش قرب النبطية) .

وقيل انه وُجد في أول مفرق النبطية قريب (التابلين) على يمين الذاهب الى صيدا الى النبطية .

وقيل انه وُجد مقتولاً بعدَّة طلقات نارية في رأسه وأن لسانه محروق بالنار .

في العِرَاق

وكان قد ذهب للعراق لطلب العلم الديني ، وكان شاعراً لامعاً جريئاً ، فاتصل بحكّام العراق من زعماء البعث فسايرهم ، ونال مواهبهم السخية ، وكان يتشفع عندهم في الافراج عمن يعتقلونه من طلاب العلم الديني من العامليين ، ولكن الناس يحفظون السيئة الواحدة وينسون عشرات الحسنات .

ثم عاد الى لبنان في هذه السنة أعني سنة ١٤٠٠هج ، ولعله كان عازماً على ترك خَطّه ، وقد زارنا في بيرت في حارة حريك مكرراً ، وكان يتودّد لنا كثيراً ، وهو خفيف الظل ، مرح ، نحيف الجسم ، تزوج بفتاة نجفية من آل ابو بصيبع (الدفانة) .

وعندما ورد لبنان استأجر منزلاً في بحمدون على أول المفرق الذي يفصل

بحمدون الى خطين متجهين الى جهة دمشق ، وبعد تكرر المعرفة والزيارة دعانا لمنزله هذا ، فأجبنا ، والظاهر انه اشتغل في النجف بالأدب والسياسة فقط .

وكنت في ضيافته انا والسيد محمد حسن الامين قاضي صيدا .

ومما حدثنا به قال : عندما توفي العلامة الشيخ جعفر حيدر في سوق الشيوخ ، رثاه ولده الشيخ محمد حيدر ، بقصيدة جاء فيها :

لقد تركت لنا في السوق ألف أب ... أبي وما أرى أحدا في الناس مثل أبي

ويعني بالسوق مدينة سوق الشيوخ ، الواقعة في لواء الغرّاف من العراق ، وآل حيدر من أعيان هذه المدينة وعلمائها .

وعندما سمعه العلامة الشاعر الشيخ حميد السماوي ، كتب له رقعة ، وأرسلها اليه وهو مشغول بالإنشاد ، فيها قوله :

فقد تركت لنا في السوق ألف أب ... رح لا رجعت لنا يا مذهب الكلب

ولا يخفى على أهل الأدب ما في ذلك من دقة ملاحظة السماوي ، ومن استعداد العراقيين للنكتة ولتقبلها .

(٨)

المَرحُوم العَلامَة

الشَيْخ مُوسَى عِزِّ الدِين

العَامِلِي

توفي يوم الخميس في العشرين من شعبان سنة الف واربعماية هجرية الموافق ٣ آب ١٩٨٠ م .

ولعله ناهز التسعين ، وقد أقعد قبل وفاته بنحو سنتين ، وكان من العلماء الفضلاء المتدينين ، ودفن في بلدته العباسي القريبة من صور .

وكان يُعدّ من الطبقة الثانية في المحصلين يوم كنا ندرس (المطول) و(المعالم) ، وكان شبه معتزل لمجالس العامليين وغيرهم نسبياً ، فكان لا يحضر النوادي العاملية الا بقدر الضرورة ، وكان له غرفة في مدرسة الخليلي يتفرغ فيها للمطالعة ويُدرِّس فيها ، وكنا في تلك المدرسة ، فاذا جلسنا عنده وأردنا أن نتحدث معه -وكنا لا نحسن الحديث بأكثر من أحوال الناس - فكان يفتح لنا كتاب (المكاسب) ويقرأ علينا قوله(ع) :(الغيبة أدام كلاب أهل النار) ، وقوله (ع) :(كذب من يدعي أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة) .

وفهمت أنه كان في موسم السمن يشتري كمية من السمن ، فاذا انقضى الموسم وارتفعت قيمة السمن باع الفاضل وأصبح ما يبقى لمؤنته من الربح .

وهذه طريقة تجارية لم أعرف أحدا من طلاب العلم فكر فيها ، ولعله كان يستعملها في غير السمن .

ولما عاد الى جبل عامل ، شجّر أرضه التي ورثها بالزيتون واشترى معصرة زيت بدائية ، ثم تطورت أحواله المادية وأصبح مستغنياً عن الناس .

وحدثني في النجف عندما أصبحت مرموقاً في العامليين ، وعاد هو لزيارة

المشاهد : أنه بقي سنوات يُدرِّس الرسالة العملية ويفقه الناس ، ولا يُدرس الخمس والزكاة الى أن استغنى عن ذلك ، ولما استغنى عنه دَرَّسهم الخمس والزكاة قال لهم : انما لم أدرسكم هذين الكتابين فرارا من التهمة ، ولما أصبحت غنياً كأحدكم رجحت تدريسكم اياه ..رحمه الله برحمته الواسعة .

ثم بعد ذلك عرفته في جبل عامل ، فوجدته ممن بلغ مرتبة الاجتهاد وممن يتأنى في الفتيا ويتطلب الدليل من مظانه ، ولكنه لم يكتب له مزاولة الفقه في النجف مزاولة تجعله من الناضجين ، ولكنه كان مع ذلك أميز ممن اشترك معهم في تأسيس جمعية العلماء الدينية التي تأسست ، ثم أنشأت هذه الجمعية مدرسة دينية في صور ، وكان هو العمدة في ذلك ثم سببت له مشاكل مع أعضاء الجمعية .

وقد زارني مكررا في حاريص وفي بيروت ، وعرض علي مرة في بيروت تولي أمور المدرسة ، وكان معه الشيخ عبد الحميد الحرّ والسيد أحمد شوقي وغيرهما ، فاعتذرت بأنه لم يبق في العمر فسحة تحركني على تغيير سكني وجعله في صور ، وأنه لا طاقة لي على المشاكل ، مضافا الى أنه لم يكن لدي فراغ لمثل هذه الأعمال .

(٩)
المَرحُوم
الشَيْخ حُسَين عَوَّاد
العَاملي الكِسرواني

توفي يوم الثلثاء في الثاني عشر من شهر رجب ١٤٠٣ هـ سنة ألـف وأربعماية وثلاثة هجري ، الموافق ٢٦نيسان ١٩٨٣م الف وتسعماية وثـلاث وثمـانين ، وحمـل جثمانه الى النجف الأشرف .

ورد النجف لطلب العلم وعنده زوجة وأولاد ، وأقام في بيـت المرحـوم الحـاج ابراهيم عواد المجاور لبيتنا في أول (الجديدة) .

وكان مؤمنا متعبدا يقوم الليل ويُكثر الصيام ، وكان يحلف على ترك السـيكارة الا يوما واحدا في الشهر ، فيشرب منها في ذلـك اليـوم بكـثرة ، وكـان علـى جـانب كبير من الورع والفقه .

وكان مشتغلا في دروسه ويُدرس ولده الشيخ حسن المقيم فعلا في الغبيري مـن ضواحي بيروت ، والذي يؤم الناس في مسجد الإمام زين العـابدين (ع) الـذي شيَّده المرحوم ابن عمهم الحاج ابراهيم عواد .

وكان لا يقبل المال من أقاربه على ثرائهم ، وكان لا يأكل عنـد أحـد مـع أنـه سخي في منزله مُوسِّع على عياله حسبما كنت ألمحه منه .

والسبب في عدم أكله عند غير أنه كان يسمع أهل كسـروان اوغـيرهم ينـالون من أهل العلم بأنهم يتناولون الطيبات من الولائم والعزائم وأوقات الضيافة .

وكان قبل هجرته يعمل مع اخوته وأقاربه في اصلاح السيارات أو بيع أجزائها، و لم يتحدث عن ذلك ولا مرة واحدة أمامي .

وبلغني بعد وفاته ممن كان يتعلم عنده ، أنه كان يُميّز لهم مراتب العلمـاء بقولـه

بعض العلماء المجتهدين لهم أن يعملوا برأيهم وليس لهم أن يعطوه لغيرهم ، وبعضهم له أن يعمل برأيه وله أن يعطيه لغيره - ويعني بذلك المراجع - ويقول : ليس في بلادنا من له هذا الحق الا الشيخ محمد تقي الفقيه !

وكان يؤم الناس في مسجد برج البراجنة ويُدرسهم الرسالة ويعظهم ، وكان شديد الجلد والصبر ، رحمنا الله واياه برحمته الواسعة .

(١٠)

المَرحُوم

الشَيخ عَبد الكَرِيم صَادق

العَامِلي

ولد في بلدة الخيام سنة ١٣١٥هـ ألف وثلاثماية وخمس عشر هجرية ، وتوفي سنة ١٣٩٢هـ ألف وثلاثماية واثنين وتسعون هجرية ، الموافق ١٩٧٢م في شهر اذار .

وتتلمذ بدايةً على الشيخ عبد الحسين صادق والد زوجته ثم هاجر للنجف الأشرف سنة ١٣٢٥هـ ألف وثلاثماية وخمس وعشرين هجرية ، وكان عمره عشر سنوات ، ودرس على النائيني والأصبهاني ، وحضر الكفاية على مؤلفها ملا محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخند ، وعاد الى بلاده سنة ١٣٣٩هـ الف وثلاثماية وتسع وثلاثين هجرية .

وكان شاعرا وشعره وسط .

حدثنا بهذا الحاج عبد الكريم وهبي من بلدة أنصار في ١٦ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ المرافق ١٠ اذار ١٩٨٢م .

(١١)

الشيخ محمد علي المقداد

حدثنا الحاج عبد الكريم وهبي من بلدة (أنصار) في ١٦ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ الموافق ١٠ شباط ١٩٨٢م ، قال :

انه ذهب الى بلدة (فرُون) التابعة لقضاء بنت جبيل ، قبل اسابيع لزيارة العلامة الشيخ محمد علي مقداد ، وسأله عن تاريخ حياته ، وكان الشيخ قد بلغ التاسعة والثمانين من العمر ، وابتلي بثقل السمع ، فاذا سئل عن شيء أجاب عن غيره ، كما هو شأن كل من أصيب بفقد السمع ، نسأل الله سبحانه العافية ، ونستعيذ به من ذلك ، ولكن من رآه على هذا الحال وهو لا يدقق في الأمور ، يظن أنه فاقد الوعي .

وقال : وكانت ابنته البالغة من العمر خمسة وأربعين سنة هي التي تُفهّمه ثم هو يجيب .

وقد قال : انه ولد سنة ١٣١٣هـ ألف وثلاثماية وثلاثة عشر هجرية ، وأنه هاجر للنجف الأشرف سنة ١٣٢٧هـ ألف وثلاثماية وسبعة وعشرين هجرية وكان عمره نحو أربع عشرة سنة .

وكان والده يتصل بالمرحوم السيد حسن يوسف مكي مدير مدرسة النبطية من قبل الحكومة العثمانية ، وقد درس في هذه المدرسة على الأستاذ علي سليمان من (برج بيروت) .

ثم هاجر للنجف وتتلمذ على الشيخ باقر الجواهري النجفي ، وحضر دروس الخارج على الميرزا حسين النائيني ، والسيد أبو الحسن الأصبهاني ، ودرس ايضا على الميرزا رضا - قلت : وللان لم الميرزا رضا -

ثم عاد من النجف الأشرف الى بلاده سنة ١٣٤١هـ ألف وثلاثماية واحدى وأربعين هجرية ، وكان يخالط الشيخ محمد تقي صادق والشيخ عبد الكريم صادق .

وقال : انه لم يتناول من حق الامام (ع) شيئا في حياته .

قلت : وكان غنيا عن ذلك ، فكان له من الأملاك التي يستثمرها بطريق الفلاحة ما يكفيه .

وقال : كان لا يصلي في المسجد إماما الا نادرا ، وله خمسة بنين وثلاث بنات .

قلت : وقد زرته في بلدته (فرون) قبل سنوات ووجدت منزله مقابل المسجد فغبطته على ذلك ، وتمنيت مثله ، لئلا يفوتني قيام الليل وأداء الفرائض فيه ، ولهلان لم أتوفق لذلك .

توفي رحمه الله في بلدته (فرون) ودفن يوم الخميس خمسة شوال سنة ١٤٠٦هـ الف وأربعماية وستة هجرية ، الموافق ١٢حزيران ١٩٨٦م ، وقالوا : ان عمره ناف على الماية وواحد ، والأصح ما حكيناه عنه كما قرأته ، فيكون قد عاش ثلاثة وتسعين سنة .

****

انتهى بحمد الله

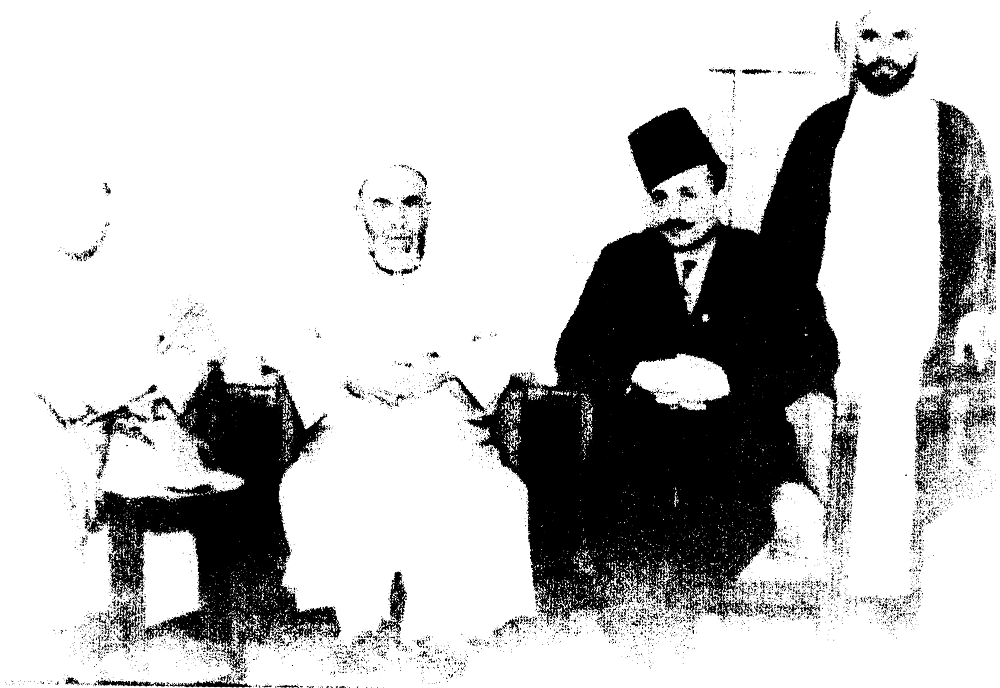
﴿ الجزء الرابع ﴾

من كتابنا

﴿ حجر وطين ﴾

وكان الفراغ من اعداده للمطبعة

مساء الاحد ١٨ شوال ١٤١٥هـ الموافق ١٩/٣/١٩٩٥م في صور



من اليمين : الشيخ علي الفقيه -أحمد الأسعد-الشيخ يوسف الفقيه -الأمير عبدالله نجل الامام يحي ملك اليمن راجع ص١٥-.



من اليمين : البطريرك المعوشي الرئيس بشارة الخوري الرئيس رياض الصلح الشيخ يوسف الفقيه .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين
ولدت البنت الطاهرة ان شاء الله ابنتي زهراء ام الحسن في آخر ليلة الجمعة وهي ليلة
الثامن عشر من جمادى الآخرة من شهر السنة الثالثة والعشرين بعد الثلاثمائة والالف
الهجرية على مهاجرها وآله الصلوة والسلام والتحية جعلها الله خلفا صالحا مباركا ان شاء الله
حرره الجاني يوسف الفقيه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على انعامه والصلوة على محمد وآله
ولد المولود المبارك ان شاء الله ولدي علي مرتضى ابو الحسن
بين العشائين ليلة الجمعة وهي ليلة التاسع من
شهر ذي القعدة من شهور السنة السادسة والعشرين
بعد الثلاثمائة والالف الهجرية على مهاجرها وآله الصلوة
والسلام جعله الله خلفا ان شاء الله تبارك

بسم الله تعالى في حيازة الفقير لله تعالى مؤلفه يوسف الفقيه العاملي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين يوسف الفقيه



لقد اجلت فيما الفه نور بصري بصري وسرحت فيما صنفه
جلاء نظري فوجدته بحمد الله روضة فضل بالازهار
مشحونة بل عيبة علم ولا عيب فيها سوى انها يتيمة ادام الله معالي
ابيها مكنونة فنسأل الله تعالى ان يديم توفيقه ويجعل التقوى
والرشد والعلم صاحبه ورفيقه فلقد بذل جهده في العلوم
ووقع من منطوقها على المفهوم ولا زال باذلا في خدمة العلم
ما عنده واردا اصفى مناهله ومرتقيا اسمى مراقيه بمحمد وآله
صلوات الله عليهم اجمعين محمد كاظم الطباطبائي
في محرم الحرام ١٣٢٦



صورة عن تقريض المرجع السيد كاظم اليزدي بخطه على كتاب الطهارة للشيخ يوسف الفقيه -راجع ص٤٣-.



من اليمين : الشيخ محمد خليل الزين ثم الشيخ محمد تقي الفقيه ثم الشيخ محمد حسن الجزائري ثم الشيخ ابراهيم الخطيب -أخذت في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٦



صورة جمعية العلماء العاملية

وقد وردت أسماء بعضهم في هذا الكتاب أخذت سنة ١٣٥٠ هـ تقريباً ، نعرف منهم في سنة ١٤٠٢هـ من يلي : **(الصف الاول)** : الجلوس من اليمين : ١-الشيخ يوسف الفقيه -٢- السيد مهدي ابراهيم -٣-السيد محمد صفي الدين -٤-الشيخ ....(**الصف الثاني**) : من اليمين : السيد محمد ابراهيم (يحمل عكازاً) -٢- الشيخ حسين مغنية -٣-السيد محسن الأمين-٤-الشيخ حسين نور الدين -٥-الشيخ عبدالله الحر -٦-الشيخ محمد أمين شمس الدين -٦-الشيخ ...-٧-السيد أمين علي أحمد -٨- السيد علي فحص .(**الصف الثالث**) : الشخص الرابع هو : الشيخ سليمان ظاهر ثم الشيخ أحمد رضا ثم الشيخ أسد الله صفا -والشخص السابع هو الشيخ علي الزين .







صور الشيخ محمد تقي الفقيه في شبابه



من اليمين : داوود كرم - محمود حداثا . راجع ص٢٨٨



اخذت في بيروت في ١٩ صفر ١٣٦٩ هـ الموافق ٩ك١ ١٩٤٩م في دار عبد النبي الصائغ -رأس النبع اخذهـا ولـده عادل الصائغ بمناسبة اجتماعنا نحن والعلامة الشيخ حبيب المهاجر (يمين) للمذاكرة بشأن طلاب العلويين .



من اليسار الفاضل الشيخ مرتضى الصائغ ثم الشيخ محمد تقي الفقيه وتبدو كف العلامة المهاجر .

دولت علیهٔ عثمانیه تذکرهٔ سیدر

اسم و شهرتی	پدری اسمیله محل اقامتی	والده‌سی اسمیله محل اقامتی	تاریخ و محل ولادتی	ملتی	صنعت وصفت وخدمت وانتخاب صلاحیتی	متأهل وزوجه‌سی متعدد اولوب اولمدیغی	درجات وصنوف عسکریه‌سی
[illegible]	[illegible]	[illegible]	١٢٩٨ [illegible]	[illegible]		[illegible]	

اشکالی				سجل نفوسه قید اولنان محلی					
بوی	کوز	سیما	علامت فارقه	ولایتی	قضاسی	محله وقریه‌سی	زقاغی	مسکن نومروسی	نوع مسکن
				[illegible]	[illegible]	[illegible]		٨٩	[illegible]

[illegible] دولت علیه‌نك تابعیتنی حائز اولوب
ایشبو تذکره اعطا قلندی

صورة هوية من الدولة العثمانية لعمنا الحاج محمد علي الفقيه ابو وجيه المولود حسب هذه الهوية سنة ١٢٩٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواقف على السرائر، المطلع على ما تكنه الضمائر، وانني استغفره لما ظهر واستتر واعوذ به من شر الدنيا ونكال الآخرة فانه حسبي ونعم المولى ونعم النصير.

ثم انني بحسب ولايتي على ما دخلني من انواع الاموال التي دخلت من حق الامام عليه الصلاة والسلام وقسم منها من الزكاة وقسم من وجوه البر وقسم رابع تبرع به اهله ولم نعرف اكثر من ذلك وكلهم دفعوا المال المذكور على ان تكون ولايته لي لانني لم اقبله الا على هذا الشرط على ان ينفق في سبيل انشاء مدرسة دينية على غرار مدارس النجف الدينية التي يقيم فيها الطلاب ويدرسون فيها فاشتريت الف متر من الارض وخمسمائة متر وخمسة عشر متراً في ذمتي ثم وفيتها من ذلك المال بعد احتساب ما امكن احتسابه منه على نفسي ثم اوقفتها بالعوض وقد اجريت الوقف على النهج الآتي:

اوقفت الارض المذكورة مدرسة دينية واستثنيت منها اربعمائة وخمسين متراً من جهة الجنوب التي تكون ثلاثين متراً على جهة معمل الجص لمفضول فيها بان الربع العام في خمسة عشر متراً تتصل بالمدرسة، تكون ملكاً للمدرسة، ويكون امرها منوطاً بالولي الشرعي لها فاذا كانت المدرسة مديونة، او في حاجة الى مال لاتمام شأنها باعه الولي ووفى او بنى، واذا رأى انها في سعة مالية وفي حاجة لتكثير المساكن اوقفها مدرسة على غرار متبوعها فتكون جزءاً من المدرسة المذكورة في جميع شؤونها، واذا رأى المصلحة في استغلال منافعها للمدرسة بان يبني فيها حوانيت او دوراً او محلات تجارية على اختلافها فله ذلك، واذا وسع اسمه على المدرسة ورأى من المصلحة ان يشيد فيها مطعماً وامورا اخرى تضمن راحة الطلاب على نحو يكونون كالطلاب الذين يقيمون في المدارس الداخلية فعل.

وقد جعلت الولاية الشرعية لي ما دمت حياً ولي ان اتنزل عنها متى شئت الى من شئت وانحيه متى شئت، ومن بعدي تكون للمتقدم في السن والعقل والخبرة ~~من العامليين~~ والفضل والتقوى من العامليين، وليس المراد من حصر الفضل في هذه الصفات بل من وجدت فيه في الجملة فلو وجدا اثنان متقاربان في هذه المراتب لزم التدقيق، فاذا اجتمع اكثر طلاب العامليين على من جمع الصفات المذكورة تعين واذا تشاحوا عين الرئيس الديني في النجف الاشرف الاكثر مرجعية من يراه منهم مستجمعاً لها فان لم يكن فيهم من يصلح للولاية عين من غيرهم من يراه ويتعزل عند وجود اللائق منهم لها.

والغاية من هذه المدرسة فعلاً ايجاد غرف على النهج الحالي او حسب اذا امكن يقيم فيها الطلاب على النهج المتعارف في سائر المدارس، ثم يجعلهم تحت رقابة تربوية ترافقهم في توجيههم الروحي والاخلاقي.

واذا وسع لهم اوجدنا فيها مطعماً وغاسلة ومقهى وقواعدها ليكون الطالب الديني كانه تلميذ داخل في المدارس الحديثة: يكون كمن ينفق مبلغ يدفعه [illegible] بعد الاتفاق مع الولي وللولي ان يقبل الضعفاء او الطلاب بنصف اجور او مجاناً اذا كان لديه اموال ولو مما يرد للمدرسة مما يكون منطبقاً على ذلك وهو اعرف بذلك ولاسيما اذا كان من اهل الاختبار والاحتياط وليس لتلاميذ او طلاب منتسب للمدرسة او بعيد عن الاعتراض عليه حتى ولو كان المال من ريع ممتلكات المدرسة كريع المطعم المذكور وما يلحقه ومن حوانيتها اذا تم لنا ذلك.

واذا سمحت الظروف فالغاية الثانية التنظيم الدراسي الاجباري مع الامتحان مع مراعاة الجهة الخلقية من جهة الكمال فان النجاح عندنا يدور مدار العقل والتقوى قبل العلم الفضل لان ابليس من اعلم الموجودات ومع ذلك فقد حكم عليه بالطرد والابعاد.

وانني اشترط ان لا تكون فرقاً مقبولة عند السلطات الحكومية لانها ستكون مثل من يزرع شجرة طيبة فتثمر ثمرة جنياً يريد ان يقطف فيها عائلته لما نعهد الحكومة حيا دينياً يمتط به اصحاب الاموال والجاه والسلطة فيبيع ومنها عليهم حتى يأخذوا منه ثم لا يجد لما اخذ منهم اثراً ويبقى مع عائلته في الجهد والعول، وقد جربنا ذلك وانه سميع مجيب وهو الولي الحقيقي انه يذكر من الدين امنوا حررت في ١٣٧٥ هـ

محمد تقي الفقيه
العاملي

وقفية المدرسة العاملية في النجف الاشرف



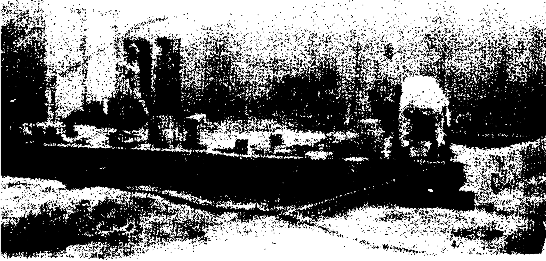






وضع الحجر الأساس: (الصورة الاولى-يمين) -من اليمين : الشيخ مفيد الفقيه -عراقي-الشيخ جعفر الصائغ
السيد فخر الدين ابو الحسن عراقي -الشيخ عبد الامير الفقيه - الشيخ محمد تقي الفقيه .
(الصورة الثانية -يسار) : الشيخ محمد تقي الفقيه يضع الحجر الأساس للمدرسة اللبنانية .





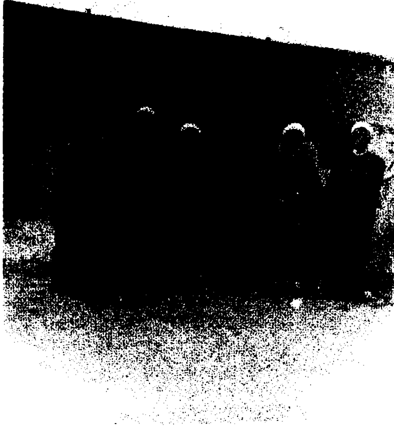




الشخص الثالث هو الشيخ محمد البلاغي

من أعمال البناء في المدرسة وقد قام باعمال البناء الحاج عبد الحسين ياسين والحاج ابو سمير عـلاء الديـن مـن محـدل سلم .







(الصورة الاولى من اليمين) : محمد وهبي الخليل صاحب جريدة (الامة اللبنانية)- الشيخ محمد تقي الفقيه .

ذكرى الاجتماع معه في المدرسة اللبنانية . شهر جمادى الاولى ١٣٧٦هـ الموافق كانون ثاني ١٩٥٧م

المؤلف مع جملة من طلابه ١٩٩٤/٦/٣٠م من اليمين : الجلوس : الشيخ محمد عسكر -الشيخ جعفر كوثراني - الشيخ-الشيخ سلمان دهيني - الشيخ قاسم المصري - الشيخ محمد لحاف - الشيخ فارس بزي (الوقوف): الشيخ محمد المصري - الشيخ عبد الحسن حمود - السيد علي مكي - الشيخ محمد تقي الفقيه - الحاج جميل منانة - الشيخ جمال الفقيه - الشيخ محمد صالح الفقيه - الشيخ أكرم حزيني - الشيخ نعيم نعمة -الشيخ محمد رضا الفقيه



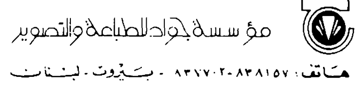
محمود بشير حمود (راجع ترجمة الشيخ بشير حمود).

فهرست الكتاب

فهرست كتاب

(حجر وطين – الجزء الرابع):

الصفحة	الموضوع


مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٣٦٧٧٠٢ - بيروت - لبنان